

عشق رهن الاعتقال

روايه

شمس الحياة



N.A. Eldean

عشق رهن الإعتقال

ل

شمس الحياة

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر الإلكتروني

<http://book-juice.com>

عشق رهن الإعتقال

المؤلفة : شمس الحياة

نشر في : نوفمبر 2015

تصميم الغلاف : نسمة عادل

تنسيق داخلي : عصير الكتب للنشر الإلكتروني



إهداء :

أقول أن العشق لا يُهدى ؛؛؛

و إن كان بيدي سأهدي كل ما بي :

إلى رجلاً ملأ حياتي نبضاً

إلى رجلاً سكن قلبي عشقاً

إلى رجلاً أهداني الحياة

إلى زوجي و عشق قلبي ؛؛؛ **أُحِبُّكَ**

..... *Sania zayed*

المقدمة :

”.. العشق لحن يُعزف على أوتار القلب ، لا تملك سوى أن تدمن أذنك سماعه ، فلا تهتم كثيراً تلك الأذن إن كان هذا الوتر يتألم من كثرة ملامسة العصا للوتر ، فكل ما تدركه عذوبة اللحن و صدق الإحساس ، كل ما تشعر به هو شغفك لتلك المعزوفة الرائعة على هذا الوتر ، الذي كلما عزف لك كلما تماوت أحزانك و تسارعت أنفاسك لتسابق دقاتك إلى جنة من أحلامك ؛ فكل ما تستطيع إدراكه في لحظة تنتشي بها أوصالك من رقة العزف على هذا الوتر عذوبته التي تحييكي حتى و إن أدمت العصا الوتر “

“ إلى متى سيظل اشتياقي إليك رهن الاعتقال ”

مالي أراني الليلة متناثر الأوراق مبعثر الأفكار شارد الدقات أُقلب بين صفحات الهوي ، أفتش بدفاتر العشاق أفتح المطوي من لفائف الغرام لعلني أجذك تسكنين حبيبي بين السطور! أبعثر أرفف الزمان و أسافر بمجلدات القدر المصفوفة ، أبحث بأي صفحة من كتبه عن غرقي بعشقتك كُتب ! بأي سطر بها هواك بقلبي حُفر ! أفتش عنك سيدتي و أفتش عن كنز هواك المخبوء بقلبي ، قلبي التائه بسماء عينيك الغارق ببحور أنفاسك ، ليخُط قلبي عشقتك بأحبار دمي و يُضرم لهيب اشتياقك بصدري ، ليزيد ما كان من الغرام لأنفاسك و يُشعل ما هو كائن من الهيام لعينيك

مالي الليلة حبيبي أقف أمام شرفتك أشتهي طيفك يمر أمام ناظري ! فأقف من حيث بدأ كل شيء ! أقف حيث سطر أول حرف بقصة هوانا ، و لا أعلم إلى أين سئلقي بنا سطور الحكاية ؟ و كيف سيدبر لنا القدر لحظة النهاية ؟ لكن ما شأن قلبي بالنهاية و هو يري بعينيك كل لحظة في عشقه بكِ بداية ! فكنت ليلتها أقف هنا و بذاك المكان لم أحرك ساكناً تلك اللحظة التي رميتني بها بتعويذة عشقتك كسحر أسود سرى بين أوردتي و تغلغل بكل ركن بي ، تلك اللحظة التي احتال بها الغرام على قلبي حتى أغواني و قلبي بعشقتك و غلبني الحب ، و توغل بي هواك حتى وصل قلبي فاستعبد نبضي ، و احتل عقلي فاستحوذت كل ذرة في روحي ! لكن ليلتها كنت أنا غيري ! و غيري كان يسكنني ! فكلي حينها كان يركض بزمن اخر و دنيا أخرى ، فكنت قبلكِ شريد بلا سكن طريد بلا وطن . فقبل هواك كان لدي قواعدتي التي لا أترشح عنها فلم أكن أدرك حينها أن قدرتي سيصدمني بكِ ! لتكوني أنتِ هي قاعدتي و أنتِ هي شواذها، لتكوني نقطة الانقلاب على كل معتقداتي ، لتمحي كل مسلماتي و تعيدي ترتيب أفكاري لتخلي لي عقائد جديدة ، خلقت من عينيكِ فعلى يديكِ اكتشفت أننا لا نُسلم بالحب بل هو من يستبد بنا ، فنحن لا نفتش عن بحور الغرام كي نخطو بها بل أمواجها هي من تجد طريقها إلي أقدامنا ! فقبلك حبيبي لم أومن بالعشق أو أصدق بالغرام لم أسلم به و لم أسلم قلبي يوماً للهوى ، فكيف لكِ و عشقتك أن تدخليني الجنة و النار؟ أي امرأة أنتِ لتقتلني أنفاسك و تُحييني ! لتمتلكِ بكفيكِ الدفء و الصقيع لأرى بعينيكِ أعاصير الشتاء و زهور الربيع!! فتلك الليلة التي رأيتك بها لم أكن أتخيل أنكِ ستصيب القلب بسهم عشقتك ، الذي رميتني به بأول لحظة التقت عيني و عين لم تراني من كل تلك الدموع التي سكنتها !

و حقاً إن هذا القدر غريب جداً ، لا يمكن لأحد أن يتوقع ماذا يجيئ ؟ أو ما يدبر بين طياته ؟ لكنه يجيد التلاعب بنا فيتفنن بمغازلة أحلامنا و لكن أكثر ما يُتقن هو لعبة الاشتهااء .. فتلك لعبته المفضلة ، و يعلم جيداً كيف يمسك

خيوطها بإحكام ، فيعرف كيف يجمع كل أحلامنا و كل ما يوم رغبتنا به كل ما نطمح إليه و يضعه بما ليس لنا ، بما لا نمتلك لنظل نشتهي ما يصعب الحصول عليه إن لم يكن في بعض الأحيان يستحيل الوصول إليه ، و أنتِ هي لعبة قدرتي التي أحضرها كي يتلاعب بي فيلقي بكِ أمامي و هو يحوطك بقفص من حديد لتكويني بين يداي ولا أستطيع اقترابك لأظل أشتهيكِ و أنتِ أمام ناظري ! فلو تعلمي كم تلاعب بي قدرتي تلك الليلة فقد فعلت كل شيء حتى لا ألتقيكِ ، فلم أعد تلك الليلة إلا بعد منتصف ليلها هرباً من لُقياكِ و يا ليتني فلتحت بالهرب !

لكن لأنك منصفاً لم أكن أهرب ليلتها منكِ أنتِ فلم أكن قابلتكِ بعد، لكن أهرب من لقائه هو فكنت أعلم أنه سيصل ذلك اليوم إلى القاهرة عائداً من إنجلترا بعد غياب دام أكثر من عشرة أعوام ، و لم أكن أرغب بلقائه فأنا و كريم منذ الصغر لم نكن يوماً على وفاق ، و كان هناك دائماً شعور متبادل بيننا بعدم الارتياح ، رغم أن كل الظروف التي أحاطت بنا كانت لتجعلنا أصدقاء مقربين ، فكنا بنفس العمر تقريباً فكنت لا أكبره سوى عامين على الأكثر ، و كنا جيران نساكن بمنزلة متجاورين و قد تكون العلاقة بين عائلتين في ذلك الوقت أشبه بعائلة واحدة ، و لكن على العكس من ذلك كنا دائماً على خلاف كنا دائمي المشاكل و المشاحنات ، و اشتدت تلك المشاعر بيننا بعد أن دخلنا عهد الشباب ، بل و زادت كثيراً إلا أن حدثها و علانيتها هي ما قلت ، لكن لم يترك أي منا فرصة لا يكيد بها للآخر إلا و اغتنمها دون تردد إلى أن سافر مع والدته و أخته إلى أمريكا ، للإقامة لدى خاله حتى استقروا هناك ، و قد تكون قد انقطعت تلك العلاقة بشكل كبير الا من بعض المكالمات التليفونية بين والدته و والدي و عمتي فقد كنا مقربات كثيراً ، حتى بعد مرور عشر سنوات من غيابهم عن مصر ، إلى أن قرر قدرتي التلاعب بي من جديد ، بأن يعود كريم مرة أخرى إلى القاهرة أن يعود إلى فيلتهم التي أصبحت الآن متواضعة جداً إلى جوار قصرنا ، و الذي أخذ جدي في شراء كل ما حوله من أراضي و فيلات ، فبعد كل تلك السنوات من الغياب قرر العودة بعد أن تزوجت أخته بإنجلترا ، و استقرت والدته بأمريكا مع زوجها الجديد، و خسر كل شيء كما اعتقدت!

قرر هو العودة إلى وطنه ، فدائماً نعود إلى حيث البداية فمهما أخذتكِ الغربية ، مهما ابتعدت و حققت من نجاحات أو واجهت من عثرات أو خفقات في حياتك ، إلا أنك تعود دائماً إلى جذورك إلى نقطة البداية ، فمهما حاولنا الابتعاد عن أوطاننا و مهما ثرثنا بكرهنا لها و لأحوال باتت عليها ، إلا أننا لا نستطيع اقتلاعها من داخلنا و يغزونا الحنين لها كلما ابتعدنا عنها ، فإن عشق العربي لوطنه هو إحدى جيناتنا الوراثية التي نولد بها و تسري بأوردتنا ، فمهما حاولنا التنصل من حبنا لها أو إنكاره ، أو حتى الهروب منه و اقتلعه من داخلنا سخطاً عليها و على ما يحدث بها و ما لها به ذنب فهي بريئة منه و إنما هو ذنب براقب سكاها !! إلا أننا لا نستطيع التنصل من عروبتنا و من منا يستطيع اقتلاع جذوره ! فمهما وصلنا إلى نهايات لا يمكن لنا أن نترك بداياتنا وراثنا ، فمن ليس له بداية كيف يكون له يوماً طريق حتى يصل لأي نهاية !!!

و مع شخص مثل كريم فهو لم يحقق النجاح الذي ابتغاه يوماً ، فلم يكن سوى أحقق أضع الكثير من أحلامه ، وأضع الأكثر من ثروته في ملاحقة نزواته في ملاحقة أوهام الغربة .

و رغم هروب كلاً منا من الآخر و رفض كلانا التشبه بالآخر منذ الصغر ، إلا أننا حقيقة تشابهنا في كثير من الظروف فقد ذاق كلانا اليتيم و هو صغير ، كلاً منا أراد كل شيء و كلانا ليس لديه أدنى استعداد لتنازل عن أي شيء حتى و إن كان لا يريد ! فكلاً منا يعيش الفوز و لا يرضي يوماً بالهزيمة ، كلانا عنيد و لا يقبل بمنتصف الحلول ، كلانا يفعل أي شيء حتى يصل إلى ما يريد ، فلا يهم ما هي الوسيلة مادامت ستصل بنا إلى ما نبغي ، كلانا قد يجازف بكل شيء حتى يصل إلى مبتغاه ، فرغم كل شيء نظل بالنهاية متشابهين بالقدر الذي يخيف كلاً منا من الآخر !

لكن يبقى هناك سؤال واحد إلى أين وصل كلانا ؟ إلى أين وصل قدر كلاً منا به ؟ وإلى أين أوصلتنا طرقنا المتباعدة ؟ إلى أين أخذنا الطموح بعد كل تلك السنوات ؟

حين عاد كريم اعتقدنا أنه عاد إلى البداية وحيداً خالي الوفاض لم يبقى لديه شيء ، الا أنه لم يكن وحيداً تماماً لم يكن خاسر كل شيء كما اعتقدت ! قد يكون خسر الكثير من أمواله ، خسر الكثير و الكثير من أحلامه التي قتلها بحبيبة تلو خبيبة و فشل يتلوه سقوط ، بسبب غروره و سوء تقديره للأشياء من حوله كما هي عادته دائماً ، لكنه قد عاد خالي اليدين إلا منك أنت ! عاد و لديه أنت ، عاد و هو يمتلك برأي ما لم يمتلكه أحداً حتى أنا! عاد و لديه ما يغنيه الكون ؛ أنت ؛ و لكن كعادته هل يعلم قيمة ما يمتلك هل يعلم قيمة كنز بين يديه !!!

تحدثوا كثيراً عن زوجته الجديدة عن امرأة تزوجها رغماً عنها ، امرأة فعل الكثير حتى يصل إليها ، امرأة بأول لقاء لها به تجراً عليها فصفعته على وجهه فأقسم أن يتزوجها و قد فعل ! امرأة أرغمها قدرها زواجه ، تحدثوا كثيراً عنك و عن كونك تختلفين عن غيرك من النساء، تلك البراءة الساكنة بك و ذلك العند الساكن أحداقك ، عن هذا الكبرياء الذي يملئوك و لم يستطع أحداً أن يُحطمه و لا حتى هو بعدما أجبرك زواجه ! تحدثوا كثيراً و كثيراً عنك ، و لا أكذبك القول لم أهتم و لم يشغل بالي مثقال ذرة حديثهم عنك ، فبالنسبة لي هي مجرد ثرثرة يدفنون بها ليالي شتائهم البارد ، عن ابنة السفير التي نشأت بالخارج ، و أجبرها عمها الزواج بكريم بسبب بعض الأعمال المشتركة بينهم ، فكانت صفقة خاسرة دخلها العم و تورط بها و كان ثمن خروجه منها هو ؛ أنت ؛ !

و حين عُدت بعد أن قارب الفجر بزوغه ، معتقداً أنني هربت من حفل العشاء الذي أعده جدي لاستقبالكما ، دخلت إلى غرفة المكتب أراجع بعض الأعمال حينها رأيت أن أضواء فيلا كريم لازلت مضاءة من الداخل ، ثم بدأت

كل الأضواء تنطفئ واحداً تلو الآخر ، ماعدا تلك الحجرة المقابلة لغرفة المكتب ، لا أعلم لما حينها و بعد أن هممت لمغادرة الغرفة و بالفعل قد أطفئت نور الغرفة و قبل أن أغلق الباب خلفي توقفت لحظة ، و لا أدري لما أخذني بعض الفضول بالنظر إلى تلك الشرفة ؟ فقد اعتقدت أنني سأراه فكانت ملجأه المفضل سابقاً كلما احتد العراك بين والديه و هو صغيراً .

فلما لا أخطف منه نظرة سريعة بعد كل تلك السنوات ؟ لما لا أرى بعض من الخيبة تسكنه ؟ حتى إنني لم أعاود إضاءة الغرفة ، فلما فالأمر لا يستحق هي فقط نظرة واحدة خاطفة لن تحتل الدقيقة و بعدها أغادر إلى فراشي فكنت حقاً منهك ، لكن قدري صدمني بك !

رأيتك و أنتِ تخطين إلى الشرفة ، رأيتك نجمة تخطو أرضاً تهبط من سماء عالية لتشعل كوناً من حولها دون أن تهتز أو يرف لها جفنأ ، هذا الوجه الملائكي هذا الهدوء الساكن أنفاسك ، تلك الهالة التي تعتليكِ هذا الشموخ الذي يسكنُ حُمايكِ ، هذا الكبرياء الأنثوي الذي يُزيدكِ جمالاً و رونقاً كل ما بكِ كان ساحر ، و لا أكذبك القول فإن جمالك الملائكي الهادئ مس قلبي و فتن عقلي تلك اللحظة .. لكنه ليس ما جذبني النظر إليك تلك الليلة ، ليس هذا ما جعلني أتجاهل إرهابي حتى أنني تناسيته تماما ، و جلست على الكرسي المقابل لكِ لأكثر من ثلاث ساعات متواصلة بالظلام دون أن أشعر بالوقت ، لكن أكثر ما جذبني إليك وأخذ عقلي دون وعي مني هي تلك الدموع المتساقطة من نهر عينيك ، تلك النجوم المتألثة على جبينك الهاربة من سجن جفنيك !

و يا الهـي من هالة الخجل العفوي التي أحاطت بكِ أجبرتني الخشوع بحضرة ملائكية سكنت كل ذرة بكِ ، تلك الرقة الكامنة بكل حرف بقصيدتك أجبرت عقلي و قلبي السكون أمام سحر حضورك الخلاب ، حتى أنني غفوت دون أن أشعر و عيناي معلقين بكِ !

بالصباح التالي أفقت من سكرتي ، معتقداً أن ما حدث لي كان حلماً من فرط إرهاق عقلي ، فحين فتحت عيني وجدتنني بفراشي فأيقنت أنكِ محض سراب ! و أنني غارق بعالم من الخيال و أنكِ لم تكوني هنا حقيقة ، و أنني

أفرط بكل شيء من إرهاق العمل و احتساء الخمر فسبحت بحلم في الجنة لم يراودني قبلاً و لن يراودني بعداً ! حتى أنني انتفضت من مخدعي لأنظر إلى تلك الشرفة و أنا أخبر نفسي أنك لست حقيقة فقط وهم و خيال فقط حتماً راودني وهم أيقظ قلبي !

و كل ما شغل عقلي حين غادرت فراشي و أنا أمتلاً دهشة و استغراب لحلمي بك ، أن أنفضك عن تفكيري ، أن أخرج سرابك عن رأسي كي أعود إلى واقعي لكنني حينها صُدمت بكِ أمامي ، حين وجدتك تجلسين بجوار أمي و جدي بالحديقة توقفت عن الحراك تصلب الدم بعروقي لحظات ، و وجدت عقلي يهمس لي (إما أنك لم تستيقظ بعد أو أن واقعك و أحلامك تبادلوا الأدوار !!) يا الهسي لم تكن حتماً ، لم تكن سراباً بل واقعاً حقيقة أمام عيني ، رأيتك ملاكاً يتجسد بشراً حتماً يتجسد لي حياة !!

و أفقت من سكرتي الثانية بكِ لكن تلك المرة على صوت جدي و هو يناديني

: ياسين .. ما بك لما تقف هكذا ؟

فانتبهت له و أدت وجهي عنك ، تقدمت أحاول ملمة أنفاسي

: ليس من شيء ، فقط مُرهق قليلاً .

فنظرت إيليا أمي و هي تلفت انتباهي إليك ، فهل كنت بحاجة إلى أن أنتشي بكِ أكثر ؟ ...

: هيا ياسين تقدم و ألقى التحية إلى إيما ، أترى تلك الفاتنة هنا هي زوجة كريم صديقك و جارنا عادوا من إنجلترا أمس و ستكون جارتنا ، و أشعر أنها ستكون ابنتي الجديدة .

و التفتت نحوك

: هذا هو ياسين ولدي من كان يتحدث عنه الجميع أمس ، هو لم يستطع الحضور لترحيب بكما لأنه يرهق ذاته بالعمل كثيراً ، أليس كذلك يا ياسين ؟

: بالطبع فما منعي سوى عمل هام ، فأهلاً بكِ أنرتِ القاهرة و ما حولها .

و بابتسامة خجلة أسرتني و بصوتك العذب

: شكراً لك ، أعانك الله على أعباء الحياة .

لا أعلم لما تخبطت كثيراً حين تلاقت عيني و عينك ؟ حين استقرت رحك بكفي ، فلا أعلم ماذا حدث حين رأيت تلك البراءة التي تشع بعينيك ؟ تلك الابتسامة الطفولية التي ملئت وجهك ، و لكن أكثر ما أسرني أكثر ما لمس قلبي هذا الخجل الذي ملأ مُحياك ، حين طالت النظرة بنا فارتعشت يداك بين يداي ، صدقاً حبيبي هذا الخجل لحظتها هو ما قتلني بأعتابك ، خجلاً يزيد أنوثتك ويشعلها رونقاً و أناقة ، خجلاً اشتعلت منه وجنتيك بحمرة فاقت زهرة بربيع مُزهر يزيدك جمالاً وتألقاً .

و حين جلست كنت تجلسين أمامي ، فحاولت تشتيت انتباهي عنك فكدت أفقد عقلي منك و بك ، و كانت تلك المرة الأولى التي تخطفني بها امرأة إلى درجة أربكتني لكن هذا أخافني أكثر ، حتى عقلي تعجب مني (ماذا حدث لك !!!) فالتفت إلى جدي مشتتاً تفكيري عنك ، و تساءلت عنه

: أين كريم فلما لا أراه ؟

: بعض الأشياء بهذا الكون لا يمكن أن تتغير فالشمس لا تشرق من الغرب ، و كريم يستحيل أن يستيقظ قبل أن تهدأ الشمس و تهب لمبيتها !

حاولت ملزمة نفسي التي زادت غرابة عني بحضرتك

: أحقاً لازالت لديه تلك العادة !

: كما قال حافظ باشا بعض الأشياء لا تتغير مهما طال بها الزمن .

و قبل أن أقول شيء نظرت إليك أُمي و بصلابتها المعهودة

: حبيبي أنتِ الآن منا و كما أخبرتك سابقاً ستكوني ابنتي و ليس هنا من ألقاب ، و لتنادي عمي بجدي لأنك من الآن و صاعداً أصبحتِ حفيدته و مسؤولة منه ، أليس كذلك يا عمي ؟

: هي لا تحتاج أن تقولي لها هذا ؛ اسمعي ما تقوله و لا تغضبيها لأنني سأحميك من الجميع حتى والديك إن عاد إلى الحياة ، أم هي فسنتحتاج نحن الاثنين لمن يحمينا منها !

فارتسمت بوجهك ابتسامة صافية سحرتني ، ثم رفعت أُمي له حاجبها

: أتعقد أنني لم أسمعك !

: ماذا ! كنت أخبرها أنني لو قابلتها من ثلاث عقود مضت كنت سأختطفها و أتزوجها .

: تقصد منذ سبع عقود يا عمي !

: لا تستمعي إليها حمقاء .. فهي لا تعرف أن تعد حتى العشرة أنا أصغر منها و ولدها الجالس هذا ، لكنها تعاني فقدان بالذاكرة .

فانطلقت منك ضحكة طفولية دون قصداً و ارتفع صداها بقوة أضحكت جدي و أمي ، أما أنا فضعت بينهما بسحر ضحكة عفوية قتلتني !

و قبل أن أفقد صوايي منك أكثر استأذنت بالمغادرة بحجة اجتماع هام ، و بعد أن هممت للمغادرة توقفت لحظات التفت إليك حينها وجدتك تنتظرين نحوي و حين تلاقت عيني و عينك أسبلتكما خجلاً ، و لكن حينها اهتز شيء بداخلي لك لم أكن لحظتها واثقا تماما مما حدث لي ! كل ما أعلمه أنني بث ليلتها و بسمة عينيك كل ما أرى و حين استيقظت وجدتي أنقلب على ذاتي ، استيقظت لأجد شخصاً غيري أما أن غيري هذا من كان يعتقلني و عينيك تلك اللحظة نزعت قيودي عني و حررتني ! فأنت حبيبي خطي الزمني خطي الفاصل بين وهم قبلك اعتقدته حياة ، و حلم بك أصبحت أشتهيه رغبةً في الحياة ، فحياتي بأكملها قبل اجتياحك كانت حياة هادئة حد الموت ، فكنت أستيقظ بكل يوم جديد و كأنه يوم عشته سابق ، فأستيقظ على صباح بارد ليس به أي نبض ليس به حياة ، صباح يمتلأ بالصقيع مهما زادت من درجة حرارته ، حياة أصبحت روتين لم أعد أراه ممل من كثرة تكراره ، لم أعد أنزعج منه لأنني لا أحييا غيره ، فنحن لا نعرف الاختلاف إلا حين نراه ، حين نري الربيع ندرك ما الذي يعنيه الصقيع ، فكيف للأعمى أن يميز ألواناً لم يراها قبلاً ؟ و كيف للأصم أن يميز أصوات الطيور وهو لم يسمع صوتاً قبلاً ؟ كيف لمن عاش عمراً يري الأبيض و الأسود أن يرسم قوس قزح ؟ فكل أيامي قبلك كانت بالأبيض و الأسود باتت لوحة باردة ليس بها أي حياة ، لوحة بهمت ألوانها و كأنها مر عليها ألف عام فأصبحت بلا ملامح ، تفتقد لأبسط معاني الحياة .

تلك كانت حياتي التي أحياها مع جدي و والدتي و أختي الصغرى لي لي التي لازلت تدرس بالجامعة الأمريكية و زوجتي سحر ابنة عمي و ملاكي الصغير جنا و عمتي الوحيدة و زوجها الدكتور شوكت محامي العائلة ، بقصر قديم الطراز يتمسك جدي به على هذا الحال فيقول أنه ارث عائلته العريقة و لن يغير به شيء ! فهو قدر قدم عمره الذي تعبت السنين من عده ، إلا أنه يمثل تحفة فنية فتحيطه التماثيل قديمة الطراز و تظل بحديقته أشجار يتجاوز عمرها عمر

جدي ، لكن أصبحت تحيطه الآن مجموعة من الفيلات الصغيرة و التي يمتلكها جدي أيضا ، و يسكنها أعمام الثلاث و أبنائهم و زوجاتهم في محاولة من جدي أن يجمعنا جميعاً حوله للامساك بالأمر دائماً بيده .

توالت الأيام ثقيلة و كل شيء يكاد يكون هادئ ليس له صوت ، إلا قلبي الذي بدأ يتعلق بك يوماً بعد يوم ، فصار لا يكف عنك صار يُدمن الصباح لأنه يبدأ بك ، فيسرق قلبي دقائق بقربك يُحادثك و يسمع شذا صوتك فيتعطر بزهر أنفاسك ، لكن أكثر ما بدأ يُخيفني هو عقلي الذي أصبح لا يتوقف عن التفكير فيك حتى أنه بدأ يرغب الاستيقاظ باكراً لأجلك فأنت من منْ يعيشون الاستيقاظ باكراً أما أنا فكانت أصحوه مجبراً للعمل ، و إن غبت يوماً يسأل عنك فلو أشرق صباح دونك تصيبه حالة من التشتت و التخبط ، و يوماً تلو يوم أصبحت فنجان قهوتي الصباحي الذي لا أقوى المضي دونه ، فأرتشف عينيك و أتلذذ مذاق همساتك ، فأدمن صدري رائحة قهوتي التي تختلط بعطر أنفاسك ، فلم يعد يبدأ يومي دون أن أنتشي بك . حاولت كثيراً منع نفسي عنك فعقلي كان ينبئني بأن هذا لا يجب أن يحدث و أنه سيصل بي إلى نهاية مسدودة ، طريق ليس له نهاية حتى إنني لم أكن أرى له بداية فقط أقف بمنصف اللا مكان ، أقف بك بين الوهم و الخيال غارق ببحر لا أرى له شطآن و ليس لي به قارب و لا شراع ، لكن ما بيدي و سهم عشقك اخترق النبض و سالت دقائق بين يديك نهر و صارت عينك حدود السماء و الأرض ، فتعويذة هواك التي ألقيتني بها سلبتني القلب و العقل و أغرقني عشقك كالفيضان ، فماذا أفعل بقلب ليس لي به سلطان عشقتك حبيبتى و قضي الأمر !!!

و توالت أيام قلبي بقربك مسرعة ، بعكس أيام عقلي التي لا تأبى المرور فيراك له ما بعد المستحيل ، فحاولت الهروب منك حاولت كثيراً منع نفسي عنك حاولت تهدئة عقلي الثائر بك ، حاولت التحكم بذاتي و إبعادها عن عينك ، لكن لم أستطع إيقاف قلبي ثانية عن النبض بك ، لم أستطع منع روحي عن الهذيان بعشقتك ، أنا الذي لم تحرك بي امرأة قبلك ذرة مهما كان حسننها ، اقتلعتني من ذاتي دون أن تحركي ساكناً ، حاولت إخراجك من عقلي قبل قلبي ، لكن كيف لي ابتعادك و أصبح قلبي يُدمنك بكل يوم أكثر فأكثر فأين له منك المهرب؟ وأنت أمامه ليل نهار تغزوه عينيك دون رحمة دون استمهال ، فإن أصبح يومه ارتشف أنفاسك بفنجانه و إن أمسى ليله أغمض على عينيك أجفانه !

و ظل كلي يذوب بك دون أمل فعشقتك يسري بي في طريق اليأس إلى أن لاح بأفق بحرك شط ، و أصابني سهم الأمل بقربك و أضاءت نجمة وصالك ليلى المظلم لأصل قمراً هو أبعد من كل بعيد !!!؟

كان يوما شاق على قلبي فلم أراكِ بصباحه لم أرتشف فنجان عشقي منك ، انتظرت كثيراً لكنك لم تخرجي ككل صباح ، مر يوماً ثقيلاً متهاكاً لم يكن يوماً بل كان دهنراً ، و جاءني ليل ساطع قمره يفتش شرفتك ليهنأ بلحظات قربك ، كنت مستيقظ بمكتبي ككل ليلة أنتظر أن أراكِ حتى يهدأ قلبي و يرتاح عقلي ، أن أختلس بعض النظرات منك أسرق بقربك لحظات من بعيد أنا و قمراً يسكن شرفتك فهو مثلي هائماً بك ، انتظرت كثيراً أن تدخلني الشرفة لتقرئي احد كتبك مثل كل ليلة ، كما هي عادتك منذ وطأة قدماك السكينة بجواري إلا أنك لم تخرجي تلك الليلة إلى الشرفة ، فزاد قلقي و أخذ عقلي يُحادثني عنك و عيني تسأل قلبي كيف ستنام الليلة دون أن ترتوي منك ؟ وحينها فقط أيقنت أنني غرقت ببحر هواك فأمنت بأن قلبي صار أسير رحي كفيك ، فبت لا أستطيع تخطي ليلة في بُعدك ! و حين كنت أحاول تهدئة كل ما بي من لوعة سكنت قلبي بغيابك فإذا بعيوني تراكِ تتجولين بالحديقة على غير هدى ؛ ترددت كثيراً قبل أن أحرك ساكناً ، إلا إن قلبي و خطواتي إليك كانت أسرع من تفكيري ، فهبطت إلى الحديقة و حين التقيتِ لم يكن بيالي بماذا أتعلل لكِ عن خروجي بهذا الوقت المتأخر ؟ لكن من كان يهتم فقط أريد أن أرتوي منك ! فبادرتك قائلاً

: مساء الخير ايما . كيف الحال ؟

انتبهت لوجودي ، و بابتسامه هادئة

: مساء الخير ياسين بك . بخير الحمد لله .

حاولت جذب أطراف حديث بيننا

: ألم يعد كريم حتى الآن ؟

: كلا ليس بعد ، هو لا يعود قبل بزوغ الفجر .

فهززت رأسي إليك فأنا أعلم الإجابة مسبقاً

: صدق جدي حين قال أن هناك أشياء لا تتغير أبداً مهما حدث .

: أعتقد ذلك .

: لكن لما أنت لازلت مستيقظ إلى الآن ؟

أسعدني كثيراً تغير مجرى الحديث عنه و كنت أتساءل و نفسي أحقاً لا تلحظ اهتمامي بها ؟ فلما لا أغتم تلك الفرصة
و أجذبه نحوِي فلن تأتيني كل يوم

: فقط بعض الأعمال أيضاً يذكرك إن تمسحينا معا قليلاً ؟

بدا عليك الاندهاش قليلاً و بصوتك الهادئ

: على الإطلاق . أخشى فقط أن أزعجك أو أمنعك عن عملك .

بابتسامة من يريد أن يصرخ لك (فأنتِ هي أعمالي و بين يديك حالي أنتِ من انتظرت دهرًا لتجمعي بها تلك اللحظة
، أأصرخ من تلك الحمقاء التي تفتعل الغباء أم أنني دون الكون عشقت خرقاء عن الغرام و الهوى صماء؟) تماكنت
نفسي منك و أجبتهك بهدوء

: على العكس أنتِ لا تمنعي شيء هام !

: كان الله بعونك . فمذ أتيت و أنا أرى أنك تهلك ذاتك كثيراً بالعمل .

ابتسمت منك كثيراً لحظتها و خاطبني لسان حالي (على الأقل هي ترى) فأجبتهك

: العمل شيء لا ينتهي و جدي شخص كثير المتطلبات .

فتوقفت عن المشي فجأة و نظرت إيليا بنظرة مستنكرة و بابتسامة من قلبك

: يا الهى .. إن جدك شخص رائع أعتقد أنك تتجنى عليه !

: إذن أنا من يلعب دور السيء هنا .. جيد أصبحت الشرير !

فزادت ابتسامتك الساحرة التي أسرتني و عدت للمشي مجدداً

: أعتقد أنك الشرير .. قليلاً .

و استرسلت لي و ابتسامتك تزيد تلك الليلة ضياءً و جمالاً

: جدك شخص طيب و عطوف جداً لا أعتقد أنه مُتطلب إلى هذا الحد !

فعاودت السير خلفك و أنا أحاول ملمة ذاتي من تلك الابتسامة التي سلبت قلبي

: ليس لديك فكرة في العمل هو شخص يختلف قليلاً عن هذا الوصف .

: ربما ؛ لكن أحب أن أظل محتفظة بوجهة نظري عن كونه شخص رائع ، و خفيف الظل كثيراً فلا تحاول تغيير تلك الصورة .

: يبدو أن جدي لم يفقد لمسته لقلوب النساء !!

فخرجت منك ضحكة هادئة و ملت نحوى بدلالٍ أفقدني صوابي و شاكستني

: أعتقد ذلك .. إنه حقاً بارع .

: حقاً الآن بدأت أحسده !

: لماذا ؟

استرسلت لك بنظرة لا أعلم إلى أي مدى عبرت عن ما بداخلي

: و كيف لا أحسده ، و قد تعلقت به إلى هذا الحد !

فهربت منك نظراتك و ارتبك صوتك و حاولت تغيير الحديث

: هو حقاً خفيف الظل و خاصة حين يجتمع بوالدتك .

فجارتك و حاولت تمالك نفسي أو هكذا اعتقدت

: أنت لم تري شيء بعد فهما دائمي المشاكسات ، فلا يمكنهما الكف عن مشاغبة كلاهما للآخر أعتقد أنهما طريقتهما

في التعبير عن الحب بينهما !

حينها تغيرت نظراتك كأن الحديث عن الحب يملك حياة

: أعتقد أن هذا رائع ، تلك الألفة و الدفء هذا النوع من الحب و التعلق بينهما ، إنه حقاً عشق له أناقته .. إنهما

رائعين .

: هذا جيد هذا يجعلنا جيران غير مزعجين !

: أتمنح ! أنت حقاً تمزح !

: لماذا ؟

فأجبتني بصوت مُنحمس

: لا أعلم كيف أُخبرك بما لكن وجود عائلتك و ترحابهم الشديد بي ، جدك و والدتك و أختك و حقيقةً الجميع ، هذا الدفء الذي شعرت به بينهم رفع الكثير عن قلبي ، و أزال كثيراً من خوف كاد يحطمني .

: خوفك !!

: كما تعلم مكان جديد ، حياة جديدة ، أشياء لم أعودها قبلاً .

: لكن أنت هنا ببلدك ، أنت بموطنك .. فلما الخوف ؟

تغيرت تعابير وجهك كثيراً لحظتها و بإحباط تخلل نبرات صوتك

: حتى داخل مواطننا هناك ما يخيفنا دائماً !

فزادت دهشتي منك و نظرت لكِ بصمت أحاول فهمك

: لما تلك النظرة ؟ لا تتعجب فإذا كان بداخل كلاً منا يسكن ما يخيفه ! فماذا عن خارجنا ! الخوف جزء من تركيبة البشر .. على ما أعتقد !

: و ما الذي يخيفك أنتِ ايما ؟

فنظرت إيليا لحظات بصمت و كأن الكلام هو من يخاف الخروج منك ، و حاولت إخفاء شيء خلف ابتسامة مصطنعة

: لا شيئاً محدد فأنا لا أقصد شيئاً بعينه ، لكن بداخل كلاً منا غرفته المظلمة التي يخشى اقتربها ، التي يخافها و لا يريد فتح أبوابها

كان بعينيك نظرة لم أفهمها لكنني شعرت خوفهما

: ليس الجميع فلا أعتقد أن لدى تلك الغرفة !

: إذن أنت هو الأول فلكل قاعدة شواذها أو هكذا يقولون ، أعتقد -

ثم صمت لحظة و كأن هناك شيء وقف بين شفتيك فحاولت إخراجه منك

: ماذا ؟ هيا ايما قولي ماذا تعتقدين ؟

فاعتلتك بسمة عابرة و قلت لي بتردد

: أعتقد أنهم لم يبالغوا بوصفك كثيراً !

شعرت بسعادة تتسلل إلى قلبي لأنك أيضاً تهتمي و لو قليل

: من هم .. و ماذا قالوا تحديداً ؟

توقفت عن السير و التفت إليها و شبكت ذراعيك

: أعتقد أن الجميع يتحدث عنك ابتداءً بكل الموجودين هنا ، فمنذ وطأة قدمي القاهرة و أنت أكثر الأسماء تردداً ، و

انتهاءً بإخوة كريم ووالدته !

: و هل هذا جيد أم سيء ؟

رفعت حاجبك و تقدمت خطوة ، ثم التفت إليها و بنظرة مشاكسة

: هذا يعتمد على ما يُقال عنك ياسين بك !

فابتسمت منك و من تلك المشاغبة التي تزيدك جمالاً و التي لم أكن ألاحظها سابقاً ...

: إذن ... !!!

: ليس شيئاً تحديداً ، الكثير عن عقلك و حسن إدارتك للأمور و العمل ، أنك شخص جدير بالثقة يمكن الاعتماد

عليه ، تتحلى بالصبر و لديك نظرة ثابتة و –

: و .. ماذا أكملني ؟

ترددت كثيراً و نظراتك كانت متوترة لكنك استطردت

: أنك شخص قوي عنيد ، لا يخاف شيء أو أحد ، لا يقبل بالرفض أو الاستسلام ، شخص يصل إلى ما يريد مهما كلفه الثمن ، مهما كانت الوسيلة فلا مانع إن كانت ستصل بك إلى غايتك لا يهم أي طريق تسلك مادام بالنهاية ستصل إلى مرادك ، و تُعد رجل مال و أعمال بالدرجة الأولى ، غير أنك رجل يقسو النساء كثيراً !

لا أنكر أن تلك حقيقيتي و أكثر مما قلتِ ، فلكي تنجو بعالم المال و الصفقات لابد أن تتعلم كيف تُصبح قرشاً حتى لا تبلعك القروش الأخرى فهو بحر لا يهتم فيه أحداً هل يسبح بالطريقة الصحيحة أو الخطأ ، لكن كل ما يهم هو أن تظل طافياً لا تغرق مهما تطلب الأمر فلا يهم ! لكن لا أعلم لما كانت تلك المرة الأولى التي أريد أن أعرف كيف يراني أحداً أو أهتم كيف يراني ربما لأنه أنتِ !

: هذا ما قالوه .. و لكن أتلك هي نفس فكرتك عني ؟ أترينني بنفس الطريقة ؟

: أعتقد أنهم بالغوا ببعض النقاط ... و بخسوك بالبعض الآخر !

: و أي النقاط التي بخسوني بها ، الطيب أم الشرير ؟

ابتسمتِ بجنبث أنثوي لمع بعينيك

: أفضل أن أحتفظ بالإجابة لنفسني ياسين بك !

حينها شعرت كمن سقط وسط اليم ، فبالرغم من تلك البراءة التي تملكك الا أنك تظلي بأخر المطاف أنثى ، تظل سيدتي كباقي النساء لغز ليس له حل بحر ليس به شط ، متاهة من دخلها ضاع عقله أو ضل تظلي من حكى القرآن عن كيدها ، تظلي تعويذة لعن كل من حاول فك طلاسم سحرها !

ثم توقفتِ أمامي ، و لازال الخبث الأنثوي يلمع بعينيك

: لكن أكثر ما أثار فضولي بكل ما قيل عنك ، أن والدة كريم كلما أرادت نهره على شيء لا يرضيها ، كانت تقارنه بك !

: بي أنا !!

فأجبتني و بنظرة أكثر مني تعجباً

: نعم ، بك أنت !

حينها أتاني فضول بأن أعرف ماذا حكى هو عني لك فسألتك

: و ماذا قال كريم عني ؟ بما وصفني ؟

فابتسمت ابتسامة لم أفهمها ، فداعتك متسائلا

: ماذا ؟ أقال عني أنني دراكولا أو شيء من هذا القبيل !!

فانطلقت منك ضحكة طفولية أسرتني أوقفني مكاني دون حراك ، فضعت أنا بين سحر عينيك و موجة ضحكة أغرقتني ببحور محياك دون أن تحركي ساكناً

: أعتذر منك كثيراً .

فسألتك و أنا أحاول ملممة ذاتي بين شطوط شفتيك

: عن ماذا تعتذري ايما ؟

: عن تلك الضحكة حاولت كثيراً تغييرها أو منعها الا أنها تخرج دون قصداً مني .

: على العكس إنها ساحرة ، و أكثر ما يسحر بما عفويتها أنها دون قصداً فليست مفتعلة ، و هي حقاً تذكرني بشخصٍ ما .

: أتمنى أنه شخصاً لا يضعك بمواقف محرجة !

فاعتلني الدهشة من اجابتك و بادرتني مسرعة

: أتعدى حدودي إن سألتك من ؟

: إنها طفلي جناً .

: لقد قابلتها و هي حقاً فتاة رائعة بل أكثر فهي تشبه الملائكة ، حفظ الله لك و رعاها .

: لماذا قلتي هذا ايما ؟

: لأنني حقا أحببتها جداً ؛ فهي بالفعل طفل رائعة !

: لا أقصد جناً ، بل أقصد ما تحدثت به عن المواقف المحرجة !!

حينها خرجت من بين ضلوعك تنهيدة قدر جمالها قدر ما تحمل من ألم ، و أجبني بوجع بين نبراتك رغم محاولتك أن تداريه بابتسامتك المزيفة

: أعتقد أن كريم لا يعجبه الكثير من عفويتي تلك التي تتحدث عنها ، فيقول إنها تجعلني أبدو كطفلة خرقاء ، و هذا يضعه بمواقف محرجة أمام أصدقائه و شركائه بالعمل .

: أحق !

فنظرت نحوي و بوجهك نظرة متعجبة فبادرتك

: ماذا ؟ تلك حقيقة معروفة عنه هو أحق ما الجديد بذلك ، لكن دعيني أخبرك سرّاً !

فنظرت نحوي باهتمام و بعيوني لامعة و بنظرة مبتسمة مشاغبة

: سرّاً ! كم أحب الأسرار ، ما هو ذلك السر ؟

فتوقفت و نظرت إليك حينها تالأت النجوم بنهر عينيك و اختلط ضوء القمر بوجهك ، فلم أكن أعلم لحظتها أيكما يزيد الآخر جمالاً و بهاء ؟ أيكما يستمد سحره الخلاب من الآخر ؟ لكن للحظة أيقنت أنه يسرق ضياءه من عينيك ، هو من يرتوي سحرًا حين يفتش جبينك أرضاً و يعلن شفئك سماء ، فوجدتني أهيم بقصيدة حسنك أميري ، حاولت التمسك ببعض من عقلي الذي ضاع بين يداك

: إن عفويتك و طفولتك تلك أكثر ما يميز أنوثتك عن غيرك من النساء!

فأسبلت جفنيك خجلاً و علا صوت أنفاسك فلم أتمالك نفسي و فقدت عقلي

: لكن أعتقد أن هذا يميزك أكثر !

فرفعتي عينيك نحوي فبدا خجلهما ساحراً و اشتعلت وجنتيك حمرة ، فخرج كلي عن السيطرة ، فملت إليك و أنا أرفع بأصابعي عن عينيك خصلة شعرك الهاربة على جبينك ، أحسست بأن كل ما حاولنا تلاشي فلا أرض تحملنا و لا تحدثنا سماء ، فلم أستطع عقد لساني أكثر فانفرط مني سيل هواك

: هذا ما أتحدث عنه ايما ، هذا الخجل الساكن كل حرف بقصيدتك ، تلك الملائكية التي تغمر أركانك ، فكل ما بك بأسرني حبييتي !

فانتفض الدم بعروقك و ارتعشت كثيراً ، بدت بعينيك نظرة تنبئني بأن كل ما بك توقف عن الحراك ، حتى أنفاسك وقفت بين شهيق و زفير لحظات ، و كأن الكون من حولك سكن عن الدوران ، و للحظات غرقت عينيك ببحر عيني و تاهت أنفاسك بين ضلوعي ، حاولت لملمة ما بقي من عقل غادرك ؛ فتراجعت للخلف و تاهت منك الحروف كنت تمسكين بشعرك و أنت تتلعثمين ، و عينيك هاربة لا تعلم أين تستقر فقط تتوارى مني

: أعتقد أنه يجب أن أذهب فقد تأخر الوقت !

و قبل أن أحرك ساكناً أو أتفوه بشيء آخر ، و لم أكن أعلم كيف فقدت السيطرة على كلي إلى هذا الحد ، فلا أعلم ماذا فعلت بي تلك الليلة حتى تخرجيني عن وعي و تفقدني عقلي ؟ و حينها و أنت تحاولي لملمة أنفاسك وذاتك فقدت توازنك و تعثرت قدمك، و قبل أن تنهوي أرضاً أمسكت بك

يا الهـي حبيبي حين سكنتِ صدري و التفت يداي بخصرك ، و سكنت أنفاسك بين ضلوعي ، و اقترب نبضك من دقاتي و غرقت نجوم عينيك ببحري ، آه عشقي حين انحلت زهرة شعرك و تساقط على كتفيك كأوراق الزهور بصباح خريفي ، فتسلل عطرك من بين سلاسله ليغزو أوردتي ليحتل بركة أنفاسك نبضي و يسلب عقلي ، فانتفض كل ما بي شوقاً و اشتياقاً و أنت بين يداي ، فحين سكنتِ صدري اهتزت كل عروشي و تزلزلت بي الأعماق ، ضممتك إليا فأسرت للمستك ، ليدور قلبي بين رحي كفيك فأصبحت حبيبي لحظتها مركز كل الأكوان ، و زاد اقتراي حتى غرق ثغري بشهدك ، فكيف أمنعه عن شهد سال بين شواطئ ثغرك

كانت لحظات لكني أحسست أنني سكنت الجنة لعقود ، و سافرت لسماء دون حدود أرتحل بين قمرأ و نجوم ، هي حقاً لم تتخطى بضع اللحظات لكن لقلبي هي أعوام فاقت حتى الأحلام ، غاص ببحار الأشواق عبر بك كل اللذات ، أصبحت بين يديك وحدي أمير العشاق !

و بعد اللحظات أفقت من سكرة عشق بيننا نظرتي إليا و كأنك أفقتي من غفلة ، أو عدتي من حلم فدفعني بقوة ، و ركضتي من أمامي و أنت تتخبطين ، تحاولي الابتعاد فقط تهربين ، لم تقولي شيئاً لم تنفوهي بحرفٍ فقط تركضين ، و أنا الآخر لم أحرك ساكناً لم أفعل شيئاً لم أركض خلفك ، و لم أمنعك من الهروب فقط توقفت مكاني !! لعلني كنت لازلت ضائعاً بين سحر عينيك و شهد ثغرك ، لعلني لم أكن أريد سوى أن أظل عالق بحلم واقعي فاق الخيال و الأوهام ، لعلني فقط لم أكن أصدق أنني ارتويت منك و لو للحظات حبيبتني !!

لكني حينها و حين غرق ثغري بثغرك ، حين كنتي بين ضلوعي و سكنت دقاتك نبضي ، و رغم أنني من اغتصب منك القبله فأخذت ثغرك حبيبتني عنوة ! إلا أنني أحسست بأنني لست وحدي من غرق بالهوى ! كل ما بك أخبرني بأنني

سكنت بـجلمك كما سـكنتِ بـجلمي ، كان بـصدري شيء يُنبئني أنني لست وحدي من مسه جنون الغرام ، كل ما بكِ
كان يناديني فبعينيكِ و أنفاسك شيء يجذبني ، شيء همس لقلبي أنني لست وحدي من أُلقي بتعويدة العشق و رُمي
بسهم الغرام ، و أنكِ مثلي هائمة بالهوى لكن فقط لم يكن بعد وقتك لتعلمني الاستسلام !!!

”رفقاً بي يا قلبي ... أليس لهذا الاشتياق نهاية ... لماذا أرايني دائماً
في البداية ؟ فأصبحتُ أشتاقُ إليكِ حد الجنون ... “

دائماً ما تمر أيامي بغيابك قاتله فمنذ تلك الليلة بيننا ، تلك الليلة التي خرج فيها قلبي و عقلي عن
السيطرة ، و أنتِ تحاولي ابتعادي تحاولي الهروب من أي لحظة تجمعني بكِ ، و تحرميني رؤيتكِ أيام و ليالي فأطالتِ
الغياب كثيراً معذبتي ، أحس الشوق إليكِ يغتالي ، أحسه ناراً تأتي على كل أرجائي ، لا أعلم لما كل هذا الغياب
سيدتي ؟ أتعنقدين حقاً أن غيابكِ عني سيُنسيني عشقكِ ؟ بالنسبة إيليا لا يوجد بالكون ما يُنسيني حُبكِ ما يُنسيني
نصباً سكن قلبي ، حتى و إن غبتِ دهنراً سأظل على عشقي لكِ ، سأظل على وعد الهوى و ستظلين محفورةً داخلي

كنقشٌ على حجر ، فلا يمكن إزالته حتى و إن تفتت الحجر يظل محتفظاً بما حُفر علي كل قطعة منه فما حُفر بدم القلب لا يُحى و لا بانقطاع النبض عنه !

لكني لم أعد أحتمل غيابك عني حبيتي ، لم أكن أعلم يوماً أن الفراق مؤلم إلى هذا الحد ، لم أكن أتخيل أنه يوجع القلب ، يسلب العقل و يسرق الأنفاس !! و أقسى من الغياب بالمسافات أن تعيبي عني و أنت أمامي أن تُحاوي منعي إدماني بك ، فبغياك عني أشعر و كأن كل ما بي يُعأذرنِي ، فكل شيء يأبى الحضور بغياك ، فدفعني غيابك إلى حافة الجنون دفعني إلى الهاوية ! و أكثر ما ثارت له رياح أفكاره هو وقوفي بك بين الشك و اليقين فأحياناً كثيرة أحس أنك تُخبيني و غارقة ببحور الهوى مثلي ، و أحياناً أخرى أشعر أنك لا تربني و لا تُعريني انتباهاً !

فقداني جنوني إلى لحظة نسيتُ فيها كل الحواجز بيننا ، و تناسيت فيها قدراً يُحُولُ بيننا ، فيضعني بأرضٍ قاحلة و يضعك نجمةً بسماءٍ ! و يا ويلٌ قلبي فما أبعد المسافاتُ بين أرضي و سمائك! لكن جنوني باشتياقك و حنيني إلى جنة عشقك جعلني أراك أقرب من المستحيل! جعلني أمدُ يدي لسمائك لأرى نجمك يسبح بكفي ، أراه يسري بين أوردتي و يجري بشراييني! فجتتُك مولاتي أعلن لقلبك استسلامي و أعلن لعينيك التحدي ! أعتقدين سيدتي أنك حين تمنعيني رؤيتك تمنعيني اقترابك و تغلقي بوجهي كل الأبواب إليك ، و تُشيدين الأسوار حولك لن أستطيع الوصول إليك ! أعتقدين أنك كلما زدتِ عناداً زدتِ في الغرام صموداً ، و تذررتِ و عشقك شموخاً و كبرياءً أن هذا سيمنعني عنك !!!

عفواً صغيرتي فأنتِ بالعشق لازلتِ تخطين ، لازلتِ بمدرسة الهوى تبدئين ، ببحور الغرام تتعلمين ، و بأبجديات الشوق تتلعثمين ، فدعيني أخبرك عن الهوى و أقرأ لك من أبجديات العشاق

إني عشقتُك و لن أرضى عنك بديل ، فأنتِ روعي و نبضي و إن وقف بيننا المستحيل ! فلن يفارقتي حبك و إن فارقت الروح البدن ! سأظل أشتهي قلبك مهما طال بي الأمد، و كلما بنيت لي سداً بألف فأساً هدمته ، و كلما أغلقت بوجهي باباً فتحتُ منه غيره ، و كلما منعتني حبك زدتُ في بحور عشقك غرقاً ، و كلما زدتِ في حبي عناداً زدتُ في غرامك إصراراً ، و كلما زاد صمودك ضد الأشواق سال فيضان إليك حنين و اشتياق ! شرقيّ أنا يا سيدتي و الشرقي حين يعشق يفقد عقله ، يفقد روحه ، يفقد دمه ، يفقد وطنه ، و لا يقبل أن يفقد قلباً عشقه ، الشرقي حين يغرق ببحور الهوى يمحي تاريخه و يسطر لأجل عشقه تاريخاً جديداً ، و أنتِ يا سيدتي من غرقت بها و لأجلك سأمحي تاريخي و أسطر بك و لأجلك تاريخياً يلبق بك مليكة عرشي ؛ فتمردتي ثوري و حطمي مولاتي ما شئت ، فهذا يزيدك سحراً و جمالاً و يُزيدني فيك إدمان ، يُزيدني غرقاً ببحر عينيك ، و يجعل من المستحيل بطريق الوصول إليك

سبيلي للجنة ! فآه من تلك العنيدة التي اقتحمت أغواري وقلبت موازين حياتي ! اقتحمت أظلم كهوفي وسبحت بين وريدي و شُرَياني ! تمتلك قلبي و تمتلك روحي و تجرى بعروقي جريان الدم بالوريد .

عشقتك حبيبي لكن عشقي لكي يظل دائماً عشقٌ رهن الاعتقال عشقاً لا أقوى اقتراه و لا أجرؤ ابتعاده عشقاً يجازيني به زماني ، و لكن أي جزاء يكون عقاب أم ثواب راحة لي أم عذاب ؟ إلى متى سيظل سجيناً لقدراً أعطاك لي كي يمنحني بك فرصة ثانية للحياة ؟ إلى متى هذا الجحيم فكلي صار سجينك في الغرام فلم أعد أعلم ماذا فعلتي بي ؟ فعشقتك بقلبي صار يغزوني مثل الحربِ مثل الايمانِ فلا ينتظر عقلاً و لا يسمع منطق هو فقط يحتلني و يستعمر صدري !!! و كنت أعلم أنني لم أعد أحتمل غيابك ، ولم أعد أحتمل هذا الجحيم الذي ألقاه بعشقتك ، فوجدتُ جنوني هو ما يقودوني إليك فتركته ! فقد أرهق قلبي اشتياقك ، و جُن عقلي من بعادك و عنادك و لم أصل إليك ، فلما لا أترك جزءاً من جنوني بك يقودني تلك المرة ؟ لعله يصل بي إلى ما أشتهي !!!

تأخرت على موعدك ، و لكنني انتظرتُ كثيراً سابقاً فلما سأتعب الآن !! فهيا يا صغيرتي فقلبي و عقلي و أشواقي إليك قيد الانتظار !

قررت أن أخطو بسبيلك لأقطع شكي بك باليقين ، فقد أرهقني الوقوف بكِ بمنصف اللامكان فذهبت لزيارة ميس صديقتك ، ميس من أقرب الناس إليك هي ابنة وحيدة لدكتور جامعي يقيم بإنجلترا متزوج من امرأة انجليزية تعرف إليها بعد وفاة زوجته ، أم هي فمطلقة و تعيش بشقة والديها وحيدة ، و كُنْتُ أعلم أنكِ على موعد معها ، بدت عليها دهشة اقتلعتها ، حين فتحت الباب و رأيتني أمامها ، كنت بالسابق أشعر من نظراتها لي أنها تعلم شيء عما حدث بيننا

، لكنني في تلك اللحظة أيقنت أنها تعلم كل شيء ، فقد بدا جلياً على وجهها حين رأيتني ، وبنبرة امتلأت دهشة و تعجباً

: ياسين ، عفواً ياسين بك !!

نظرتُ لها و بابتسامة هادئة تملأ وجهي ، و أستند إلى الجدار بيدي

: كيف حالك ميس ؟

و هي على نفس الوتيرة ، و تغمض عينيها و تفتحها لتتأكد أنها استيقظت من نومها

: حالي ليس هنا فلم يستيقظ بعد !

: و متى سيستيقظ ؟

فظلت تنظر إيليا و هي لا تحرك ساكناً و تتساءل عينيها (لما أنت هنا؟)

: أترحين بضيوفك على الباب ؟ لا أعرف عنك هذا البخل ميس ! أريد فقط أنا أتحدث معك قليلاً ، فأعلم أن لديك موعداً لتسوق !!

فرفعت حاجبيها و زادت دهشتها أكثر عندما علمت أني على علم بموعدها

: حمقاء أنا .. بالطبع تفضل بالدخول ، أعتذر منك بشدة فحين أستيقظ أكون كمن فقد الذاكرة لبعض الوقت ، و يبدو اليوم أنني سأفقدتها إلى الأبد !

دلفت إلى شقتها ، شقة كبيرة كل ما بها على الطراز الأمريكي من الديكورات و الأثاث ، و بعد أن تقدمت خطوات أشارت إلى الاستقبال الخاص بها و قالت

: اعتبر أنك بمنزلك و إن كان أصغر قليلاً !

ثم صمتت لحظة و شبكت أصابعها ، و رفعت حاجبها بمشاكسة

: حقيقةً هو أصغر كثيراً من قصر جدك ، إلا أنه كما يقولون الجود بالموجود ياسين بك.

و قبل أن أتفوه بكلمة هربت مسرعة ، ثم عادت و توقفت أمامي و بنبرة متزددة و هي تحرك كتفيها

: أنت هنا و أنا لست أحلم ! أعني أنني استيقظت أليس كذلك ؟

: أعتقد ذلك !

: اذن عندما أذهب إلى الحمام الآن لأغسل وجهي بالماء البارد ، أعتقد أنني سأفوق من نومي و عندها سنكتشف أي منا سقط سهواً بحلم الآخر !

فجلستُ إلى الأريكة المقابلة لها فابتسمت لي

: فأنا لا أحب أن تسقط أشياء في أحلام الآخرين ، و لا أن يسقط أحداً أشياءً بحلمي !

ثم نظرت نحوي و بنظرة تفتعل الجدية ، و تضع إصبعها على جبينها بحركة طفولية

: لكن إن كانت كل الأشياء التي ستسقط من تلك النوعية ! بالتأكيد لا مانع لدي .

فوجدتني أضحك منها و علا صوت ضحكتي فبادرتني بعفوية ...

: كنت متأكدة أنك لست فوتوه شوب أخبرتها ” الحمقاء “ أنك ثري دي و أيضاً عالي الجودة لكنها لم تصدقني

....

فنظرت إليها و قد اعتلني الدهشة ، إلا أنها أكدت لي أنني لم أكن مخطئ بظني على الأقل إلى الآن ، لكن حينها انتبهت ميس إلى ما تلفظت به بعفويتها ، فعادت و هي تحرك يديها بتخبط و عينيها هرباً ، و بنبرة من يحاول الخروج من مأزق و هي تسير بظهرها للخلف ...

: أنا الحمقاء.. أنا هي من أخبرت عنك ، لا تهتم فأنا أعشق الشرثرة مع نفسي ، فنحن معاً منذ الطفولة ، كما تعرف ..

فأنت تعرف صحيح ؟

ثم توقفت لحظة

: لكن هذا لا يعني أنني أتحدث عنك مع ذاتي ، فأنا لا أهتم لك .. بلى أهتم لك لكن ليس هذا النوع من الاهتمام

الذي يجعلني أحادث نفسي عنك !

ثم بدأت خطواتها بالتراجع و هي تنظر نحوي ثم أغمضت عينيها

: أمهلني خمس دقائق .. سأجمد عقلي و لساني و أعود ، فقط خمس دقائق !

و ركضت من أمامي ، فوجدتني أبتسم من حماقتها كما قالت . و بينما كانت تغتسل ميس أو تتجمد كما قالت كي تستيقظ من حلمها ، أشعلت سيجارة و وقفت أمام النافذة و أنا أمسكها بيداً و يدي الأخرى أضعها بجيبي ، و أنظر خارجاً لتلك السماء الواسعة التي لم تعد تتسع لعشقي لكي ، لأجد عقلي شرد بكِ ثانيةً كما هي عادته دائماً مُعذبتني فكلما غادرتني فتشت عنه لأجده يسكن عينيكِ ، فلم أعد أعلم لما أصبحت أرى كل النساء تشبهكِ لكني لا أرى امرأة تماثلكِ ، فلم أجد امرأة تُضاهيكِ أو بملائكيتكِ تُجاريكِ ، يا امرأة تفقدني عقلي بحضورها و غيابها كما أفقدتني قلبي بعشقها !!

وبعد دقائق عادت ميس لتوقظني من سكرتي بكِ ، و يبدو أنها قد أفادت من سباتها

: ياسين بك .. ماذا تُفضل أن تشرب ؟

: إن كنتِ تجيدين القهوة فسأشربها ملعقة سكر واحدة

اتجهت إلى المطبخ لتُعدها فجلست إلى الكرسي المجاور لرف الرخام المطل على الاستقبال ...

: متى ستأتي ايما ؟

حينها توقف كل ما بها عن الحركة و تجمدت بمكانها ، فرفعت طرف عيني نحوها واسترسلت كلامي و أنا أكثر هدوء ، و أعبث بإحدى التحف الموضوعة على الرف

: أخبرتكِ أنني أعلم أنكِ ذاهبة لتسوق !!

فعدت تقلب القهوة ثم وضعتها على النار وهي تنظر نحوي بتوتر وكأنها تراجع كلامها قبل أن تنطق به...

: لما لا نتحدث بصراحة أكثر ، أعلم أنكِ تعلمي بما يدور بيننا

فأفرغت القهوة بالفنجان ثم وضعته أمامي ، و قالت و هي تتلعثم

: بينكما !! ماذا بينكما ؟ حقاً لا أفهم عن ماذا تتحدث ؟

: أخبرتكِ أنني أريد أن نتحدث بصراحة ، و أنتِ تعلميني منذ زمن أنا رجلاً لا يهوى لعبة اللف و الدوران فهي

تزعجني ، و لا أعتقد أنكِ ستكونين مُزعجة .. ميس !

: ماذا تريد يا ياسين ؟

: أريدها

: (تريدها) تلك كلمة تحمل ألف معنى فأني المعاني التي نتحدث عنها هنا ؟

فنظرت إليها و لم أجيب بشيء

: أعني تريدها حبيبة و زوجة أم عشيقة ؟

: كل ما أريده أن تكون لي

: إلى هذا الحد تحبها أم فقط ترغبها كغيرها ممن دخلن حياتك ؟

: أعتقدين إن كنت أرغبها كنت سأتي إلى هنا !!!

فبادرتني بابتسامة متعجبة

: اعتقدت أنك كما يقولون عنك لا تعلم للغرام درب ! لكن يبدو أنك خطوت ببحر الهيام ، تهاني إليك لقد أصبحت

هائما بها !

فابتسمت و ارتشفت من قهوتي و طال نظري بها و طال صمتي و بجلقي سؤال واحد ، قدر ما لا أحتمل صبراً لمعرفة

إجابته التي قد أوقن بمعرفتها قدر ما أخشى تلك الإجابة أن تأتيني كسهم يُصيبني بمقتل !! و بعد تردد طويل و صمتاً

أطول بادرتني هي و كأن صوت أفكارها قد وصلها و بعين لامعة

: نعم !

فبرقت عيناها و تنفست و نظراتي إليها ترجوها أن تكمل بما يشتهي قلبي

: نعم هي تُحبك .

: فلماذا تفعل هذا بي ؟ لماذا تهرب مني ؟ و تُعاقب قلبي باشتياقها ؟

: اهدأ يا ياسين .. هي لا تُعاقبك لكن هي بوضع لا تحسد عليه أنت تعلم أن وضعها سيء، هي تُحبك مهما كبرت أو

حاولت إنكار هذا لكن صدقاً هي أكثر من يتعذب ، يجب أن تكون أكثر من يعلم ذلك .

كنت أعلم أنها محقة لكن ما بيدي ، و كلي يقف ضدي و يثور لغيابك

: هي تُحبك لكن ماذا تريدها أن تفعل ؟ إن كان القدر هو ما يقف بينكما ! فكل شيء يقف في طريقكما .

: لما لا تنفصل عنه وتنتهي كل هذا العذاب لنا ؟

: أعتقد أنها لم تحاول الانفصال عنه قبلاً ، حاولت كثيراً حتى قبل أن تظهر أنت بحياتها ، لكن الجميع يعلم أنه أجبرها على الزواج منه ! أعتقد أنه بعد كل ما فعله ليصل إليها سيتركها! صدقني هي حاولت كل شيء، لكن كريم ليس الرجل الذي سيُفلقها من قبضته ، هو يعتبرها إحدى أملاكه لن يفرط فيها .

ثم صمتت لحظة و بنظرة مترددة

: خاصة إن كان لك أنت !

كانت تردد لي صوت عقلي الذي حفظته عن ظهر قلب ، لكنني لم أعد أحتمل عشقك سراً أريد أن أجهر بك للكون أجمع

: بث أعلمكم تعشقها و كم هي تعشقك ! لكن وضعك لا يختلف كثيراً عنها ، فالعلاقة التي تجمعك و عائلتك بكريم و عائلته تجعل من الوضع كله يتحول من سيء إلى أسوأ ! غير أنك متزوج ، أعتقد أن وضعكما هذا أشبه الآن بقنبلة موقوتة إذا انفجرت ستطرح الجميع أرضاً و أنتما ستكونان أول الضحايا، يجب أن تفكر جيداً في ما هو آتي ، وماذا ستفعل ؟

فنهضت من مكاني

: كل ما أعرفه أنني أريدها فلا أرى أو أسمع غيرها، حاولت الابتعاد عنها كثيراً و لم أستطع .

: كنت أريد قول شيء من البداية ، لكنني ترددت

: لا تتخلى عنها هي تحتاج إليك كثيراً ، فلا تصدق هذا العند الساكن عينيها ، هي فقط تحاول تصنع القوة أمامك حتى تُبعدك عنها ، لا تصدق أنها صامدة ضد حبك الحقيقة أنها لازالت صامدة بحبك ، أنت ما يبقياها قوية ، و مهما أخبرتك غير ذلك فهي تكذب خوفاً عليك ، فهي تخشى عليك كثيراً من كريم إن علم أنكما تكنان لبعضكما تلك المشاعر ، أنت لا تعلم ماذا سيفعل بكلاكما !

ثم صمتت لحظة فنظرت لها بصمت فقالت بصوت خافت ، و هي تمز كنفها

: حمقاء لا تعلم من أنت ؟ أعتقد أنها تخشى على الشخص الخطأ !

ثم اتجهت نحو سلم الدور العلوي بشقتها لتغير ملابسها و بعد أن صعدت درجتين من السلم ، عادت و جلست أمامي و هي تنظر إلييا و هناك شيء تود قوله ، شيء حاولت إخفاءه و لكنه عالق بحلقها ، و بعد أن طال صمتي و صمتها، وكثيراً من تردددها

: هناك سؤال يؤرقني و لم أعد أحتمل منعه !

: هاتي ما عندك ميس !

: أنت تحبها .. هذا يعني أنك ستفعل أي شيء لأجلها ؟

: بالتأكيد .

فوقفت و التفتت إلى النافذة

: اذن ستساعدها كي تُفعل من قبضة كريم ؟

: بالطبع سأفعل

: و هل ستجبرها أن تكون لك ، كما أجبرها كريم أن تصبح زوجته ؟

جاء السؤال صدمة لي جمدت الدم بعروقي و ملأتني دهشة عُقد منها لساني فوقفت و نظرت إليها

: هي تُحبي ! و أنت قتلت كل شكوكي بهذا، فلما سأجبرها أن تكون لي ؟ إن كان قلبها بالفعل ملكي ؟

فنظرت نحوي و بعينيها نظرة تخبرني أن بعقلها شيء محدد تريد الوصول إليه

: أنت تعلم بأن لا أحد يعلم ما سيحدث بالمستقبل ، فإن حدث و ظل القدر يتلاعب بكلاكما ، و كان هناك ما

يمنعها عنك ، فهل ستجبرها ؟

تلك اللحظة أيقنت أن هناك ما تُخفيه أنتِ و ميس تعرفه ! و هذا هو ما يقف بين عشقي و قلبك حبيبي ، هذا ما

يبقيك سجيناً أسوار شيدتها بيديك و اعتقلت كل ما بك خلفها ، هذا ما يبقيك مستسلمة له ، و إن كان هناك ما

يقف بين قلبي و قلبك فسأهدمه

: أحبها.. و سأفعل أي شيء بالكون لأجلها و رغم أنني لا أفهم ما تعنيه ، لكن مستحيل أن أجبرها على شيء لا

تريده و خاصة إن كان أنا !

: إذن ستساعدها لتنال حريتها من كريم ثم تتركها تقرر حتى و إن كان القرار ليس بصالحك؟

: ما الذي ترمين إليه ميس ؟ لعلك إذا أخبرتني ما تحاولين الوصول إليه سأوفر عليك الكثير من الأسئلة ؟

: فقط أجبني ؟

: حسنا بكل الأحوال لن أتخلى عنها ، ليس الآن و ليس بعد سأقف إلى جوارها بكل ما أستطيع ، حتى و إن اختارت ألا تكون لي ! مهما كان ما تريده مهما كان ما تبغي ، فلا أهتم كل ما أهتم له هو أن تكون بخير ، فأنا أحبها و كل ما أكثر له سعادتها .

نظرت نحو النافذة ثم التفت إليها

: فالحب ... ألا نكثر بأي شيء سوى أن يكون من نحب بأفضل حال ، أن نرى ابتسامتهم حتى و إن لم تكن تلك الابتسامة لنا فلا يهم ! لكن يكفي قلوبنا تراها تشرق فتشرق لها حياتنا، فمن منا احتاج يوماً أن يلمس الشمس كي يشعر بالدفء أو يُمسك الهواء كي يشعر بالحياة ، ومن نعشق هم لنا حياة مهما أبعدتنا المسافات !

ثم صمت لحظة و رفعت حاجبي

: لكن هذا لا يعني أنني سأستسلم ، فلن أكف عن محاولة استحواذ كل ما بها لي ، و لن أتوقف قبل أن أهدم كل ما يقف بيني و بين قلبها ، و يوماً ما و مهما ابتعد هذا اليوم ستكون لي برغبتها ، فأنا أريدها حبيبي و ليست سجينتي !!!

أطالت ميس النظر بي و هي صامتة و بوجهها ابتسامة ، و هي تلتف لتصعد السلم

: من يقولون أن زمن أساطير العشاق قد ولى أعتقد أنهم لم يلتقوا بك بعد !

صعدت ميس و تركتني بحيرة كادت تقتلني .

لم أستطع المغادرة فأعلم انك قادمة ، فجلست أنتظرك ، بينما صعدت ميس إلى الدور العلوي بشقتها كي تستعد للخروج معك ، جلست أفكر بكل ما دار بيننا ، و عقلي يكاد يتوقف من كثرة التفكير بلغزك حبيبي ما الذي

تُخفيه؟ و ظل ذهني شاردًا بكِ و بهذا الصراع الدائر داخلي المشتعل بين قلبي الذي يشتهي عشقكِ يشتهي أن يجهر بحبه لكِ للعالم أجمع ، و بين عقلاً يعرف أنه يُطالب بالمستحيل و يتخطى كل القواعد و المسلمات ، عقلاً يعرف أنه يعلن الحرب على كل شيء بعشقه لكِ ، لكن ما بيدي فقد عشقتكِ و قُضى الأمر !!

وكاد عقلي يُغادرني من شدة عصف رياح الأفكار بي حتى جاء رنين هاتف ميس ، ليوقف هذا الصراع داخلي و يعلن بداية صراعٍ آخر ، صراع بين أنفاسي و دقاتي التي تسابقت إلى السحاب ، حين لمحت عيني صورتك على شاشة الهاتف ؛ فطلبت إلى ميس أن تُصر على صعودكِ أولاً قبل الذهاب إلى التسوق بحجة أنها لم ترتدي ثيابها بعد ، فإن علمتي بوجودي فلم تكوني لتصعدي مهما حدث ، كنتِ ستهربين كعادتكِ حبيبتي . و بالفعل صعدتِ بعد إلحاحها الشديد و حين قرعتِ جرس الباب ، تاه كل ما بي تجمدت كل ذرة بجسدي ، فلا تعلمي كم كنت أشتاق إليكِ ؟

دلقتِ إلى الشقة و رحبت بكِ ميس بابتسامة هادئة و نبرة متوترة بعض الشيء

كيف حالكِ إيما ؟

فابتسمتِ و أوامتِ برأسكِ لها

: الحمد لله ، أعتقد أنني بخير ! كيف حالكِ أنتِ ؟

: بخير .. لكن لما كل هذا التأخير ؟

: لا شيء إنه فقط الطريق ، فالمرور لدينا يحتاج معجزة كي يتحسن !

ضحكت منكِ و أجابت بنظرة مشاكسة

: سنتركها لكِ فأنتِ هي صاحبة المعجزات الآن ! فأصبح لديكِ الكثير منها !

: ماذا يفترض بي أنا أفهم من هذا ؟

أجابتكِ و قد تعالت ضحكاتها

: منذ متى و أنتِ تفهمين حبيتي ؟

: يكفي أنتِ ، حتى العالم لا يتحمل كلتنا تفهم !

: أمازحكِ فقط ، و حقا خفت كثيراً ألا تحضري .

فبادرتيها بعفوية و أنتِ تخطين إلى الاستقبال بظهرك ، و تضعين حقيبتكِ على الكرسي

: و لما لا أحضر ! ثم لماذا هذا الإصرار على صعودي و نحن سوف نذهب للتسوق ! و يبدو أنكِ ارتديتِ بالفعل ، أم

فقط يجب أن أتحمّل كل تلك السلام صعوداً و هبوطاً ! فصدقاً لا أعتقد أنني بحاجة لفقدان كل هذا الوزن !

تقدمتِ نحوكِ و كنتِ أصبحتِ أقف خلفكِ تماماً

: هناك من يريد أن يتحدث معكِ !

: معي أنا !! من ؟

أمسكتِ بمرفقيكِ و أشارت لكِ بعينيها كي تنظري خلفكِ ، و بالفعل التفقي لتجديني أمامكِ مباشرة ؛ لا أستطيع ما
حييت أن أنسى تلك النظرة بعينيكِ فكلك تجمد ، كل ما بكِ توقف و كأن روحكِ و عقلكِ و قلبكِ و كل ما بكِ
غادركِ إلى عالمٍ آخر ، و الأرض من حولكِ كفت عن الدوران ، و تهاستِ بدهشة اقتلعت منكِ الحروف و سرقت
الكلمات من شفتيكِ

: يا الهــــي .. ياسيــــن !!

فابتسمت لكِ و اقتربت منكِ أكثر و بصوت خفيض

: تأخرت كثيراً على موعدك ! فلقد انتظرت طويلاً

ظللتِ على حالكِ بضع ثواني ، و كلك ينفض و عينك معلقة بي لا تتحرك

: ياسيــــن ... ماذا تفعل هنا ؟

: كما أخبرتكِ صديقتك أريد أن أتحدث معكِ .

فالتفتي إليها و كأنك اكتشفت وجودها توأ ، و بنبرة غاضبة

: كيف لك أن تفعلني هذا ميس ؟

: و ماذا فعلت أنا ؟

فنظرت إليها و لم تتفوهي بكلمة ثم تخطيت كلانا مسرعة إلى الباب و أسرعتم هي من خلفك و هي تحاول إيقافك

: ايما انتظري .. انتظري .. ماذا تفعلين ؟ ايما !!

فوقفت مكاني و لم أحرك ساكناً لم ألهث ورائك ، فكنت أعلم علم اليقين أن تلك ستكون ردة فعلك معذبتني ، أنك ستهرين مني كعادتك لكنني و على غير عادتي لم أكن لأسمح لك تلك المرة بالهروب ، فقد تعبت من هروبك و تعب قلبي من اشتياقك ، تلك المرة أعددت حساباتي لذلك ! فتوجهت إلى الباب و من خلفك ميس تحاول إيقافك ، و عندما فتحت الباب كانت صدمتك الأكبر

حين وجدت طلعت يقف أمامك ، هو مساعدي و أحد رجالي الذي أعتمد عليه بكل شيء ، و محل ثقتي بأدق أسراري ، فتوقفت و ميس دون حراك للحظات ، ثم التفتي نحوي و سألتني بغضب بدأ يتطاير بأحداقك

: من هذا ؟

ورددت من خلفك ميس فهي لم تكن تعلم بوجود طلعت

: يا الهى .. ما الذي يحدث هنا ؟ من هذا يا ياسين ؟

فنظرت إليك و بنبرة هادئة أثارت غضبك أكثر

: أخبرتك أريد أن أتحدث معك و سوف نجري هذا الحوار معاً حبيبتي !

: رغماً عني يا ياسين !! ستتحدث معي دون رغبتني !!

: سنتحدث ايما .. بأي طريقة كانت !

و بنظرة تحدي

: هكذا إذن لنرى ، سأذهب يا ياسين و لتمنعي !!

و التفتي إلى الباب تهمين بالخروج و قبل أن تحركي ساكناً اجتاحني غضب عارم من تحديك لي ، فأخذت أقبض على كفي و صرخت فيك بغضب كبركان انتفضت منه أوصالك

: إيما .. إياك أن تتحديني !!

فصمت و أنت ترتعشين و بنظرة غاضبة كادت تقتلعك فلم تتحداني قبلك امرأة!

: لقد اكتفيت فلن تخطو قدمك خطوة أخرى قبل أن نتحدث ، أو دون أن أسمح لك بها !!

فانتفض كل ما بك و امتلأت عينيك رعباً و عُقد لسانك و تجمد الدم بعروقك ، و لم تتحركي قيد أملة حتى أكاد أقسم أنك لم تكوني تتنفس في تلك اللحظة خوفاً صغيرتي ، فاقتربتُ منك خطوة فتراجعت ثلاث ، و عقدت حاجبائي و بنبرة أكثر غضباً

: أقسم بمن رماني ببحر هواك إن كانت فعلتها امرأة غيرك لاقتلعت رأسها أما أنت ..

صمت لحظة ثم زاد حنقي و الغضب بصوتي

: سنتحدث بأي طريقة كانت فحقاً لم أعد أهتم كيف سنفعلها ! إلا أننا سنفعلها و الآن إيما ، فلا تُجبريني فعل شيء سيندم عليه كلانا ، لا تُجبريني فعل شيء لا أرغب فعله ، إلا إنني سأفعله إن اضطررتني ، فلا تختبري صبري أكثر من ذلك !

فزاد خوفك حتى أنك أمسكت بيد ميس و بدأت أنفاسك تتسارع حتى اعتقدت أن قلبك سيتوقف أو سيغشى عليك و همست لك ميس بصوت مسموع لي

: أخبرتك سابقاً أنك تخافي الشخص الخطأ ! إن كنتِ تعتقدين أن كريم عذاب -

ثم رمقتني بنظرة لا تقل خوفاً عنك

: فأهلاً بك في الجحيم

أعلم أنني أخفتك و هذا ما لم أكن أرغب به ، إلا إنني في تلك اللحظة كنت قد اكتفيت من كل هذا العند الساكن بك ، من كل هذا الذي تفعلينه بي سواء أكنتِ تتعمدين ذلك أم لا ، فقد اكتفيت من كبريائك الذي لا يستسلم أبداً ، كنت قد وصلت إلى النقطة التي ثار بها كل شيء داخلي منك ، ثار فيضان يجتاح كل شيء ، و لم يعد بالإمكان إيقافه!

نظرت إلى طلعت و أشرت إليه أن يغلق الباب ، ثم عدتُ إلى الاستقبال فتبعني ميس و هي تجذبك من ذراعك ،
فالتفت إليك وأنا صامت أحاول تمالك ثورتي التي أعلم أنها أرعبتك ، لكن ما بيدي و أنتِ هي من تفقدني عقلي و
تدفعني إلى الهاوية بعندها و عشقها !

فجلست إلى الكرسي و أشعلت سيجارة و وضعت ساقاً على الأخرى و نظرت نحوك ، و أنا أطقق بإصبعي على
ركبتي ، و نبرة أكثر تحدياً لثورتك و غضبك

: أنتِ هي من اختارت أن نجري هذا الحوار بتلك الطريقة و ليس أنا ! أنتِ هي من تحرمي رؤيتها و تجربني ابتعادها ،
فلم تتركي لي خياراً آخر ، فكلما اقتربتُ منك ابتعدتِ عني ، كلما حاولت الحديث معكِ هربتِ مني ، فلم يكن أمامي
سوى تلك الطريقة !

بدأتِ تحركين قدمك بتوتر شديد ، و أنتِ تضعين يدك على فمك ، تحاولين أن تكظمي غضبك ، فأمسكت ميس
بيدك ، و هي تحاول تهدئتك

: اجلسي ايما ، أرجوكِ اجلسي واستمعي لما يريد

: ماذا تريدني أن أسمع ؟

: فقط اجلسي من أجلي ؟ ايما اجلسي أرجوكِ لنتهي من هذا

فظللت واقفة على عنادك ، تأتي الجلوس أو التحدث

: أعلم أن نهايتي ستكون على يدك !

ثم جذبتك من يدك تلك المرة فأجلستك ، نظرت إليك و هذا الخوف الذي ملئك مني مما جعل قلبي يؤنبي كثيراً ،
كيف لي أن أخيفك هكذا ؟ فأنتِ هي حبيبتي و عشقي و أنتِ كل ما أرجوه ! فكيف لي فعل ذلك ؟

انتبهت ميس لصمتي ، فهمت للمغادرة فأمسكت يدها

: إلى أين أنتِ ذاهبة ؟

: سأتي ببعض الأشياء من الأعلى

: ماذا ؟

: بضع دقائق و أعود

فنظرتي إليها بحزم

: كلا لن تذهبي إلى أي مكان

: وجودي غير لائق ، فلتهدئي ، سأقوم ببعض الأعمال سريعاً وأعود حبيبي ، هو لن يقوم باختطافك !

ثم أفلتت يدها منك ، و بعد أن خطت خطوتين ، توقفت ثم التفتت و عينيها متجهة نحوك ، و نظرة مشاكسة ، في محاولة منها لمداعبة كالانا و تهدئة تلك الحدة

: فقط لتذكيرك حبيبي ، احرصى ألا تغضبي هرقليز !

فابتسمت من مُشاكستها ، فرمقتني بنظرة كادت تقتلني ، و كأن عينيكَ تقول لي (أتبتسم حقاً لقد جمدت الدم بعروقي و الآن تبتسم !) فانتقلت إلى الكرسي القريب منك فهمت بالوقوف فرادت بسمتي منك و من عنادك

: أريد فقط أن أتحدث معك

: تفضل ماذا تريد ؟

فوقفت خلفك و عطر أنفاسك يتسلل بين أوردتي

: من الشخص الذي كان يجادئك أمس بالمطعم ؟

: ماذا ؟

: أعتقد أنك سمعتني جيداً !

فالتفت نحوي وعقدتي ذراعيك ، و نظرتي بعيني و بنبرة غاضبة

: هل تتهمني بشيء ياسين بك ؟

: من هو ؟ و ماذا كنت تفعلين معه ؟

: كيف لك أن تعرف أين كنت ؟ و ماذا أفعل ؟

نظرت إليك بصمت فوجدتك تتراجعين للخلف ، و عينيك تمتلئ بصدمة أسكتك ، فوضعتي يدك على فمك و همستي من خلفها بصوت متقطع

: يا الهى .. أنت ... تراقبني !

: فقط أجيبِ إيما .. من هو ؟

فأجبتي بصوت نائر ، و نظرة تمتلئ تحدياً

: لا شأن لك .. فليس لك أي حق بالتدخل بحياتي الخاصة !

فثارت منك نفسي ثانيةً ، و همس لي عقلي (يا الهى من تلك المرأة ألا تكف عن عنادها أبداً ، إن قتلتها الآن فهل سيلومني أحداً !!) فأمسكتك من يدك بغضب أحاول تمالكه

: لن أعيد سؤالي مرة أخرى .. من هو ؟

فتعلقت نظراتك بعيني و كنت كالمغيبية ، فضغط على يدك كي أعيدك من صدمتك....

: ماذا تفعل ؟ ياسين أجننت .. اترك يدي !

فنظرت إليك بغضب و لازلت أضغط يدك ، فأيقنتِ أني لن أتركك حتى تخبريني ما أريد، فأجبت بصوت يملئه الألم ، و عينيك مُعلقة بيدي

: إنه جار قديم لنا ، و قد التقيته صدفة بالمطعم حين كنت أنتظر ميس

: لأكثر من ساعة ، عن ماذا كنتم تتحدثون ؟

: عن كيف سارت الحياة مع كلاً منا و عن العائلة و العمل —

كنتِ تتحدثين و كنت أنظر إليك و أنت تتألمين ، و كلما زاد ألمك ، كلما زادت ثورتي ، و زاد غضبي منك ، لماذا تجبريني أن أفعل شيء لا أريده ؟ تجبريني بعنادك أن أظهر لك جانبي السيئ ، لماذا تدفعيني إلى الجنون بك و منك ؟ لماذا حببتي تفوديني إلى هذا الطريق ؟ فحقاً بتُ أخاف يوماً تقتلينني بعنادك هذا أو ستدفعيني أن أقتلك !!!

ثم جاءني صوتك متأماً ، و الدموع تكاد تغادر عينيك

: أفلت يدي ، ياسين أرجوك ، إنك تؤلمني !

فأفلت يدك ، فأدرتي ظهرك لي

: أعتقد أن الحديث بيننا قد انتهى !

: هو فقط بدأ للتو !

و بنبرة ندم ملاً صدري

: لم أقصد أن أوْلمك

: عن أي شيء لازلت تريد التحدث ؟ ليس هناك شيء يجمعنا للتحدث به !

: على العكس فكل شيء يجمعنا ، حتى أن قدرنا يجمعنا —

و قبل أن أكمل حديثي ، قاطعتني ، و أنتِ تهزين رأسك باستنكار

: ياسين .. أرجوك لا تتحدث عن القـ

: أُحِبُّكَ

فتوقفت دون حراك ، ثم أخذتني تجلسين بهدوء على الكرسي ، كأنك تخشين أن يغشى عليك أو يختل توازنك ، فأعدتها

على مسامعك و أنا أقترّب منك أكثر

أُحِبُّكَ ايما

صمتي لحظات و أنتِ تحاولين ملّمة ذاتك ثم انتفضت فجأة و بادرتني

: يكفي ياسين .. لا أريد أن أسمع منك شيء

: بلى .. ستسمعين كل ما أريد

: لن أسمع شيء يجب أن تفهم أنه فقط وهم ، ليس هناك قدراً يجمعنا، ليس هناك شيء بيننا!

: بلى .. كل شيء يجمعنا ايما أنا أحبك و أنتِ أيضاً تحبينني !

فأدرت لي ظهرك ، فالنفت إليك فخفضت عينيك أرضاً و يديك تمسك بعضهما....

: غير صحيح .. أنت مخطئ !

فأمسكتك من ذراعيك ، فرفعت عينك نحوي

: على من منا تكذابين ! إن كنت تحاولين الكذب عليّ فعينيك التي علمت الآن لما تواربهم عني طوال الوقت تفضحك ، و ان كنت تكذابين على نفسك ! فإلي متى ؟

فانتزعت نفسك من بين يداي و استدرت للجهة الأخرى

: أنا لا أكذب ، أنت حقاً واهم ، أنا أحب زوجي .

و بابتسامة مغتظة منك

: حقاً زوجك !! الذي أرغمك الزواج به ، الذي تبكي كل ليلة وحدك وجعاً منه و أنت تنظرين إلى الله و ترجيه أن يخلصك من هذا الزواج !

: ماذا ؟ كيف لك أن تعـ

صمتي لحظات ثم تخطيت دهشتك

: أخبرتك أنك واهم ، أنا أحب كريم ، هو زوجي —

تركتك تكملين و دار بعقلي الذي تحاولين فعله أن تجعليني أئس ، تريدان أن أعلن استسلامي ، لكن هيهات لن تنوليه أبداً ، ليس بعد أن تأكدت من ميس أنك تحبيني كما كنت أوقن . تبقى فقط أن تعترفي بما لنفسك قبل قلبي ، و لن أتركك قبل أن تنطقي بما حتى و إن قتلتني بعنادك هذا ، فإن كنت تحبين لعبة العناد فقلد أخطأت المنافس ، أتعلمي قدر ما يغضبني عنادك إلا إنني عشقت لعبتك تلك ، لأنه حين أكسر عنادك بين أحضاني سيكون لعشقتك مذاقاً خاص فوضعت غضبي جانباً و بدأت أجاريك بلعبتك ، فقاطعتك

: هل أخبرك أحداً من قبل أنك لا تجيدين الكذب !

: لا أكذب تلك الحقيقة !

فتقدمت بخطواتي إليك و تراجع خطواتك و نظراتك تحاول الهرب مني

: الحقيقة ! أتريدين حقيقة حسناً سأخبرك واحدة !

و لازالت خطواتي تتقدم و خطواتك تتراجع ، حتى اصطدمت بالجدار من خلفك ، و كان كلك ينتفض ، فوضعت يداي على الجدار من حولك فسكنت أنفاسك صدري ، و سبحت عينيك بشرايبي و كل ما بك سجين ذراعاي ، فملت إليك و همست بإذنك اليمنى

: الحقيقة .. أنني أحبك ، أعشق أنفاسك التي تسري بأوردتي .

صمت لحظة فوجدتك تغمضين عينيك ، و صوت أنفاسك يعلو صوت همسي ، فملت إلى جانبك الأخر ، و همست بأذنك اليسرى

: و أنتِ تعشقينني .. و أكثر من عشقي لك . اسألي تلك الليلة بيننا ستُخبرك !

فاهتز كل ما بك و كاد يغشى عليك ، وتحدرت منك أوصالك فأمنت بأنك استسلمت و انهارت دفاعاتك أو هكذا اعتقدت ! و حين بدا لي أنك لي اقتربت منك لأرتوي عشقاً ، فوجدتك تدفعيني بقوة لا أعلم من أين لكي بها ؟ فابتسمت من تلك العنيدة و من هذا الكبرياء الذي يسكنك ، فجلستني إلى الكرسي و أنتِ تحاولي ملمة ذاتك التي هربت إبليا و تركتك ، و صحت بغضب اجتاحتك

: ليست حقيقة بل سراب لا يوجد بيننا سوى الوهم ، وهم لن يتحقق يوماً ، أحلام لن تحققها مهما حاولت ! نحن كمن يحاول الإمساك بالماء أو التعلق بالهواء ، نبي بيتاً فوق السحاب ، أو نغزل ثوباً من الرمال ! فنظرت نحوك مبتسماً ، و كانت عيناى تمتلئ فرحاً ، حتى انك تعجبت كثيراً من سعادتي المفجأة

: لماذا تلك السعادة على وجهك ؟

: يا الهى .. ايما منذ تلك الليلة بيننا ، أخيراً بدأت أحس أننا نقف معاً على نفس الأرض !

: ماذا تعني ؟ لا أفهم شيء ، ماذا تقول !!

ابتسمت أكثر و اقتربت منك

: ” نحن “ !!

فنظرتني لي ، و أنتِ حقا لا تفهمين

: قلت منذ لحظات ” نحن “ فقد جمعني و إياك معاً بكلمة واحدة ، كما سيأتي يوماً و أجمعني بك في بيت واحد أمام العالم أجمع .

: ياسين —

: هل أخبرتك انك حين رأيتني و نطقتِ باسمي مجرداً ”ياسين“ كنت سأقبلك !

نظرتي لي و بعينيك دهشة غريبة و وجنتيك تمتلئ خجلاً ...

: تلك أول مرة تنطقي باسمي مجرداً من الألقاب ، و لم أكن أعلم أنه ساحر إلى هذا الحد ، إلى أن تهاست به شفتيك ، أتعلمي حمداً لله أن ميس كانت تقف بيننا فكيف لي أن أقبلك ، و أنا أريد اقتلاع هذا العند الساكن رأسك ؟

فأشرتِ بيديك و بنبرة يائسة

: أرجوك توقف .. لا تفعل هذا بي !!

: ليتني أستطيع أن أفعل أي شيء سوى أن أعشقتكِ !!

أغمضتِ عينيكِ ، و أنتِ ترفعي خصلة هربت من شعرك كي تداعب جبينك

: أرجوك توقف عن وهمك ، فقط توقف !

زدت بقربي منك

: ليس وهم ايما !

فصرختي بوجهي

: بلى إنه وهم ، لا شيء أكثر من وهم !

ثم استدرتِ

: أنا لا أحبك أنت فقط تتوهم

فالتفت نحوك و بغضب بدأ يركض بصدري من عنادك

: حقاً إذا كنت أنا واهم ، و أنتِ لا تحبينني كما تدعين ، سأتوقف عنكِ و لن تري وجهي ثانيةً أعدك ، و لكن ليس

قبل أن تنظري بعيني و تخبريني انكِ لا تحبينني !

فالتفتي إلى النافذة و أنتِ تمسكين بذراعيكِ

: قلت لك إنني لا أحبك

فالتفت إليكِ و بدأت خطواتي تتقدم إليك

: إذن فليس من الصعب أن تنظري بوجهي ، أن ترفعي عينيك بعيني ، أن تقولي لا أحبك !!

بدأت خطواتك بالتراجع ، و أنتِ صامته فبدأت ثورتني تشتعل

: هيا قولها و أعدك أنك لن تربي مجدداً ، و لا حتى صدفة بأحلامك !

فتراجعت و تقدمت ، و نظرت إليك و الغضب يتأجج بصدري من عنادك

: قولها حبيبتي ، قولها عشقي ، انظري بعيني و قولي لا أحبك !

زاد صمتك ، فزاد اهتياج رياح حنقي منك

: هيا انظري إيليا و قولها ، أنا لا أحبك أنا لا أعشقتك كما تعشقتني !!

هممت أن تركضي من أمامي فأمسكت ذراعك

: توقف ياسين أرجوك توقف !!

ضغط ذراعك بغضب ، و لازالت تتراجعين و أتقدم إليك

: قولها ايما قولي لا أحبك ، قولي أن ما حدث بيننا في الحديقة كان وهم!

فأغمضت عينيك و بدأت تسيل الدموع على جبينك

: لا أحبك !

فابتسمت منك بغضب

: انظري إيليا و قولها عشقي !

فأخذت شهقاتك تتعال ، فدفعتك إلى الحائط خلفك و وضعت يداي على الجدار من حولك ، و خوفاً عليك من
بركاني الذي ثار فهو جامح كعشقك ضربت الحائط من خلفك بكفي اليمنى بقوة فاهتر كل ما بك خوفاً ، و بيدي
اليسرى أمسكت بدقنك كي يتسنى لي رؤية عينيك ، و صحت ببركان غضبٍ زلزل كل أرجائك

: قولها ، انظري بعيني و قولي لا أحبك !

فسالت دموعك و أنتِ تصرخين بوجهي ، و قد أصيبت بنوبة جنون ، و قدماك تتهاوى منك ، و تحركين رأسك

: أحبك .. نعم أحبك .. أحبك !!

فأمسكتك قبل أن تسقطي أرضاً ، و احتضنتك و همست لك

: يا الهى .. حبيبتى اعتقدت أنني سأموت قبل أن أسمع شفتيك تتهاشم بها !

كان صوتك يمتلئ بالدموع و شهقاتك المتقطعة تملئك

: أحببتك دون إرادتي ، لم أختار أن أحبك ، فعلت كل شيء كي أتوقف عن حبك ، لكن الأسوأ أنني صرت أحبك
أكثر !!!

فوضعت رأسك على صدري

: توقفي عن البكاء صغيرتي ، فكل دمعة تسيل من عينيك ، هي جمره نار تحرق صدري

: ياسين لا يمكن لهذا أن يستمر ، لا أستطيع فعل هذا فلم أعد أقوى !!

: حاولت كثيراً أن أتوقف عن عشقك ، لكنني لم أستطع ، بل صرت أدمن كل ما بك صرت لا أرى و لا أسمع و لا
أتنفس غيرك ، فما بيدي ؟؟؟؟

فزاد بكائك و كلك ينتفض ، و أنتِ تتمسكين بذراعي حينها كانت لدى رغبة لم أستطع منعها بأن أقبلك ، أن أقبل
كل ذرة بك ، فاقتربت منك و بدا لي أنك لي و كم كنت تريدني قدر ما أردتك ، إلا وكعادتك كنت الأقوى ،
فهمست لي بصوت باكي

: لا تفعل أرجوك !

فوجدتني أقبل كف يدك ، و لا أعلم حتى الآن كيف لك أن توقفيني بهمسة من شفاه اشتيتها كل ليلة بأحلامي ؟
كيف لي أن أرضخ لكل ما تأمرين ؟ و أنتِ هي التي ترجو و لا تأمر .. و أنا هو الذي يلبي و هو يأمر ، أنتِ هي التي
تتوسل و لا تطلب .. و أنا الذي يخضع و هو يحكم !! كيف لك أن تجعليني ملك يمينك بنظراتك البريئة ؟ كيف لي أن
أطيع منك أي شيء فقط لأن أنفاسك تهاست به ؟ كيف لي أن أرضى بقبلة من رحي كفك ؟ قبلة قدر ما أطفأت من
نار الحنين بي ، قدر ما أشعلت من بركان الاشتياق للمزيد من أنفاسك معذبتي ، و أنا الذي لم يرضي يوماً بالقليل ،
كيف لأقل قليل منك أن يسعدني و يرضي رجولة بي لم تستطع امرأة قبلك إرضائها بكل ما قدمت !!!

؟؟؟

غادرت منزل ميس و عقلي يمتلأ بألف سؤال عن ما هو قادم ، ولى أين سيؤدي طريق العشق بنا ؟ بعقلي بصوت يؤكد
بأن هناك ما تخفيه شيء لا أعلمه و لكن السعادة التي كانت تغمر صدري لأنك همست لي بعشقتك كانت تكفيني ،
فصدري الذي سكنت بين ضلوعه دقائق كاد يغادر جسدي فرحاً ، تلك السعادة كانت كافية لتؤجل كل هذا الصراع
الدائر بعقلي

” غياب الأجساد قتال ، و غياب الروح كثقل الجبال ؛ فغيبي قدر ما
شئتِ ؛ يفنى الجسد و عشق الروح بقدر الحنين يزداد “

تمر أيامي بغيابك كأنها دهرًا أحيياه ، كهلاً لا يقوى الحركة ، فحين تغيبني عني لا يمر الوقت ، و كأن الزمن يأبى الحركة ، يأبى المضي قدماً ، يثور ضد غيابك ، فكيف لا وكل شيء بي يثور على فراقك .

فمنذ ذلك اليوم بمنزل ميس و أنتِ تحرميني رؤيتك كما هي عادتكَ معذبتي ، لكن غيابك يزداد وحشة بكل يوم ، فغيابك لا أشعر أني أحييا ، فلا يُبقيني أتففس سوى عينيك و صدى همساتك لي ” أحبك “ يا الهي فكم تقتلني من ذاتي كلما تردد صدها بأذني ، فلا تمر ثانية تفارقي بما عقلي و قلبي ، و اليوم علمت أنكِ سافرتِ لزيارة خالتك ، أعلم أنكِ تحاولي الهروب تحاولي الابتعاد لكن بما سيجدي!

فاتخذتِ قرار بالبعد في محاولاتك اليائسة بالبعد عني ، الهروب من عشقي لكِ و عشقك بي ، محاولاتك المستميتة لانتزاعي من داخلك ، انتزاع هذا الحب الذي كنتِ تحاولين بكل الطرق إنكاره ، فقد حاولت كل شيء لتقنعي ذاتك و تقنعي بأنك لا تبادلني تلك المشاعر ، لا تبادلني هذا العشق الذي استحوذ كل ذرة بكِ كما امتلك كل أنفاسي . فحاولتِ جاهدة الابتعاد ، هذا الهروب الذي كنتِ تجيديه في بادئ الأمر ، و الذي لم يجدي نفعاً بعد أن استحوذ عشقي عليكِ كما احتلني جنوبي بكِ ، بعد أن اعترفتِ لقلبي بحبك فبماذا سيجدي الهروب الآن ؟!

فأثرتي الغياب و زاد إصرارك على السفر ، رغم رفضه المتكرر لهذا إلا انكِ سافرتي حتى دون رغبته بذلك ، اعتقدتِ أنكِ إن ابتعدتِ عني ، و غبت أنا عن عينيك ، سيتوقف قلبك عن عشقي ، و ستتوقف روحك عن إدمايني ، فوهم

شفاءك من غرامي كان يلوح لك بالغياب ، الغياب الذي كنت أوقن أنك لن تحتمليه ، كنت متأكد أنه سيعتصر دقائقك مثلما يعتصر أنفاسي ، فكيف لكي أن تستعذي الفراق ؟ فكنت أوقن بعودتك ، مثلما كنت أوقن بحبك .

و لكنني تركتك ترحلين فما بيدي ؟ تركتك ليثور نبضك و تعصاك أنفاسك ، فكنت أعلم أن كل ما بكى أصبح لي ، أصبح مني ، فتركته تلك المرة تذهيب لأني أوقن أن كل ما بك سيعود إلى قلبي ، لا أنكر أن غيابك اعتصر عقلي قبل نبضي ، و لكنه كان لا يتعدى كونه غياب بالمسافات ، فأصبحت لي الغائب بالمسافات الحاضر بالتفاصيل ، فأنت حبيتي الحاضرة بتفاصيلك الحاضرة بطيفك الذي يتلاعب بي ليل نهار ، و يراودني بطرقات الخيال الممتلئة بأدق تفاصيلك ، فأصبحت أنا المتيم بكل همسة منك التائه بين حنايا قلبك ، المسافر بتعابير وجهك ، فتداعبني عيناك حين تضحكني ، و كيف كانت تهمز قدماك حين تتوترين ، حين يسافر القلم بين أصابعك إن داعبتك فكرة و غازلت عقلك لتكتبيها ، تلك الابتسامة الطفولية على وجهك حين تتلعثمين ، و رفعت حاجبيك حين تغضبين ، كم جميلة يديك و هي تداعب شفتيك إن سرحت منك أفكارك ، كم تغمريني تفاصيلك معذبتني ، كم تملئني حتى العنان ، و تغزوني تلك الضحكات لتشعل ليلي الموحش بغيابك ، فأصبح طيفك يعبث بي كل ليلة و هو يداعب أحلامي المشتاقة لكل ذرة منك ، فأصبحت أنا المشتاق إليك الغارق بالحنين الثائر على غيابك و أكثر ثورةً على اشتياقي إليك ، و أنت معذبتني بالغياب قاتلتني بالفراق ، فكيف لي أن أحيا بكل تفاصيلك لتشعلي بها نهارني قبل ليلي و تملئي كل ما بي بمسأتك و دفء أنفاسك ؟

فكلما غادرتني الحنين زاد اشتياقي إليك أكثر فأصبحت إدماني ، أصبحت أنت كل ما أراه أمامي ، فكيف تجازي حنيني إليك بالغياب ؟ و تعاقبي قلبي بالاشتياق ! و يا ويلي ما أقساه من عقاب كخنجر غرز بين الضلوع ، كم هو مؤلم أن تسكني كل ذرة بي ، و أن تشعلي ليلي و تملئي أحلامي بك ، و يحتلني الحنين إليك ليسافر بي إلى تفاصيلك كل ليلة لأشتهي بك أوهامي و تشتهيك كل أركاني ، و استيقظ لأجدك تخلصين للغياب و تصادقين الفراق ، لتشعلي به غيرة اشتياقي من غياب أصبح قلبك يستعذبه ، فيثور غضباً من غياب أصبح بقلبك له مكان ، و أنا المشتاق الذي يغار إن مس شعرك الهواء ، و يشتعل ناراً إن لمس جبينك الماء ، و يغضب حين تلتف حول غصنك الرقيق ملابسك ! فكيف له أن لا يغار غياب سكن قلبك ؟ و استعذب السكنة بروحك و لو نقطة نجم بسماء !!!

أحاول تجاوز اشتياقك بإرهاق عقلي بأن أطلق العنان لرياح الأفكار لتحملني بعيداً عنك إلا أنها تعود و تقذفني بشاطئك ، فأغرق ذاتي بدوامات العمل لتصير بي بسبيل غيرك .

فبالعمل يمكنني تحطّي التفكير بكِ بالتفكير بما يمكنني السيطرة ، فيمكنني السيطرة على كون بأكمله ، و حين أصل إليك لا يمكنني حتى السيطرة على ذاتي ! اليوم كان غريب بعض الشيء أتى أمجد ابن عمي حامد عمي الأوسط إلى مكنتي بالشركة

: كيف الحال ياسين ؟

بادرني بها و هو يدخل إلى مكنتي ، فابتسمت له و أنا أرحب به

: حمداً لله على كل حال ، فأنا بخير

: أعلم أنك مشغول لذلك دعني أدخل إلى صلب الموضوع

فتعجبت كثيراً ، إلا أنني صمت و نظرت له باهتمام فصدمني

: أبي و أعمامي سيعلمون الحرب ضدك اليوم ! فاستعد يا ابن عمي لها ؟

: ماذا حدث ؟ ما الذي فعلته تلك المرة ؟

فابتسم و هو يطقق بإصبعه على المكتب

: حقيقةً أنت لم تفعل ، لكن جدنا هو من فعل ! فلا أحدا منهم راضي عن قرار جدي بتعيينك مدير للمصنع ! فأنت

تعلم من يتحكم بالمصنع سيتحكم بكل شيء !

حينها صعقتني ما فعله جدي ، و كيف له فعلها دون اخباري ، فزادت بسمة أمجد

: هذا هو جدي فعلها حتى دون اخبارك ، سيشت عقلي من هذا الرجل

: و هل سيصدق أبوك و أعمامك أنني لا أعلم شيئاً عن ذلك

: ياسين جميعنا يعلم أنك لم تطلبها ، و هم بأول الصف ، لكن لا بد و أن يلوموا أحداً ، و لن يكون غيرك ، فمن غير مدير المصنع الجديد سيصبون غضبهم عليه ، لذلك احترس من غضبهم

: و أنت هنا لتحذرنى ! و لست غاضب مثل البقية !

فابتسم و هو يهيم واقفاً

: جميعاً نعلم أن جدي يجبك و يفضلك علينا ، لا أنكر أنني أغضب أحياناً لأنه يُحبك أكثر من الجميع ، و لكن حين أفكر بها أجد أنه محق فأنت هو الوحيد الذي لم يرفع له راية العصيان يوماً ، غير أنك أكثر من يجتهد بالعمل ، فبعيداً عن غيرة الاخوة تلك بيننا ، و لنكن صادقين أنت تستحقها غير أن –

صمت ثم وقف قُبالي

: لا أنكر أنك سيء مثل الجميع لكن على الأقل ليس معنا فأنت تمد يد العون لنا جميعاً حين نحتاجها و هذا سبب ثقة جدي بك على ما أعتقد ، فأعلم أن جدي لم يكن ليقبل بمشروعي لولاك ، أخبرتني عمي بأنك من يُدعمني و يحاول اقناعه بأن يترك لي الفرصة ، حتى أن والدي لم يفعلها ، لذلك فأنا أدين لك بها

فوضعت يدي على كتفه

: كلا أنت لا تدين لي بشيء، أنت تستحق أنت تختار ما تريد فعله و الحياة التي ترغب بها ، و أعدك أنه سيوافق

فأوماً لي برأسه بابتسامة ، و هم خارجاً ثم توقف عند الباب و نظر نحوي

: إن سألتني رأيي فأنت تستحقها أكثر من الجميع ، فانتبه لنفسك يا ابن عمي

: شكرا لك على التحذير يا ابن عمي ، على الأقل لدي الوقت الكافي لكتابة وصيتي !

فعلت ضحكته بمشاكسة و هو يدير قفل الباب و يغادر ، فعدت و جلست إلى مكثبي و أنا لا أعلم هل يجب أن أفرح بما فعله جدي لأجلي ؟ أم أحزن لإعلان أعمامي الحرب ضدي ، فأعلم أن جدي سيتسبب يوماً بقتلي على أيديهم !

عُدت باكراً ذلك اليوم إلى البيت فكنت أرغب بالحديث مع جدي قبل حضور أعمامي لعلني أقنعه بالعدول عن رأيه ، حين التقيت بأمي ببهو القصر ، وكانت عابسة و يعتليها الحزن ، و حين سألتها أخبرتني أن جنا طفلي الصغيرة امتنعت عن الطعام و لم تكفُ عن البكاء منذ الصباح فالיום ذكرى وفاة أمها ، حينها نسيت كل شيء ، و غادر الجميع عقلي و لم يبقى به سوى أميرتي الصغيرة ، فليس لي طفلة سواها و لا أحتمل حزنها فهممت إلى الحديقة لأتحدث إليها ، فوجدتها تجلس أمام شجرة زهور قد زرعناها أمها بالحديقة حين حملت بها ، فاقتربت منها و جلست إلى جوارها

: ما بال أميرتي الصغيرة ؟

فعدت حاجبها و شبكت ذراعها بغضب

: لا شيء

: لكن هذا الوجه العابس يقول أن بمولاتي الصغيرة شيء ؟

فنظرت نحو شجرة الزهور

: أرايت يا أمي هو لا يهتم بي ! كم أرغب أن أأتي إليك يا أمي !

فاعتلاني الغضب

: الان أنا هو الغاضب ، ألم أخبرك سابقا ألا تتحدثي بتلك الطريقة ؟

فصاحت بوجهي

: أنت لا تهتم بي أريد أن أذهب الى أمي ؟

فصرخت بوجهها بضيق

: جنا ، توقفي

فصمتت و أجهشت بالبكاء ، فقربتني إليها

: لما كل هذا ؟ ماذا فعلت كي تقسي على قلبي هكذا ؟ ألا تعلمي أنك حين تتحدثي بتلك الطريقة هذا يؤلم قلبي ،

فأنت هي أهم من بالكون عندي

: أنت تحب سحر أكثر مني !

: غير صحيح أنا لا أحب أحد بالكون قدر ما أحبك

: أنت لا تهتم بي

فملاً الحزن قلبي لغضبها مني

: جنة حبيبتي أعلم أنني منشغل عنك ، لكن هذا لا يعني أنني لا أهتم بك فأنتِ كل ما لدي ، و لكي تتأكدي من هذا

أخبريني كيف لي أن أعوض أميرتي الصغيرة ؟

فصمتت و التفتت غاضبة ، فشاكرتها و أنا أضمتها إلى صدري

: ما رأيك أن نقضي يوم العطلة القادمة معنا

: أنت و أنا فقط

: و سحر ألن تأتي معنا ؟

فعقدت ذراعيها

: كلا لا أريدها أريدك أنت فقط ، أريدك لي وحدي

: و هل لي حق الرفض ؟ بالطبع موافق مولاتي

فابتسمت و أشارت لقلبها الصغير

: فلتعدني بذلك !

: لماذا دائماً تطالبيني بوعد ؟

: جدي يقول أنك لا تُخلف و عدداً مهما كلفك الامر !

ملأت قلبي سعادة منها فزدت في احتضانها ، و أشرت لقلبي

: أيتها الماكرة الصغيرة ، حسنا أعدك

فأخذت تطوقني بيدها الصغيرتين ثم توقفت فجأة و سألتني بما فاجأني

: أي ... أين إيما ؟

: إيما ؟

: نعم هي ليست هنا و لم تلعب معي منذ أيام !

فعلايني الحزن و أسكتني لحظات ثم أحببتها

: لا أعلم أين هي ؟

: ان تحدثت إليها أخبرها أنني أشتاق إليها و أنني أحبها كثيرا ، و اجعلها تعود فأنا لا أريدها أن ترحل بعيداً

فزادت دهشتي مما قالته ، ثم وجدتها تبكي

: لما هذا البكاء أميرتي المدللة ؟

: لماذا كل من يحبني و أحبه يرحل ؟ فرحلت أُمي و الان ترحل إيما ، و أنت دائما منشغل

: أنا هنا و لن أرحل أفهمت و رحيل أمك هو اختبار لنا من الله تحدثنا بهذا الشأن سابقاً ، أم إيما -

صمت لحظة ثم عُدت و نظرت إليها بابتسامة

: أعدك أنها ستعود قريباً ، هي يجب أن تعود !

فصدمتني بسؤال أوقف بحلقي الحروف

: هل تحبها يا أي ؟ إن كنت تُحبها مثلي فلما لا تتزوجها ؟ فأنا أحبها و هي تحبني و تحنو عليا لما لا تترك سحر و

تتزوجها ؟

: جنا حبيبي لا تتفوهي بهذا أمام أحد

: و لما ؟ فأنا أحبها -

: جنا لا تتفوهي بهذا أمام أحدا هل هذا مفهوم ؟ لما لنجعله سرا بيننا اتفقنا ؟

فأومأت برأسها إيجاباً ، فضممتها إلى صدري ، ثم داعبتها

: هل لي الان أن أحظى بابتسامة و قبلة من أميري الصغيرة ؟

فزادت باحتضاني

: أحبك يا أبي

: و أنا لا أهتم لغيرك و لا يعينني بالكون سواك ، تأكدي من هذا

حينها أتت لي لي لتخبرني بأن الحرب دقت أبوابها و حضر أعمامي ، فنهضت من مجلسي و طلبت إليها أن تبقى مع جنا بالحديقة و لا تجعلها تأتي إلى الداخل ، فلا أريدها أن تسمع أو ترى شيء أكبر من استيعاب عقلها ، فأخذت نفساً عميقاً و استعدادت لمواجهة حربي القادمة ، و التي لا أعلم إلى أين ستودي بنا جميعاً ؟ فقد حضر أعمامي الثلاث إلى القصر و جميعا غاضبين كما هو المتوقع ، و كما العادة فعمي سيد هو قائد الثورة ، دلفت إلى الاستقبال كان جدي يجلس بكرسيه المعتاد فأشار نحوي فجلست ، جلس أعمامي حوله و كانت أمي و زوجتي المصون و عمتي و زوجها الدكتور شوكت محامي العائلة حاضرين ، و بعد لحظات انتفض عمي سيد من مجلسه بغضب و هو يُشير نحوي

: لا أفهم يا أبي كيف تضعه هو بإدارة المصنع و لم تضع أحدنا ؟

فرفع جدي طرف عينه نحوه و سأله بهدوء

: و من تريد مني أن أضع ؟

: أنا أو حامد أو صلاح كلنا أبنائك و كلنا نستحق أن ندير المصنع !

فأجابه جدي بهدوء زاد حنقه

: كلاً منكم لديه أعماله و ما يقوم به كل منكم يدير ما يفهم به

فزاد غضبه الكظيم الذي تحاول تملكه

: و هل ياسين يجيد إدارته أكثر من أي منا يا أبي ؟ هل يُجيده أكثر مني ؟

فتساءل جدي بغضب بدأ يتسلل إلى صوته

: منذ متى و أنتم تهمون للمصنع أو لإدارته ؟

فأجاب عمي حامد

: هذا لأنك أنت من يديره يا أبي فمن يجرؤ منا الاقتراب من إدارته بوجودك ! لكن الآن أنت لن تدير فليكون لأحدنا ، و سيد هو الأكبر فهو الأحق !

فهم واقفاً و صاح بالجميع

: من قال أنني لن أديره ! فأنا من يتحكم بكل شيء ، لا تعتقدون أن أي منكم سينفرد بشيء بحياتي ، فجميعكم تفعلون ما أشاء و حين أموت افعلوا ما شئتم

فهمت واقفاً و قد احتدم الصراع بين الجميع

: جدي أنا لا أريدها لا أريد

فقاطعتني بنظرة غاضبة و هو يصيح بي

: لا يهتمني ما تريده أنت أو ما يريده أي منكم ، لا أحد هنا يريد غيري ، فالجميع هنا طوع أمري و أنت أولهم فلا تجرؤ و تعصاني ! أنت من سيديره ثم ما الجديد فأنت من يديره منذ سنوات !

فهم عمي صلاح ليخرج عن صمته

: يا أبي -

فأوقفه جدي بحزم و صرخ بوجه الجميع

: انتهى الحديث و لا أريد أحدا هنا ، غادروا جميعاً

فهب أعمامي مُغادرين و الغضب يملأ صدورهم ، و اتجه هو نحو الحديقة و جلس بجوار جنا و هي تلعب ، فوجدت زوجتي تتقدم نحوي و تقول بجدة

: ارفضها ياسين فأبي محق هو يستحقها أكثر من أي أحد و منك

فنظرت نحوها عمي بغضب

: ياسين هو زوجك ، هو من يجب أن تدعميه و تقفي إلى جواره !

فهزت كتفها بغرورها المعتاد

: و هو أبي و يستحق دعمي أكثر من أي أحد ، ثم إن ياسين ليس لديه خبرة أبي بالإدارة ، فهو أحق من الجميع بأن يجلس مكان جدي

ثم همت خارجة لتتبع أباها لفيلتهم فنظر لها زوج عمي بتعجب

: أفقدت عقلها ؟

فأجبتة بابتسامة ساخرة

: كلا هي فقط ابنة سيد

و انقضى ذلك اليوم ، جلستُ بالملكتب في الظلام أرقبكِ ككل ليلة حينها رأيتكما تتشاجران و يبدو عليه الغضب حتى أنه دفعك بقوة إلى الحائط فارتطم به رأسك ثم غادر و ظللتِ جالسة أرضاً تبكين كان كلي يؤلمني لبكائك و بعد قليل هدأت نوبة بكائك و هدأ معها كل شيء إلا قلبي الذي زاد شوقه إليك و ألمه لأجلك ، و زاد صخب عقلي الذي تلاعبت به كلمات جنا عنك و أخذ يُحادثني شيطاني (و لما لا ؟ لما لا تكويني لي ؟ فبالنهاية هو من أخذكِ عنوة و سوف يأتي يوماً و تهدمي أسوار سجنه ؟ لما لا تكويني أنتِ هي زوجتي التي حلمت أم لطفلي التي تمنيت ؟ لما لا أظفر بكِ فأنتِ هي كل ما أبغي ؟ إن كنت أستطيع الحصول على كل شيء أريده فلما لا أحصل عليكِ و أنتِ كل ما أبغي ؟) و أخذ يداعبني شيطاني بأحلامي و يدغدغ قلبي بشوقه إليك و ظل يتلاعب بي حتى غفوت على حلماً صار يتوغل بي حتى أصبح كل ما أحاول الوصول إليه و هو أن تكويني لي!!!!

أصبح الاستيقاظ باكراً بغيابك ثقلاً على صدري ، فكان للصباح جماله حين كان يبدأ بك ، كان له نكهته حين يأتيني عبيره حاملاً عطر أنفاسك ، كان للصباح سحره حين تخجل الورود أمام محياك ، و تصدح الطيور على همساتك . أما الآن فكل شيء ساكن هادئ ، ليس به حياة ، حتى الصباح عاد أسوء مما كان !! فليس فقط لأنه يأتيني دونك ، بل و يحرمني رؤيتك !! فيحرمني رؤيتك بحلمي ، يحرمني حياة تمتلئ بك و إن كانت وهم و خيال ، فيكفيني أنها معك و بك ، فهي لي حياة و إن كانت حياة بالأحلام !! يكفيني أنها تجمعني بك ، تكونين بها لي وحدي لا يُشاركني بك سوى قلبي ! حتى أنني لم أعد أرغب أن استيقظ من وهمي بك ، لم أعد أرغب بالصباح ، فإن لم يكن سيأتي بك ! إن لم أستيقظ على عينيك فما فائدة الاستيقاظ ؟!!

وهذا الصباح كان أثقل من غيره حين فتحت عيوني و كنت لازلت بين الصحو و المنام ، حين أتاني صوتها ليخرجني من حياتي بك إلى حياتي معها ، و شتان بينكما !! يقولون أنني رجل يقسو النساء هذا لأنهم لم يقابلوا زوجتي !!

: ياسين ... ياسين هيا استيقظ

جاءني بها صوتها ليخرجني من حلمي بك ، حاولت فتح جفوني بصعوبة ، و بصوت لم يستيقظ بعد

: أغلقي تلك الستائر لا أريد الاستيقاظ الآن !

جاءني صوتها غاضب

: استيقظ يا ياسين ... استيقظ لتجد حلاً مع ابنتك !

: ليس الآن حبيبتي فأنا متعب ، و لازلت أريد أن أنام نتحدث حين استيقظ

: إذا توقفت عن السهر طوال الليل بفيلا توفيق لن تكون متعب ، و سنتحدث الآن !

حينها اعتقد أنني استيقظت ، فتحت عيني و أنا أحاول الاعتدال

: لماذا لا نكسر ليوم واحد قاعدة حياتنا اليومية و لا نتشاجر فقط اليوم ، أعتقد أن هدنة ليوم واحد لن تكون نهاية العالم ، فحَقاً لا أرغب ببرنامِجنا الصباحي !

نظرت إبليبا عاقدتُ حاجبيها و شبكت ذراعيها و تلك النظرة تملئ محياها

: أنا هو من يلعب دور الشرير بحياتك ، و أنت هو المسكين ، أنت هو الضحية ، و أنا هي سبب كل معاناتك في الحياة !!

تنهدت منها ، و حاولت تغيير مجرى الحديث ، فحَقاً لا أريد أن أخوض بحديث هو مسلسل حياتي معها منذ تزوجنا ، و لم يعد الكلام به يُجدي نفعاً

: ماذا حدث ؟ ماذا فعلت ابنتي ؟

ظلت على حالها و الغضب ينتفض بأحداقها ، الا أنها تماشت معي و غيرت مجرى الحديث

: ماذا فعلت ! الأفضل أن تسأل ماذا لم تفعل ؟

: ماذا فعلت ؟

: هي فقط غير مهذبة و لا تستمع لأحد ، و لا تكثر لشيء عبيدة و تحتاج إلى إعادة تربيتها ، إنها تتحداني !!

أخذت نفساً عميقاً و أنا أرفع عني الغطاء لنهوض من الفراش ، و اعتدلت بجلستي و نظرت نحوها و هي لازالت تُعدد لي مساوئ طفلة لم تتخطى السادسة من عمرها ، فنهضت من السرير و وقفت أمامها صامتاً فزاد غضبها

: ياسين أعتقد أنني أتحدث إليك !

فأجبتها بضيق أحاول تمالكه ، و أنا أُلَف يدي حول كتفيها

: سحر حبيبي ، هي طفله لا تفهم أي شيء من هذا ، و هي بالتأكيد لا تعتمد إثارة غضبك ، و لا حتى تفهم معنى كلمة تحدي !

فزاد غضبها أكثر ، و أزاحت يداي عنها

: و ماذا ستقول غير ذلك فهي ابنتك ، و لابد أن تدافع عنها ، أتعلم أنت بالأساس من جعلها هكذا !

: و كيف جعلتها ؟

: أنت دائماً تدللها و تنفذ لها كل رغباتها ، أنت من يجعلها تتحداني !

حاولت قدر الإمكان أن أمتص غضبها الذي حقاً كثيراً لا أفهمه فهي ابنتي و ليست زوجتي كي تغار منها !!

: حبيبي هي ليست سوى طفلة ، و أنا مشغول عنها طوال الوقت ، و من وقت لآخر أحاول تعويض ذلك لها ، ثم إنها طفلي الوحيدة ، و لم ترى يوماً والدتها ، فإن لم أكن لأدللها فمن سأدلل !! أعدك حين تأتي لي بطفل جميل يشبه والدته سأدله دون الكون

: لا تغير الموضوع ، و جد حلاً مع ابنتك

: حبيبي فقط لا تقارني عقلك بعقلها !

فالتفت نحوي و الغضب يكاد يخرج من أحداقها ، و بصوت حانق

: ماذا ؟ من تلك لأضع عقلي بعقلها ؟

فصرخت بوجهها و أنا أمسكها من ذراعها بغضب

: سحر .. أنتِ تتحدثي عن ابنتي ، لا تنسي ذلك ، و لن أسمح لأحد مهما كان و أي كان أن يتفوه بشيء لا يرضيني عنها ، أفهمتِ ؟

و بصوت ناعم يحاول تهدئة الوضع ، وبعد أن أفلتت ذراعها من يدي ، وضعت يدها اليسرى فوق كتفي ، و بيدها اليمنى تداعب شعري برقة لا أعهداها الا إن كانت تريد شيئاً

: لم أقصد حبيبي ، فقط أقصد أنك تقف بصفها دائماً ، ياسين أنت من يقويها على الجميع ، فأصبحت لا تحترم أحد و لا تستمع لأحد ، حبيبي لا تنسى هي بنت و ليست ولد ، و لابد أن تُربي تربية تليق بمن تكون و من تكون عائلتها و من يكون والدها ، و هذا ما أحاول فعله ، لكن ابنتك مشاكسة و أنت تعلم ذلك و دائماً تحتمي بك ، وهذا بالطبع ليس جيداً بكل الأحوال ، لابد أن تعاقب من وقت لآخر ، إن أخطأت بالطبع .

فاقتربت منها إلى إن اصطدمت بخزانة الملابس خلفها ، و التفت يدي حول خصرها ، قبلتها بعنقها فاستكانت لي فهيمست بهدوء بأذنها

: تلك هي المشكلة حبيبي أنها ابنتي !!

: لا أفهم ماذا تقصد يا ياسين ؟

فرفعت يديها إلى الأعلى ، و شبكتها بيدي للخزانة خلفها ، و اقتربت منها فبدا لها أنني سأقبلها لمست ثغرها لكنني لم أقبلها ، و همست لها

: أنتِ تفهمين ، فأنتِ دائماً تعامليني على أنها ابنتي ! و لم تحاولي و لو مرة واحدة أن تعامليني على إنها ابنتك ! لم تحاولي لمرة و لا على سبيل التغير أن تعامليني بعطف و حنان أم لها ، و ليست زوجة أبيها !!

: حبيبي أنا —

فأسكتها بإصبعي على فمها ، و أنا أداعب عنقها بضمي

: و حقيقة أنتِ لم تحزري بعد ؟ أنا ليس فقط أدمعها ! و أقف بصفها دائماً ، بل و سأحميها من أي أحد! و ليس منك أنتِ فقط ، بل الجميع !

: ياسين .. حبيبي —

: هي ابنتي و إذا اقترب منها أحداً سأقتلع رأسه ، حتى و إن كان أنتِ حبيبي !

ثم رُحت أتحمس بأصابعي فمها ، و أخذت أمرها بوجهها حتى عنقها ، ثم أمسكت عنقها بيدي و ضغطت بقوة كدت أخذ بها روحها ، و أمسكت هي بيدي تحاول إبعادها عنها ، و نظرات الرعب الدامعة من الأم تملأ عينها

: حتى أنني لن أتردد لحظة واحدة بأن أقتلع هذا العنق الجميل إن اقتربت من ابنتي ، هل أنا واضح بما فيه الكفاية لك زوجتي الحبيبة ؟

أماءت برأسها و الدموع تتساقط من عينها ألماً ، فتركتها أخذت تتحسس عنقها بوجع

: فهيمت بما فيه الكفاية فلن أقرب ملكتك الصغيرة ، أهذا يرضيك يا مولاي ؟؟

: لست متأكداً !! لما لا تغلقي تلك الستائر و تأتي إلى السرير !!!

فنظرت إيليا و هي تريد أن تقتلع رأسي ، فزدت في إشعالها سخطاً

: هيا أغلقها و تعالي إلى السرير ، لأرى إن كان هذا كافي ، أم أن هناك شيء آخر يمكن أن تقدميه لمولاك كي يرضى
عنك !!!

وبنظرة تشتعل ناراً ، كادت تحترقني حتى الأعماق ، و تلقي بي في الجحيم

: جدي يريدك الآن .

قالتها و همت لمغادرة الغرفة التي تمت لو هدمتها فوق رأسي ؛ اتجهت إلى النافذة و أنا أمعن النظر إلى شرفتك الخاوية ، و شرد عقلي بينك أنت هي قدر قلبي و بينها هي زوجتي و قدر حياتي فكلتكما أقداري بالحياة ، فأنا أو من بأن الأشخاص من حولنا هم أقدار لنا ، أقدار كُتبت علينا حتى قبل أن تأتي إلى تلك الدنيا ، كما أنني أو من بأنهم أقدار للجزء ، فمنهم من هم عقاب لنا ، و منهم من خُلق ثواب لنا ، و منهم من يدخل حياتنا كي نتعلم منه درساً بحياتنا مهما اختلفت تلك الدروس بين الايجابية و السلبية ، الا أنهم يظلوا أقدار و ككل أقدارنا بالحياة لا مفر من أي منهم فلا مهرب و لا مكان للاختباء .

و أنا رجل يحترم أقداره كثيراً حتى و إن كانت تقف ضده ، فلا يجب أن تستهين بقوة خصمك مهما كانت ، و يجب أن تعطيه احترامه الذي يستحقه ، حينها فقط تستطيع تخطيه ، حتى أنه يمكنك هزيمته و التغلب عليه !

و زوجتي قدرتي ، قدرتي المختوم الذي مهما حاولت تجاهله يظل مسار إجباري ، يظل طريق باتجاه واحد ، غرفة لها باب واحد ، باب للدخول فقط ليس هناك خروج !

دائماً تتهمني بخيانتها ، حتى و إن لم أفعل ، كعادة كل النساء يتهمون الرجال بالخيانة ، و أنهم لا يكتفون بامرأة واحدة ، و هذا نوعاً ما لا يوجد به أي إنصاف أو عدل ، ليس فقط لأنه إجماع بأن الكل سيء، بل حتى مع القلة أو الكثرة ليس هناك خيانة من أجل الخيانة ، فكما يقول القانون لا جريمة دون دافع ، فوراء كل جريمة سبب ، فلا يوجد رد فعل دون وجود الفعل !!

فهم دائماً يتهموننا بالخيانة لكنهم لم يسألوا يوماً لماذا ؟ لماذا يخون الرجل ؟ لماذا لا يكتفي بامرأة واحدة ؟ أعتقد أن المرأة إن اكتفت هي بذاتها لاكتفي بها رجلها ، إن توقفت عن إثارة عقله بمشاكل و ظنون و افتراضات لا حدود لها ، و اكتفت بإثارة قلبه بجبها ، إثارة نبضه بذكاء عشقها باحتوائه كأمر تحتوى طفلها سيكتفي بها دون الكون ، إن توقفت فقط عن كونها مجرد زوجة و كانت له أم و أخت عشيقة حبيبة و طفلة سيكتفي ، إن توقفت عن لعب دور القاضي و

الجلاد ، دور الحكيم الناصح الذي لا يخطئ ، و تقبلته بكل ما فيه من أخطاء و عيوب سيكتفي ! و هي علاقة تبادلية فكما هي للرجل هي أيضاً للمرأة ، فكلاهما يتبادل الأدوار ، و كلاهما يبحث عن الاكتفاء ! فلا يرغب الرجل بالخيانة لجرد الخيانة ، فمن سيبحث عن رشفة ماء إن كان لديه نُهراً، ومن سيبحث عن رحيق زهرة مسروقة إن كان لديه بستان!

و كلاً منا لديه ما ينقصه دائماً ، فلا يمتلك أحداً كل شيء ، و جميعنا يحببنا بما ينقصه من ذاته و ما ينقصه من غيره ، تلك هي الحياة الا إن الأهم من النقص هو الاحتياج .

فالأسوأ من الاحساس بالنقص هو الشعور بالاحتياج ، فالإنسان يحتمل أن يحببنا بشيء ينقصه ، لكنه لا يحتمل أن يحببنا بشيء يحتاجه ، فالاحتياج أشد ألماً يعتصر العقل و يُسلسل الرغبة ، فدائماً الاحتياج هو الدافع الأول وراء كل شيء بالكون إن كان جيداً أو سيئاً ، فحين يسرق الناس هذا لأهم يحتاجون المال ، و حين يشعلون الحروب هم أيضاً يحتاجون أن يفرضوا سيطرتهم يحتاجون أن ييسطوا هيمنتهم ، حتى عند القتل فإنهم يعتقدون أنهم يشبعون حاجة بداخلهم إلى الانتقام أو القصاص ، و حين يعمرن الأرض فاحتياجهم للحياة بها ، الاختراعات هي دائماً لحاجة إما أن تكون ملحة للجميع أو لصاحبها ، لكن يظل كل شيء بالنهاية يعتمد على الاحتياج . فمهما اختلفنا أو اتفقنا الا إن الاحتياج يبقى شعور متعدد ، متناقض ، جامع و مختلف من شخص لآخر إلا أنه يظل شعور ملح و مسيطر ، يحررنا من الداخل يقودنا و يحفزنا باتجاه ما نبغي ، فحين يحتاجك الشعور بالاحتياج لشيء ما فإنه يستعمرك ، يمتلك من قلبك و عقلك و يسيطر على روحك ، يملكك بالرغبة في الوصول إلى هذا الشيء دون غيره ، و كلاً منا له قدرته على تحمل الصمود بوجه احتياجاته ، و حين تأتي للخيانة فان الشخص لا يهوي ببئر الخيانة إلا حين تحتاجه تلك الرغبة بالاحتياج سواء كان للرجل أو المرأة فهما على حدٍ سواء و بالنهاية بالنسبة للرجل تكون النتيجة واحدة يظل هناك احتياج فيظل واحدة لا تكفي

؟؟؟

كم أصبح هذا الصباح أسوء ، فحقاً بتُ أحتاج بعد كل هذا الصراع إلى حمام دافئ كي يعيد بعضاً من التوازن . أنهيت حمامي و ارتديت ثيابي ، هبطت إلى الحديقة للإفطار مع جدي ، و لا أعلم لماذا كان بصدري أملاً يداعبني بأن هذا اليوم قد يأتي بك !! لكنه كان فقط وهمي ، سراب من فرط لوعة اشتياقي إليك ليس أكثر !

وقفت أمام الطاولة التي يجلس إليها جدي ، و كان يجلس إلي الطاولة عمتي و أمي و حينها شرد عقلي بك ، حين نظرت إلى الكرسي الذي كنت تجلسين به إلى جوار جدي ، كان فارغاً لم يجلس إليه أحداً ، كأنه هو الآخر يأتي أن

يجلس إليه غيرك ، يبدو أنه مثلي يظل يعزف على وتر اللقاء ، لازال يرتقب عودتك كما يرتقبها كل ما بي ، أفقت من شرودي بكِ على صوت جدي

: استيقظت متأخراً اليوم يبدو أن ليلتك كانت أطول من المعتاد !!

: و هل هناك ليلاً قصير !

: هل أخبرتك قبلاً أن الليل هو وطن الغربية ، الليل هو وطن عقول و قلوب ليس لها وطن !

رفعت حاجبي و أنا أهم للجلوس بجانبه....

: أعتقد أنك نسيت أن تخبرني ذلك !

فاعتدل بمجلسه و ببسمته الهادئة

: دعني أخبرك قصة قديمة لكنها ستعجبك .. كان هناك صياد معروف عنه أنه صياد ماهر ، و أنه أشطر سباح و غواص بزمانه ، فكان يتحاكى به الجميع فلا يوجد من يعرف البحر مثله ، كان يسكن بمنزل يمتد في البحر ، كان يعتقد في نفسه أنه يحفظ البحر عن ظهر قلب ، يعتقد لأنه تربي منذ صغره به ، و يسكن به أنه يعرف كل شبر به ، و كل سمكة و موجة بالبحر كانت تعرفه ، فكان لا يخشي به شيئاً حتى أعتى أمواجه كان يعرفها و كان يعلم كيف يعبر بها ، حتى جاء يوم أتت موجة هادئة رقيقة بدت ساكنة تحمل نسيم ربيعي لها رائحة الجنة ، أتت تلك الموجة لتسكن شواطئه ، الا أنها لم تكن تسكنه إلا ليلاً ، فكانت تحضر إلى شاطئه ليلاً و ترحل في الفجر ، و يعود البحر كما كان بشروده وهدوئه تارة و بجنونه و أمواجه المغرورة تارة ، و حين يجل الليل و يرمي بظلامه على أكتاف الكون كانت تأتيه موجته ، كانت تداعبه تحطف عينيه بسحرها كانت غير كل الأمواج التي رآها سابقا ، فكان يرى القمر و النجوم يسبحون بداخلها و تتلألأ الأحلام و الحياة بمائها ، لها ضياء لم يراه يوماً و كأنها تشع نوراً من داخلها ، و أخذ يجلس كل ليلة على الشاطئ ينتظرها حتى تأتيه الموجة تداعب شاطئه و تغازل عقله ، و بدأت تتسلل إلى نفسه و ليله بعد ليله تساءل و نفسه لماذا لا يهبط إلى الماء! و يلهو كما يحلو له بتلك الموجة الرقيقة ، تلك التي تبدو كأنها تحمل بين طياتها الجنة ، و التي بدا له أنها تأتي من أجله هو ! بدا و كأنها تختصه دون الكون ، فلماذا لا يسبح بها و يلمس القمر و النجوم داخلها ؟ فهي موجة هادئة ليست عاتية كغيرها ! هي ناعمة و رقيقة و البحر هو بيته و داره فلما لا يلمسها و لو لمرة واحدة !!

صمت جدي لحظات و حقاً كنت متلهف لمعرفة ماذا حدث ، لكنني كنت متلهف أكثر إلى ما يرمي إليه ، ما يريد أن يخبرني به من خلف قصته ، و قبل أن أتفوه بشيء سبقتني إليه عمتي بلهفة فكم تعشق هي و أمي رواياته

: و هل نزل إليها يا أبي ???

التفت نحوي و بنظرة الهادئة الباسمة تلك التي تقرئني دون أن أنبث بحرف

: بالفعل حين أتته تلك الليلة نزل إليها ، نزل أشطر سباح إلى بحره ، نزل إلى موجته ليسري بها و تجري لألأها بين حناياه ! نزله و هو لم تطأ قدماه البحر ليلاً يوماً !!!

و حين اقترب منها هدأت الموجة أكثر و أكثر و سمعها تناديه ، فدخل إليها و حين وصل إلى قلب موجته .. خطفت عينه بسحرها و ضيائها و لمس برحاه كل ما تمنها ، لكن حينها و قبل أن يحرك ساكناً و كان لا يزال مسحوراً بما لمس بما تهاست له به ، و أسرت به فؤاده و أوصاله ، أغلقت الموجة عليه داخلها ، و أخذت تدور و تدور ، و صار البحر الساكن من حوله ثائراً غاضباً ، و تلك الهادئة الرقيقة باتت كفرس جامع لا يستطيع أحداً إيقافه و لا يقدر لحاقه إنس و لا جان ، حملته تلك البهية الرققة إلى السحاب ثم عادت و طرحته بين الحمار ، أخذت تلك الساكنة الوديدة ترفعه إلى النجوم و تعود و ترميه بين الرمال ، فتارة توصله القمر و تارة تذقه ملح البحر ، و ظلا على هذا الحال ظلت به و بكل ما به و بكل ما تمنى تدور و تدور ، حتى جاءه الفجر فحان موعد الرحيل

صمت لحظات و هو يعين النظر بي ، ثم عاودت البسمة ملاً جبينه

: ألقى به موجته الساحرة إلى الشاطئ ، رمت به و عادت من جديد ترتحل !! وحين أفاق وجدها رحلت ، لكن تلك المرة لم ترحل وحدها ، بل أخذت كل ما به أخذت منه عقله ، سلبته روحه حتى الفؤاد ، فتركته دون شيء ، فأخذ يفتش عن ذاته و عنها لكن دون جدوى لم يجد شيء!

فظل ينتظر الليل حتى يأتيه بها ، وجاءه الليل لكن جاء خالي الوفاض جاء دونها ، جاء ليله فارغ الأيدي !! فلم تأتيه هي و لم يأتيه ما رحل منه معها ! و ظل هكذا أيام و أيام ، يقبع النهار بانتظار الليل ، و حين يأتي الليل يهبط الماء

يفتش عنها ، يفتش عن ما ضاع منه برحها ، عن غربة ألقته فيها!! و ظل يرتحل بين الليالي يفتش عنها يفتش عن عقلاً
و قلباً أصبحوا هم و هو بلا وطن ! فسكنوا لأجلها الليل وطن !!

شيء ما بداخلي أنبئي أنه يحادثني ، أن كل حرف خرج منه هو لي ، و عاود النظر نحوي و كأنه يخترقني حتى الأعماق ،
و يرتشف قهوته و ببسمته ...

: أخبرتك هو وطن الغربية ؛ وطن قلوب و عقول طريدة ضالة دون وطن !!!

شردت كثيراً بما رواه جدي ، و بحكايته فأعلم أنه يعني بما شيئاً ، فماذا أراد بتلك الحكاية ماذا يحاول إخباري ؟؟ و
استطرد لي

: للأسف كلنا نعتقد أننا سباحون ماهرون ، لن تقوى علينا موجة عابرة ببحرٍ هو بيتنا هو لنا وطن ، يجب أن تعرف بأن
ليس كل هدوء و سكينه هي حقيقة ما نراه ، فنحن لا نرى من الأشياء إلا خارجها ما تريدنا هي أن نراها و يبقى
داخلها عالم آخر ، و الذي يعتقد بأنه يستطيع الوصول إلى أي شيء يريد أو يمتلك ما يبغى ، هو بالحقيقة لم يتعلم من
الدنيا شيء بعد! هناك أشياء لا نستطيع امتلاكها مهما كانت رغبتنا بها ! فلا نعلم أننا نغرق الا حين تمتلئ حناجرنا
بالماء ، حين تشق أرواحنا صدورنا خروجاً ، حينها نعلم أننا أخطأنا التقدير و أننا نستهن كثيراً بتقدير الأشياء من حولنا
، لكن حين لا ينفع الندم !!!

فزاد غرقي ببحره و ماذا يقصد فهل يعلم شيء عما يدور بداخلي هل يعلم أي أهواك ! هل يعلم أنك هي موجتي التي
سلبتني كل شيء ! و تركتني غريباً بلا وطن ! تركتني طريداً لا أرض لي و لا سكن !!!

يا الهـي .. و من يعلم ماذا يُبطن جدي ، فلا أحد يمكنه التنبؤ أو معرفة ما يريده ، الا أنه دائماً يبغى شيئاً فلا يقول
كلمة إلا و يريد من ورائها شيئاً ، لكن ماذا يهم الآن بما يعنيه فقد غرقت قواربي ببحر هواك و غرقت أنا بموجة
عشقك و قضى الأمر !!

غادرتا أمي و عمتي الطاولة لترفعا عنها بقايا الطعام ، فوجدتني دون وعي أسأله

: هل هناك شيء محدد تريد قوله لي يا جدي !!!!

: كلا ليس من شيء محدد ، هي فقط حكاية ذكرتني بما أنت و ليلك الطويل الذي يبدو أنه بدأ لتوه و سيزداد غربة

!!!

فهزرت رأسي و مع كل حرف يردده لي كانت تعزيني الدهشة منه أكثر

: إلى ماذا ترمي تحديداً ؟ فحقاً استسلمت و غرقت أنا ببورك !

فعلت ضحكته كثيراً

: أنت تستسلم ... تلك هي كذبة ابريل حتى و إن لم يكن بعد! أم عن كونك غارق .. فتلك حقيقة ، لكن لست أنا موجة ليلك !!

فزادت حيرتي أكثر منه ، فاسترسل لي و هو يحرك يديه على غير هدى

: لا تهتم لهذا الرجل العجوز ، يبدو أنني أكثر من فول أملك بالإفطار ، و يبدو أنه جعل جدك الهرم يهذي فلا تشغل بالك !

هذا هو جدي ، بعد أن رمى ما بجعبته يغير مجرى الحديث ، و يتزكك تغرق ببحر لا ترى له شط من الظنون و التخمينات ، فجاريته و هل بيدي شيء آخر ؟

: ألم يمنعك الطبيب عن هذا الطعام ! لما لا تستمع إلى ما يقوله و تكف عنه ؟

: و هل تستمع أنت ؟

فتعجبت كثيراً

: هو لم يمنعني عن شيء !

: و إن منعك فهل ستكف ؟

: إن كان سيضر صحتي ، بالتأكيد سأمتنع عنه !

فأخذ يربت على كتفي

: لا تكن موقناً .. فلا يمتنع أحداً عن شيء يريده ، عن شيء يرغبه حتى إن كان به هلاكه ، ألم تسمع من قبل بمقولة أن الممنوع هو أكثر المرغوب ، فتلك طبيعتنا خلقنا الله هكذا نفتش وراء الممنوع و المحظور و حتى المحرم ، حتى أن أول خطايانا هي العصيان ! و إلا ما أكل آدم التفاحة التي منعها عنه ربه و أخرجته من الجنة ، هذا هو الإنسان يحلم بما يمنع ، يشتهي المحظور ، فلا يريد سوى الممنوع ، فلا يتوقف بني آدم عن رفع راية العصيان !

ثم صمت لحظة و نظر بعيني ، و هو يضغط كتفي بقوة

: فكلاً منا لديه تفاحته المحرمة ، التي لا يكف عنها أبداً حتى و إن أخرجته من جنته ، و مهما قيل له فلن يكف و هل بعد نُصح ربك نُصح !! لكن ماذا نقول تلك هي الحياة ، و هؤلاء هم أبناء آدم !!!

حينها دفعت كرسي للخلف ، و هممت للوقوف ، فقد بدأت أفقد صوابي من ألغاز جدي و ملت إليه مشاكسا إياه
....

: أعتقد أنه يجب أن تتوقف عن أكل طعامي أمي !!

فرماني هو وسط اليم

: حين تتوقف أنت .. سأتوقف أنا !!!!!!!!!!!!!!!

الآن فقدت صوابي ، و ملأتني الدهشة منه حتى العنان ، فإن كان يعلم بعشقي لك ، لما لا يقولها و ينتهي الأمر ، لم أعد أفهم شيء ، لذلك قررت الخروج من بحر ألغازه

: أعتقد أنني سأغادر الآن ، فقد تأخرت كثيراً .

فسحب كرسيه للخلف و وقف و هو يمسك بيدي

: انتظر قليلاً .. أريدك بموضوع يخص العمل .

حينها حدثني لسان حالي (حمدا لله سنتحدث بشيء أستطيع مجاراته به)

: خير إن شاء الله يا جدي !

فهز رأسه لي و هو يشابك يده بذراعي و بدأ يتقدم خطوة

: هو خير بإذن الله .. لما لا تأخذ بيد جدك الهرم لأتكى إليك ، و نتجول بالحديقة و نحن نتحدث ، فكم أرغب بالتجول وسط تلك الزهور الجميلة .

فابتسمت له و أنا أمسك بذراعه ، بدأنا التجول و بعد لحظات من الصمت سألني

: كيف هي أحوال العمل ؟

: الحمد لله بخير كل شيء يسير حسب ترتيباتك .

: وكيف هي أحوال أعمامك بالعمل معك ؟

صمت لحظات و أنا أعلم مما هو يخشى ، و على الرغم من أن الأحوال بيننا لم تكن جيدة ، الا أنني أجبته بما يريد أن يسمع

: ليس من جديد ، أعتقد أن كلاً منا يحاول الالتزام بمكانه قدر الإمكان .

نظر نحوي و لم يعلق بشيء ، و كأن كلانا لا يرغب بالحديث عن هذا

: أألزمت تنوي تنفيذ مشروع أمجد ابن عمك الذي يخص السيارات هذا ؟

أجبته بهدوء و أنا أعلم أنه لا يريد هذا المشروع ، فهو عادة لا يريد المجازفة بالجديد ، فشعاره لا تنزل بجرأ ليس لك به قارب أو شراع

: تكلمنا بهذا سابقاً يا جدي ، و قد أبلغته موافقتك ، ثم لما لا نترك له مجال التجربة هو يريد هذا المشروع ، فلندعمه و نرى ماذا سيحدث ، غير أن الدراسة المبدئية تؤكد أنه مشروع مريح و سريع العائد و لن يكلفنا الكثير ، غير أنه سيفتح لنا مجالات جديدة .

فهز رأسه لي ، أعلم أنه ليس مقتنع ، لكنه بالنهاية سيقبل

: حسناً كما تريد أنا أثق بحكمك ، و لا ضرر من التوسع الأهم أن يكون مدروس .

: لا تقلق أعتقد أن كل شيء سيكون بخير ، و بالنهاية إن لم تكن الدراسة مرضية لك فلن ننفذ المشروع ، أهذا يكفيك ليطمئن قلبك !

: جيد سنرى ، و ماذا بشأن التوسعات الجديدة للمصنع ؟

هنا تتغير نظرة جدي لكل شيء ، فرغم كثرة مشاريعه و اختلافها بين التجارة و الاستيراد و التصدير ، و مصنعين آخرين الا أن مصنع الأخشاب هذا يبقى له مكانه الخاص عنده ، فكان لوالده من قبله ، و لذلك هو يحرص دائماً على الاهتمام به ، و الآن يريد التوسع به

: حسناً .. كل شيء كما طلبت ، سنبدأ ببناء ثلاث عنابر جديدة و تجهيزها .

فتوقف فجأة

: ألم نتفق على خمس عنابر !

: نعم أنت طلبت خمس لكن بالوقت الحالي سنبدأ بثلاث ، ثم يأتي الباقي كمرحلة ثانية لتوسعات ، هذا حتى لا نتعثر نحن ندخل بأكثر من مشروع و توسعات خمس عنابر ستكون مكلفة في الوقت الحالي .

: جيد.. لكن احرص أن لا يقف العمل بتلك التوسعات ، أنت تعلم أن المصنع هو الأهم عندي .

فأومأت له برأسي ، فأنا أعرف جيداً كم هو مهم بالنسبة إليه فهو ارث والده

: أعلم يا جدي .. و إن شاء الله لن يتوقف شيء ، سيسري كل شيء حسب رغبتك .

: هل اتفقت مع المكتب الهندسي الذي سينفذ تلك التوسعات ؟

: لدينا أكثر من عرض لمكاتب هندسية كبيرة ، و عملت على توسعات مشابهة سنختار منها الأفضل .

: إذن فلم تختار بعد ؟

بدأت تتسلل إلى نفسي الدهشة

: كلا ليس بعد لازلنا ندرس العروض المقدمة هي كثيرة ، لكن يهمننا بالأساس التكلفة ومواعيد التسليم .

فوقف فجأة ، و مد يده يداعب إحدى زهرات الحديقة

: هناك عرض يهمني أن تضعه على طاولتك .

: أي عرض هذا !

: كريم النجار .

هنا تجمد الدم بعروقي ، و اقتلعتني دهشة أوقفت الحروف بلمي

: كريم !!!!!!!!!!!!!

طرق بعصاه الأرض مرتين و هو يقول

: هو يريد أن يعيد فتح مكتب والده المهندس هنا بالقاهرة ، يقول أنه يريد الاستقرار و العودة للعمل ، و بالفعل بدأ بالتجهيزات و تعاقد مع مجموعة من المستشارين و المهندسين ، و قد ألمح لي بأنه يريد تلك الصفقة حتى ترفع من أسهمه ، يريد أن يضع قدمه بالسوق و هو يحتاج إلى دفعة قوية .

فوضعت يدي على ذقني و بنظرة يعلمها جدي

: لكن يا جدي —

و قبل أن أتفوه بشيء ، تنهد جدي و كأنه يعرف ماذا سأقول

: أعلم كل ما تريد قوله عن كونه لا يتحمل مسؤولية شيء ، و عن كونه مستهتراً أعلم كل ما يدور بعقلك .

فرفعت له حاجبي و بابتسامة ساخرة

: غير أنه لا علاقة له بالهندسة من الأساس !

: أعلم ، لكن لما لا تضع عرضه بالاعتبار ، هو سيقدم إليك دراسة جدوى ، غير أنه لن ينفذ المشروع هو فقط سيكون المدير للمكتب .

: تقصد مدير لشيء لا يفقه عنه شيء ، ألا ترى أنه يضع قاربه ببحر لا يعلم له شط!!

ابتسم جدي بسخرية و هو يضرب بعصاه الأرض

: و ما الجديد بذلك ، تلك هي قصة حياته الحمقاء، و لم يعد يهم الآن ، أريدك فقط أن ترى تلك الدراسة ثم تقرر ، و لا تنسى أن والده هو من أشرف على ترميم المصنع سابقاً و كان بمثابة ابن لي ، و رغم أنني لست راضي عن تصرفات كريم ، و لا عن أي من حماقاته ، و لا أفعل هذا لأجله ، بل لأجل والده ، فقط ضع عرضه على الطاولة . هذا كل ما أطلب .

و رمق شرفتك بنظرة لا أعلم إلى أي مدى ارتجف لها نبضي

: غير أن هذا سيبقيه هنا ، فإن فشل هنا كما فشل بالخارج سيعود إلى إنجلترا مرة أخرى ، لكن تلك الصفقة ستبقيه هنا .

ثم صمت لحظات و نظر إليّيا

: هذا ما تريده والدته ، فهي تعتقد أننا يمكن السيطرة على حماقاته هنا ، غير أن إبقائه هنا سيسعد الجميع ألا تعتقد ذلك !!

مع كل حرف من جدي أشعر بالتيه و الغرق ، لكنى حاولت تخطي دهشتي من جملته الأخيرة ، و إضافتها إلى جبال الدهشة من كل ما قاله هذا اليوم ، و شاكسته

: لكن منذ متى و أنت تدخل العلاقات و العواطف بالعمل ، هذا شيء لم أعهده فيك من قبل ! أنت تفصل بين العلاقات و العمل فما الجديد ؟

فرفع عصاه و ضرب بها قدمي بمشاكسة منه فابتسمت

: هي ليست هكذا ، فقط ما المانع أن نعطيه تلك التوسعات ، نحن نستفيد و هو يستفيد، و تسعد أمه ، و بالنهاية كل شيء سيكون من تحت يدك و لا تخبرني أنك لا تريدها ، أو حتى تحلم بها !!!

زادت بسمتي و رمقته بنظرة مشاكسة ابتسم لها كثيراً ، فأعلم ما يرمي إليه جدي ، بعد كل تلك السنوات كريم يعمل تحت يدي ” اليوم هو يوم سعدي “

: دعني أرى ماذا يمكنني أن أفعل بهذا الشأن ؟

: جيد أعلم أنك لن تخذلني ، فأنت لم تخذلني سابقاً ، و أثق أنك لن تخذلني لاحقاً .

: إن شاء الله ... أتمنى أن لا أخذلك يوماً .

: بإذن الله فقط احرص على أن كل شيء يظل بيدك و تظل كل الخيوط بين أصابعك تفهمني بالطبع .

: بالتأكيد يا جدي لا تقلق كل شيء سيكون كما تبغي .

: هذا جيد .

: لقد تأخرت كثيراً على العمل سأذهب الآن . السلام عليكم

فرد إيليا جدي السلام و قد بدأت تخطيه للمغادرة

: و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته ، بالتوفيق إن شاء الله .

غادرت الفيلا و أنا حقاً لا أعلم يقيناً ما الذي حدث ، ابتداءً من حكاية جدي التي أغرقتني و أكاد أقسم أنها لي و عنك ، فهل يعلم بما في قلبي لك ؟ يكاد الظن يفتك بعقلي ، هل رأنا تلك الليلة بالحديقة ؟ فهو الآخر غرفته تطل على تلك الناحية منها ، أم أنه فقط يتحدث عامة لا يختصك و أنا بالحديث ، كما قال مجرد ذكرى عن ليل و حكاية ، حقاً تعبت من كثرة التخمين و أرهاق عقلي بألغازه ، أو لا يكفيني إرهاقي بك و منك !!!!

حتى أنني أصبحت أدعو الله أنه يعلم ما بقلبي لك ، فقد تعبت كثيراً من أن أخبئك داخلي ، أنه لشعور مؤرق أن تحتفظ بسرّاً لا تقوى كتمانته و لا تجرؤ جهره فيا ليته يعلم !!!!

و تلك الصفقة التي يريد إعطائها لكرم فهي قصة أخرى... انطلقت بالسيارة خارجاً ، فكاد عقلي يغادري من كل ما حدث ، خاصة بمسألة الصفقة تلك ، و رغم أنني أعلم أنه لن ينجح تلك المرة أيضاً ، فهو لم ينجح سابقاً بأي مشروع أو عمل حاول تنفيذه فلما سينجح تلك المرة !! فكريم من الأشخاص القلائل الذين يتفننون بالفشل و فشله دائماً حتمي ، لأنه يختار أشياء ليس له بها خبرة ، و لا يملك عنها أي خلفيه أو دراسة ، حتى أنه لم ينهي دراسته بأي من الكليات التي التحق بها سواء بالتجارة أو نظم المعلومات أو حتى الاقتصاد ، فدرس بكلا منها بضعة أعوام و تركها جميعاً بالنهاية ، و حجته الدائمة أنه لم يجد ذاته بأي منها ، فما الجديد لا أعلم لماذا يريد جدي أن يعطي له تلك التوسعات ؟ جدي يعتقد أنني سأقبل فقط لأجل تاريخنا معاً ، لأجل أن أتحمك به و يكون هو تحت يدي !! لكن ما لم يعلمه جدي أنني ما كنت سأقبل بالعمل معه و لا حتى لهذا السبب !!!

فبالعمل لا تترك مشاعر الانتقام أو الغيرة أو الصداقة تحركك ، لأنها إن تحكمت بك ستفشل دون مبرر . لكن في وضع كهذا سأقبل فبرغم ما أوقنه بفشله ، الا أنني لن أجازف بفكرة رحيله ، و رحيله يعني رحيلك أنت ، فإن كان إبقاءك قريبة مني سيتطلب تلك الصفقة ، فسأدفع بها ثمناً لأجلك ، فلن أحتمل أن ترحلي بعيداً عني ، فقد جُن عقلي من يومين سافرتي فيهما !! فماذا إن غادرت إلى أمد غير معلوم !! سأفعل أي شيء لإبقائك قريبة مني .

توالت الأيام ثقيلة كما هي عادتها بغيابك حبيبي ، حتى جاء يوم الاحتفال بيوم ميلاد جدي ، و كعادة العائلة كل عام لا بد من أن يقام احتفال كبير بقصر جدي ، يجمع فيه العائلة و المقربين و الأصدقاء و بعض شركاء العمل

الهامين بالطبع . كنت قلقاً كثيراً من عدم حضورك ، فلازلت بمنزل خالتك لأكثر من شهر الآن ، سبع و ثلاثين يوماً الآن و أنتِ تحرميني رؤيتك ، حتى اعتقدت أنهم دهران أو ثلاث ! لا أعلم هم فقط كثقل الجبال لكن يبدو أن قدرتي رق لحالي و قرر بأن يكافئ اشتياقي الذي أدماه غيابك بعد طول انتظار ، بأن يحضرك إيليا !

فحين عدت للبيت ليلة الاحتفال ، علمت أنك رجعت في الصباح من أجل الحفل ، كنت أوقن أن كريم لن يفوت تلك الفرصة ليتحدث مع جدي عن تلك الصفقة و يقنعه بأن تكون له .

و لو تعلمي كم كنت أطوق شوقاً لرؤيتك ، حتى أن قلبي كان ينتفض حين أخبرني جناكم هي سعيدة بعودتك ، و أنك لعبت معها بالحديقة هذا اليوم ، و لأن قلبي لم يطيق الانتظار حتى يبدأ الحفل لرؤيتك ، فدخلت إلى المكتب و وقفت أمام النافذة و كل ما بي معلق بشرفتك ، أردت أن أراك قبل الحفل ليس فقط لأن كلي لا يحتمل الانتظار ، و لكن خوفاً من ذاتي حين أراك بالحفل أخشى أن يخونني شوقي إليك أمام الجميع ، و بعد بضع دقائق من الانتظار ، و كل ذرة بي تريد الصراخ باسمك أن تناديك حتى تخرجني إلى الشرفة ، عبرت من أمامها على عجل ، ثم عُدت و توقفت لحظات على بابها و كأنك تبحثين عن شيء ما ، لكن ما يهم فقد رأيتك !

و يا ليتك حبيبتي تعلمي ماذا حدث لي حين رأيتك ، حتى الدم انتفض بعروقي شوقاً إليك ، و جبال الحنين المتجمد بين عروقي ذابت فيضان حتى وصلت شرفتك ، و بحور اشتياقي إليك صارت جسراً يصل به قلبي لعينيك . لكن أو تدري ما كان الغريب حقاً ! أن بكل مرة كنت أراك فيها كنت كمن يغزل ثوباً من نبضاتي وأشواقني إليك ، و رقة عذوبتك كقصيدة مخملية تزداد جمالاً برقة حروفها و انسياب معانيها ، كقصيدة غزل بقمر العاشقين ، عزف لحن من ليلاً حزين يأسر مسامع المشتاقين ، أصبحت لي طريقاً يملئه الأمل و يستوطن بجناخته نبض الحياة ، الذي يشع من عينك ليشعل روحاً انطفأت بها كل دقات الحياة ، و رغم كل هذا الأمل الذي يولد بداخلي كلما تراءيت عينيك ، إلا أنني دائماً كنت أرى تلك النظرة الحزينة التي تتوارى بين همساتك الدافئة ، فمنذ اللحظة الأولى التي رأيتك بها و أنت تحاولين فيها إظهار السعادة على وجهك ، إلا أن هذه النظرة كانت تحون عينيك و تطفو أحزانك ببحر أنفاسك ، تلك التنهيدة التي قدر ما كانت تزيد من جمالك و جاذبيتك ، هذا الحزن الذي كان يعطيك تلك الهالة ، و هذا الغموض الذي يتماشى و سحر عينيك الخاطف لنبضاتي ، إلا أنها كانت تؤلم صدري ، كان يوجعني هذا الحزن الساكن بك حبيبتي ، و الذي مهما حاولت خنقه حاولت دفنه بعيداً ، كانت تفضحك ابتسامتك الحزينة ، و كثيراً ما تساءلت و نفسي لما هذا الحزن الساكن همساتك الملائكية ؟ أهذا الحزن فقط كونك تزوجت رجلاً لا ترغبيه ! أكل هذا الألم الذي يملئك لأنك أرغمت حياة لم تختارها ؟ أم أن هناك سر آخر لا أعلمه ! و لماذا يحادثني قلبي بأن هناك شيء مفقود ، شيء محببتي ، حتى أن كلامي مع ميس عنك دفعني لأوقن أن هناك شيء آخر ، شيء ما تواربه ! فماذا تُخبئين حبيبتني خلف أسوار غرفتك المظلمة ؟

بدأ الحفل و كان كل شيء كما هو مرتب له مُعد ، أقيم الحفل بالحديقة الكبيرة التي تصل بين القصر و فيلات أعمامي ، كم أصرت أمي و عمتي فهن من رتب للحفل ، كان كل شيء يسير بشكل جيد الحضور و الحفل ، كنت أسيطر على ذاتي أو هكذا اعتقدت ، فقد رأيتك و ارتويت منك قدر الإمكان ، و قد تشاغلتن عن التفكير بك بالترحيب بالضيوف ، فهو لم يكن احتفال بيوم ميلاد كما هو المتعارف عليه ، لكنه كأى حفل عادي حتى أن جدي يرفض إحضار كعكة عيد الميلاد و الشموع ، و يكتفي بترتيبات حفل عادي ، و قد ذهبت للجلوس مع توفيق و هو أعز صديق لي ، حتى أنني أعتقد أنه صديقي الوحيد الذي أتق به و أجد معه نفسي ، فأرى أنه يشبهني كثيراً بكل شيء ، لدي الكثير من الأصدقاء لكن توفيق الأقرب إليا على الإطلاق فأنا أعرفه منذ سنين تعبت من كثرة عددا ، كنا نتحدث حين دخلتي أنتِ إلى الحفل ، و هنا فقدت السيطرة على نفسي تماما فلم أصمد كثيراً كما اعتقدت !

و كانت تلك مررتي الأولى التي أراك تتألقين فيها بثوب سهرة ، يا الهى ساحرتي خطفتِ أنظار الجميع دون استثناء حين دلفتِ إلى الحفل ، حتى أن توفيق سألني من تكون تلك الحسناء ؟ أجابه لساني بأنك هي زوجة كريم الثالثة و الجديدة أما قلبي فصرخ تلك من أهيم بها عشقا و أذوب لها شوقاً .

فقد سحرتي الجميع بجمالك الهادئ البسيط ، فحين رأيتك تخطين إلى الحديقة طار كل ما بي شوقاً إليك ، و عقلت عيني و كل ذرة بي بخطواتك ، حتى أنني تأملت كل تفاصيلك كل ذرة بك ، من بادرة ثوبك الذي كان يغطي الأرض من حولك بلونه الأسود ، و هو يلتف بغصنك ، تلك الفراشة الرقيقة بلونها الذهبي التي طُرزت لتلتف بجناحيها حول خصرك ، و وشاحه الذهبي المتدلي على أكتافك ليواري ما ظهر منها ، إلى عقدك المتألئ حول عنقك بفراشته الصغيرة النائمة على صدرك ، و قرطاك المتدلين من أذناك ليداعبا أكتافك كلما تحركتِ ، إلى وجهك الملائكي ، الذي يكاد يكون خالياً من مساحيق التجميل ، إلا البسيط الهادئ من كحل شرقي أسود ارتسمت بها عينك فزادت سحراً ، و القليل من أحمر شفاه بلونه البني الهادئ لثغرك الفتان ، إلى كل خصلة من خصلات شعرك الملتف كزهرة بريه نائمة تحت أضواء القمر، فكل ما بكِ تلك الليلة زادك جمالاً فوق جمالك ، لم أعلم يوماً أن سحر المرأة و تألقها يكمن ببساطتها و ثققتها باختيارها فغلب حسنك بهاء القمر ، فقد غزلت بكل ما فيكِ أبجدية جديدة للجمال و الأنوثة معشوقتي ، حتى أن الحسن من حسنكِ حبيبتى تواري خجلاً !

تقدمت إليك و رحبت بك و كريم كما رحبت بالجميع ، ثم تحدثت مع كريم قليلاً و ذكرته بتوفيق فلما يكونا تقابل منذ سنين ، و قدمته إليك أيضاً ، بعدها تركت المكان بحجة أنك ستذهبن إلى جدي لتقديمه إليه التهئة بعيدة ، حاولت كثيراً أن أواربك عن عيني تلك الليلة ، الا أنني لم أفجح فقد تبعتك عيني عدة مرات ، و بكل مرة كنت تحاولي أن تتجاهلي وجودي ، تحاولي أن تواري عيني عني ، و أنا الأخر كنت أحاول أن أتجاهلك ، لكنني كنت أتخذ مواقع بعيدة عنك ، حتى يتسنى لي النظر إليك دون أن يلحظ أحد ، لكنني اكتشف لاحقاً أنني لست وحدي من كان يسرق النظر ! أنت أيضاً كنت تسرقين بعض النظرات حين لا أكون أنظر ! كيف عرفت ! أخبرني شخصاً ما !!

ظللت على هذا الحال بعض الوقت ، أحاول الانشغال بالترحيب بالضيوف ، أو التحدث إلى الأصدقاء أو شركاء العمل ، حتى أنفض عقلي عنك ، لكن دون أمل فلم أرى ليلتها سواك ، و كلما حاولت الاقتراب منك ابتعدت عني ، أو جاء أحداً فلا يتسنى لي الحديث معك .

لو تعلمي كم كان هذا يؤرقني ، حتى أنه بدأ يغير من مزاجي كثيراً ، فقد فرحة التي غمرتني لعودتك لرؤيتك ، الا أنني و كجميع بني آدم أطمح للمزيد فيطمح قلبي لكل ما بك ، ليس فقط رؤيتك من بعيد إلى أن رأيت كريم يجلس إلى جوار جدي يحاول الفوز بالصفقة ، فلم يعلم أنني سأعطيها له سلفاً !

لكن ما يهم الآن أنه ليس بجوارك ، و لا يضع عينونه حولك ، لذلك قفزت إلى ذهني فكرة قد تكون مجنونة ، إلا أنها ستمكنني من الاقتراب منك و هذا كل ما أبغي الآن ، أعلم أنها مخاطرة بأن يرانا أحد ، إلا أنني لم أعد أحتمل منع نفسي فتواجدك بالمكان بعد كل هذا الغياب ، و لا أحادثك هو ما لا يحتمل و سيقودني للجنون ، اعتقدت أنني إن رأيتك قبل الحفل هذا سيخمد نار أشواقي إلا أن كل ما بك يُشعل براكيني فيكفيني حضرة وجودك كي أفقد صوابي .

انتظرت حتى جاءت إليك لي لي ، و حينها ذهبت إليها مدعياً أنني أتساءل عن إذا ما كان أحداً بالقصر خوفاً من أن تصحو جنا فتفزع وحدها ، و حين كنت أتحدث إليها و أنت تحاولي أن تواري عيني عنك عنك شاكستها و دفعت يدها التي تمسك بها كأس من العصير نحوك ، فتطايرت منه كثير من القطرات نحو ثوبك ، و ابتلت أطراف وشاحك كثيراً .

أخذت لي لي بالاعتذار و أنها لم تقصد ، حاولت تخطي الأمر و أخبرتها بأنك ستذهبن للفيلا لتنظيف ثوبك و تبديل الوشاح بواحد آخر يتناسب معه ، و اقترحت هي عليك أن تذهبي من ممر القصر الجانبي ، فلن يتواجد أحداً به ، حتى لا تعبري من وسط الحديقة و القصر ، أمام هذا الجمع من المدعوين و أنت مبتلة و تعودني منه قبل أن يلحظ أحد غيابك و بالفعل غادرت .

حقاً لم أخطط لذلك ، فقد خططت أنك ستدخلين إلى القصر لتنظفي ثوبك و ليس به إلا القليل من الخدم و أستطيع أن أقترّب منك لدقيقة أو دقيقتين ، أما فكرة الممر تلك فلم تخطر ببالي ، و كانت بالنسبة لي استثنائية ، اعتقدت أن لي لي تستحق مكافئة لهذا ، حتى اعتقدت أن قدرتي بدأ هو الآخر يغير نظرته تجاهي !

بعد دقائق من مغادرتك تنصلت من الحفل ، تواريت بعيداً عن الأنظار و دخلت إلى الممر ، طلبت إلى طلعت أن يكون بالقرب من مدخله تحسباً لأن يدخل أحداً إليه إلا أن هذا مستبعد ، لكن لا مانع من اتخاذ بعض الاحتياطات .

انتظرتك بأول الممر من الداخل بالقرب من بعض الشجيرات المتقاربة ، لم يكن الممر مضاء بالقدر الكافي ، فلا يمر منه أحداً ، و بعد اثنا عشر دقيقة من انتظاري لك عدت ، تقدمت بضع خطوات إلى داخل الممر ثم توقفت ، التفت خلفك يبدو أنك شعرت وجود أحداً بالممر ، نظرت خلفك باهتمام تأملت الممر لحظات ، كان يبدو توترت واضحاً و حين لم تري شيئاً عدت و نظرت أمامك و كأنه اطمئن قلبك أن لا أحداً هناك ، تحركت خطوتين و قبل أن تخطو قدمك الثالثة توقفت فجأة ، التفت خلفك ثانية و أيضاً لم تري شيء ، لكن تلك المرة ارتسمت بوجهك نظرة مرتعبة ، فعدت و نظرت أمامك ، و قبل أن تحركي ساكناً تلك المرة كنت أصبحت خلفك مباشرة ، فالتفت فجأة خلفك ، و قبل أن تمعني النظر بمن خلفك صرخت بخوف شديد

وضعت يدي على فمك قبل أن يعلو صوت صرختك بالمكان ، هو كان من المستبعد أن يسمعا أحداً ، ليس فقط لأننا كنا بأخر الممر من الجهة الأخرى ، و أيضاً لعلو صوت الموسيقى ، وانشغال الجميع بالحفل ، الا أنني لم أرد أن أترك احتمال لشيء ، دفعتك إلى الحائط خلفك و لازالت يدي على فمك ، أحاول تهدئتك ، كنت كمن رأى شبحاً ، و بدا خوفك جلياً

: اهديني ايما لا تخافي هذا أنا .

نظرت إيليا ، كانت عينك مرتعبة ، و كل ما بك ينتفض ، و لازالت يدي على فمك

: هذا أنا ياسين اهديني ، سأرفع يدي اتفقنا و لن تصرخي !

فأومأت برأسك إيجاباً ، و أنت تحاولين تمالك نفسك و حين رفعت يدي أخذتني نفساً عميقاً ، ثم رحمت تضربيني بيديك بقوة ، و عينيك تمتلئ غيظاً و تصرخين بوجهي

: أيها الأحمق كدت أن توقف قلبي ، كدت أن تصيبني بسكة قلبية !

وضعت يدي على فمك مرة أخرى

: أسف حبيبي ، حقاً أسف لم أقصد إخافتك ، اهدهني و لتخفصي صوتك قد يسمعا أحد!!

حينها انتبهت أين نحن ، و إن سمعنا أحداً أو رأنا معاً بهذا الوقت و هذا المكان لن يكون هذا جيداً على الإطلاق ،
فدفعتي يدي و نظراتك تمتلئ مني غضباً

: ماذا تفعل يا ياسين ؟

حينها صمت لم أنطق بكلمة ، فكم كنت أشتهي النظر بعينيك ، و أنت قريبة مني وأنت بين يدي ، كم كنت أشتهي
أنفاسك داخلي فعاودت سؤالي

: أجننت ! ما الذي تفعله إن رأنا أحداً الآن إن رأنا كريم فنحـ

: اشتقت إليك .. بالقدر الذي لا أستطيع وصفه أو حتى احتماله !!

صمتي و غرقت عينك ببهور عيناى ، و أصبح كل ما بك ينتفض بين يدي ، انتفاضة شوقاً انتفاضة عشقاً و اشتياق
و وجدتني أهمس لك ثانية

: فقط لو تعلمي كم اشتقت إليك إلى همساتك إلى أنفاسك إلى كل ذرة بك !

: ياسين توقف .

: كيف استطعت الابتعاد عني كل هذا الوقت ؟

: ياسين أرجوك اتفقنا أن لا نتمادى بهذا الجنون اتفقنا أن نبتعد ، اتفقنا —

بادرتك مسرعاً و أنا أمسك بيدك

: ماذا ؟ توقفي ايما ، لم نتفق على شيء !

: ماذا ؟ ياسين أنت وعدتني !

فابتسمت لك و رفعت إصبعي بقطعية نحوك

: كلا لم يحدث .. أنا لم أعد بأنني سأبتعد عنك !

: قلت لي —

: قلت أنني أحاول إيما ، قلت أحاول ابتعادك و لا أستطيع ، هذا ما قلته بمنزل ميس أنني أحاول و أحاول ، أنا أعلم جيداً كل حرف يخرج من فمي .

حاولت سحب يدك من يدي ، و أنتِ تنظرين إلى يدك و أنا أمسك بها ، لكنني لم اتركها ...

: أرجوك لا تفعل هذا بي !

: أرجوك أنتِ حبيبتي توقفي عن العبث بكل ما فيا .

و بابتسامة ساخرة

: أنا هي من يعبث بك ! فماذا تفعل أنتِ بي إذن ؟

: أنا أحبك إيما أعشقتك أعشق كل ما بكِ —

و قبل أن أكمل ، وضعتِ أناملك على فمي ، حينها ضاع كل ما بي

: توقف ياسين أرجوك أنا لم أعد أستطيع التحمل أكثر !

فأمسكت بيدك ، و قبلت أناملك ، همست لكِ

: فقط توقفي عن الهروب حبيبتي توقفي عن محاربة كل ما بكِ و من أجل ماذا تفعلين هذا بي و بكِ ؟

بدأت تتلألاً عيناك بالدموع ، و اختنق صوتك كثيراً

: من أجل أن أظل كما أنا ، فلا أستطيع فعل ذلك يا ياسين لا أستطيع !

فوضعت يدك على قلبي ، و عيناى مسافرتين بكل ما فيكِ

: أنا لم أطلب منك شيء حبيبتي ، كل ما أريده و أرغب به هو قلبك ! توقفي عن البكاء فلو تعلمي أن تلك الدموع

تحرق قلبي و تشعل بركان بصدري !

: ماذا تريد مني أن أفعل فلا حيلة لي سواها ، أصبحت كل ما أمتلك !

: قاتلة أنتِ حبيبتي ترين دموعك ضعفاً و قلة حيلة منك ، و أراها قوة تزلزل كل ما بي تشعل براكين غضبي لأثور و

أحطم كوناً لأجلك

فزادت دموعك وارتحلت أصابعي تمسحها عنك ، فآه لو تعلمي ماذا حدث لي حين مست يدي جبينك ، كأني لمست القمر لمست السحاب ، و وطأة قدمي الجنة ! و لم أقدر منع نفسي عنك و أنا الغارق بين يديك الغارق ببهور الأشواق إليك ؟ كيف أمنع قلبي المشتاق إليك من أن تمس أصابعي كل حرف بقصيدتك ؟ أن تلمس أجمل لوحة حُفرت بملايحك ، و أنا المشتاق للمسة منك لمسة تُحيي قلبي الغارق بك ، المشتاق لكل همسة من صدرك كي تسري بين أوردتي ، كيف لهذا الضعف بعينيك حين انتفضت أوصالك أن يجتاح كياني و يزلزل كوني ؟ كيف لضعف امرأة بين يدي أن يقتلع جذوري و يزرعني بين الأنفاس و سحر العين ؟ كيف لضعفك بين يدي أن يقوى على كل أسلحة الكون ؟ كيف لهذا العشق بعينيك أن يأسر قلبي ؟ كيف لخضوعك أن يُخضعني ؟ أن أستسلم لك دون قتال دون مقاومة ، أن أستعذب من أجلك ضعفي !!!

: أحبك ايما أحبك

تلك اللحظة أخذت أقبل جبينك و وجهك حرفاً حرفاً ، ليرتشف القلب من شهد طارده ليالي بالطرقات ، فغرق ثغري بين شواطئ ثغرك ، فثمل قلبي من الشوق حتى أيقن أنه لن يرتوي منك إلا غرقاً فيك ، لن يجرؤ يوماً أن يتنفس غيرك ، تلك اللفظة بأنفاسك و أوصالك تنتفض بين ضلوعي ، و رعشة يديك و هي بالكاد تحاول ايقافي تحاول منعي ، فشهد اللقاء بعد مرارة الغياب كأس يُسكر النبض و الأنفاس ، فلوعة الاشتياق و الحنين بك كانت أقوى من عقلاً لم يقدر منعك أو منعي ، فتهاوت منك أشواقك و كأنك من العشق أكثرت الشوق فثملت حتى غرقت ! فانهارت على أعتاب ليالي الغياب آخر دفاعاتك ، و أيقنت أنك فقدت الأمل بأي انتصاراً بالهروب من عشقك ، و استسلمت حصونك أمام اجتياح الاشتياق مولاتي و مليكة عرشي و كل أحلامي .

و لم أفق من سكرتي بك إلا على اهتزاز هاتفي بجيبي ، فقد اتصل بي طلعت ليخبرني أن جدي يبحث عني . فأفقت من سكرتك بي أبعدت يدي عنك ، و هممت للمغادرة دون أن تتفوهي كلمة أو حتى تنظري إليا ، و قبل أن تتقدمي خطوة ، بدا لي أن هناك صوت أحداً آخر قادم بالمر ، فأمسكت بك من يدك و أوقفتك و قبل أن تتفوهي حرفاً ، أشرت إليك أن تصمت و حين أطلت برأسي رأيت أحدهم قادم ، فتوقف كل ما بي عن الحركة ، الآن قضي على كلانا ، فسحبتك من يدك و دفعتك خلف تلك الشجيرات بهدوء ، و أنا أضع يدي على فمك ، و كان كل ما بك ينتفض خوفاً من أن يرانا أحداً و لم أكن أفضل منك حالاً ، و همس لي لسان حالي (أين طلعت أين ذهب هذا الأحمق ؟)

حينها تشبثت بذراعي ، كنت تمسكين بي و كل ما بكِ ينتفض ضممتك إلى صدري ، همست بأذنك كل شيء سيكون بخير ، توارينا خلف الشجيرات و لأن الممر لم يكن منيراً بالقدر الكافي ، فإن من دخلوا الممر لم يرونا أو بالمعنى الأدق لم يكونوا منتبهين ، فكان لديهما ما يشغلها؟؟

فهما الآخريين كانوا متسللين مثلنا ، كانوا متخفين عن الأنظار ، بالبداية لم أكن أعرف من دخل إلى الممر ، لكن حين تحدثوا كانت المفاجأة الأكبر لي ...!!!!!!

تحدثت بصوت مرتعش

: أخاف أن يرانا أحد !!!

: ليس مهم أن يرانا أحد المهم أن لا يكون ياسين ! يا الهى إن علم ياسين بما بيننا سيقتلع رأسي !!

: أنت رجل و تخافه إلى هذا الحد ، فماذا أفعل أنا الفتاة ؟

: حبيبتى أنا لا أخافه لكن الأمر معقد قليلاً ياسين صديقي بالحقيقة هو أقرب صديق إيليا إن علم أن شيئاً يدور بيننا دون علمه هذا سيكون سيء ، حقيقةً سيكون سيء جداً لي لي ، أنت لا تعلمي أخيك مثلي ، هو يعتبرني أخاه لكن هو لن يفهم أنني أحبك سيعتبرها خيانة له ، و حينها سيقتلع رأسي حرفياً بكل معني لتلك الكلمة ، سترتدين الأسود قبل الأبيض حبيبتى !

بضحكة هادئة

: توفيق أنا لا أمزح هنا !

نعم تلك كانت صاعقتي فصديقي الأقرب إيليا مع أختي ، هل لقدري أن يتلاعب بي أكثر من ذلك !!!!

فرد لها بصوت جاد

: أتعتقدين أنني أمزح حبيبتى !! حمقاء تلك الحقيقة سيقتلني أخيك

: أنا خائفة من أن يوافق جدي على الشخص المتقدم لخطبتي !

فقال بصوت غاضب

: انسي هذا الأمر .. هذا لن يحدث أنتِ لي .

: ماذا سنفعل ؟

: ارفضى فقط ارفضى لن يجبرك ياسين على شيء .

: أعلم .. لكن جدي و أمي أيضاً مرحبة به !

: لا يهم .. إن قال ياسين لا فلا يهم جدك ، أو أمك ، أو حتى إن اجتمعت عائلتك كلها !

: أنا خائفة كثيراً توفيق

: لما لا تدعيني اطلب يدك للزواج الآن !

: ليس الآن توفيق .. سيرفضك جدي حتى قبل أن تكمل ، فلن يقبل جدي بك ، و كل تلك الخلافات بينك و بين

أدهم أخيك و الأسوأ أنه سيمنعني عنك .

فاقترب منها و أمسك يدها و ضمها إليه بقوة

: أنتِ لي حبيبتى ، و لن تكوني لغيري أفهمتِ .

ثم مال إليها.. و قبلها وكانت هي الأخرى تبادله القبلة ؛ حينها لا أعلم ما حدث لي فقط كنت أستشيط غضباً ،

وكدت أفقد صوابي و أخرج إليهما ، و إن لم تكوني أنتِ هي من معي لفلعلتها ، لكنني تمسكت ببعض من عقلي حتى

أنك لاحظت غضبي الذي حاولت منعه ، لكنني لم أكن لأحتمل أكثر الا أنك أمسكتِ بذراعي ، فتمالكت نفسي

و لم يتوقف عنها إلا حين تصاعد رنين هاتفه ، و حين أخرج الهاتف من جيبه و رأى اسم المتصل فقد صوابه و دعر

وتخبط كل ما به و غرق بعرقه لماذا؟

لأنني كنت أنا المتصل ! فلم أحتمل أكثر فأخرجت هاتفني و اتصلت به و حين رأى صديقي العزيز اسمي و أختي بين

يديه كاد يغشى عليه .

ذهبت هي ثم انتظر هو دقائق و تبعها .

؟؟؟

حينها لم أكن أصدق نفسي و كاد عقلي يغادرني حتى أنني خاطبت نفسي بصوت عالي ...

: أكان حقاً هذا صديق عمري و أختي معاً!!!!!!!!!!!!!!

ثم التفت إليك و ابتسمت بسخرية و أنا انظر إليك

: أهما حقاً؟ أم أنني أكثر من خمرك الليلة حبيبي !

: ياسين ماذا حدث؟ هما يجبان بعضهما فما المشكلة !

فأرت ضدك كنت أرغب أن انفجر كالبركان بأحد و كنت أنت من أمامي

: هما يخوناني ايما .. هذا ليس حب تلك خيانة لي !

فنظرتي نحوي و الدهشة تتراقص بأحداقك

: و من نخون نحن ؟

نظرت إليك و بغضب يملئي

: لا تضعيها بنفس الميزان ايما !

فعدتني حاجبيك و شبكتي ذراعيك

: جيد أخبرني إذن بأي ميزان تريدني أن أضعها ؟

: هما لا يقف بينهما شيء ، لا يمنعهما شيء ، أما نحن فكل شيء ضدنا !

ابتسمت بسخرية زادت من غضبي

: كلا منا يرى الأشياء من زاوية مختلفة ، هي مسألة نسبية فالقدر نسبي حتى الخيانة يا ياسين باتت نسبية الان ، ما تراه

أنت لا شيء يعيق طريقهما ، هم يرونها قدرا يقف أمامهما و يحول بينهما تمام كما ترى أنت لنا !

حينها ثارت ثورتي ضدك أكثر

: هم خانوني ايما ، أم كريم فلم يكن يوماً صديقي الوحيد ، و لم أكن يوماً أخاه ، توفيق صديقي الوحيد و هي أختي و

كلاهما خانني !!

زاد غضبك و ثورتك أكثر ضدي ، و أنت تلوحين بيديك

: هو يجبها و يريدھا يقول أنه سيفعل أي شيء لأجلها ، لما تنكر عليهما ما تفعله أنت ، لما تحرم عليهما ما تستبيحه لنا ، أو ليس ميزان العشق واحد أم أن ميزانك غير ميزان الكون ؟ أو ليس بحر الغرام واحد و الجميع به غرقى ؟ أم أن لك الحق بأن تحبها به و لا يحق لهم سوى الموت فيه ؟ أقله أن ما يقف بينهما أنت فقط ، و إن أصبحت أوقن أنهما لم يخطئنا بالخوف منك !

حينها انتبهت أنني أفستد الأمر كله ، حاولت أن أجد شيء أقوله

: إيما ... حبيبتى —

فعاودت عقد حاجبيك و ذراعيك و تنتظرين ما سأبرر به ما قولته ، و تلك المرة ملاً وجهك نظرة غاضبة مني و علا بما كبرياتك فوق كل شيء حتى أنا ! و هذا أشعل ضيق صدري و غضبي ، و كأنك تقولين لي برر ما تريد فلم يعد يهم

: هلا تكفي عن النظر لي بتلك الطريقة إيما !!

: سأكف ياسين سأكف .

ثم التفتي راحلة حتى قبل أن أقول شيء أو أبرر ، و كأنك تعرفين أن ليس لدى ما أقوله ...

: إيما إيما ... جيد هل يمكن لتلك الليلة أن تصير أسوء !!

حاولت ندائك لكنك لم تلتفي حتى و رحلتي غاضبة .

عدت إلى الحفل ، سأل جدي عن سر غيابي فتعللت بأنني كنت أجري تليفوناً هاماً حاولت الهدوء و التعامل مع لي لي و توفيق و كأن شيء لم يكن ، أما أنت فتواريت عني الليل بأكمله ، تلك الليلة حملت بين دقائقها الكثير و الكثير من المفاجآت ، و حملت لي ما لم أكن أتوقعه !

حين انتهى الحفل جلست بحجرة المكتب معلق بشرفتك كعادي ، أعلم أنك غاضبة و هذا كان يثير جنوني !!

ترفقي بي في الغياب ؛ فكلي يتربص بي لأجلك ؛ نبضي متحصناً بقلبك ؛
متهلاً مهلاً بغرام عينيك ؛ تشقُّ روعي بصحاري الشوق نهرًا تصل به
السبيل إليك ؛ فرفقاً بقلبٍ اختطفته أنفاسك ؛ و عقلٍ مفتقدٍ مني بهواك

عم الهدوء و السكون ليالي كثيرة بعد تلك الليلة الصاخبة ، كل شيء مستقر نسبياً ، عاودت بعقلي كل ما حدث بيننا ، حاولت وضع غضبي من توفيق و لي لي جانباً ، في محاولة لرؤية الأمور كما ترينها أنت ، قلبي كان يعلم أنك محقة ، فلما أنكر على قلبهما العشق و أنا غارق به ! لكن عقلي كان غاضباً منهما فلم أكن أتوقعها المفاجأة كانت أكبر من احتمالي ، لا أنكر أن نظرتي قد تغيرت باتجاه أشياء كثيرة ، الا أن قلبي لازال ثابت على عشقك بل و يزيد كل لحظة فيك غرام ، و أنت أيضاً لازلت ثابتة على عنادك ، و لازلت غاضبة مني لكنك لم تتبعدي تلك المرة على الأقل و هذا جيد ، فلم تحرميني رؤيتك ، تتواري كثيراً عني لكن أظل أستطيع رؤيتك ، يصعب الاقتراب خاصة مع كل هذا الغضب منك ، لذلك أحاول أن أبحث عن شيء لإرضائك ، أعلم أن غضبك ليس فقط لما حدث بالمر تلك الليلة العاصفة ، و لكن أيضاً لوضعنا المعقد ، أعلم أنني كنت أحرق تلك الليلة و تفوهت بأشياء أغضبتك لكنني كنت غاضب كثيراً منهما حانق على ما فعلوه قد تكوني محقة لكنني لست مخطئ أيضاً !

لكن لا أستحق كل هذا الجفاء ، لا يستحق قلبي الهائم بك أن يجازى بعد كل هذا الغياب و السفر بجفاء عينك ، أبعد الغياب تجازيني بالغياب ؟

أصبح هذا كثيراً على قلبي احتمالاً ، فلو تعلمي كم قلبي غاضب مني لأنك غاضبة ، حتى أنفاسي تؤلمني لأنك حزينة و هذا بسببي ، فأحاول التوازن و السيطرة على ذاتي ، لكنني أشعر أن كل ما بي مرهق ، أشعر أنني مؤرق عقلياً و فكرياً فكل ما بي داخل بصراع .

فلدي الكثير من الخلافات مع أعمامي تلك الأيام كالعادة ، خلافات كثيرة تخص العمل و إدارة المصنع و الشركة فهم غاضبون لأن جدي أسند لي إحدى صفقات الشركة الكبرى ، يحاول عمي الأكبر سيد و والد زوجتي المصون افتعال بعض الأزمات التي تخص العمل ، حتى يثبت عدم قدرتي على إدارة أي شيء بمفردتي ، غير أن الوقت قد حان لإعلان المكتب الهندسي الذي سيحصل على صفقة توسعات المصنع ، و الذي لم يعلم أحد بعد أنني سوف أسنده إلى كريم و هذا فقط لأجل أن تظلي جواربي ، كل شيء لم يكن يسري جيداً بتلك الفترة ، شعرت لأول مرة منذ زمن بعيد بأني بدأت أفقد زمام الأمور من يدي ، وسط كل تلك الصراعات داخل العمل ، و بالمنزل مع زوجتي من ناحية و العائلة من ناحية ، و الأسوأ بقلبي معك أنتِ !

حتى جاء يوم قرر قدرتي أن يُشعل اللعبة التي هدأت وتيرتها ، و يغازل أحلامي ثانية ، و يعاود التلاعب بي لكن تلك المرة كانت بقوة أكبر !!!!!

كان لدي اجتماع هام بمجلس الإدارة ، كنت منهمك كثيراً أحاول شغل تفكيري عنك فقد مر ثلاثة أيام متتالية لم أراك بهم ، طلبت إلى طلعت ألا يزعجني أحد فلا أحب أن يقاطعني أحداً أثناء وجودي بأي اجتماع ؛ بعد مرور بعض الوقت دخل طلعت إلى غرفة الاجتماعات فصحت بوجهه بغضب

: ألم أخبرك ألا يقاطعني أحداً

: أعتذر ياسين بك لكنه شيء هام لا يجتمل التأجيل

أخبرني بأن هناك ضيف هام يريد مقابلي ، أخبرته أن أي من كان فلينتظر حتى ينتهي الاجتماع ، لكنه عاد و همس لي عن من يرغب بمقابلي .

ملأتني الدهشة حين ردد على مسامعي اسم الضيف ، وقفت مسرعاً ، و طلبت إليهم تأجيل الاجتماع ، خرجت من الغرفة مسرعاً ذهبت إلى مكنتي ، حين فتحت الباب

وجدتك أنت ، أنت حبيبتي هي من يرغب بمقابلتي ، حين رأيتك أمامي لم أكن لأصدق عيني ، أنت هنا أمامي و أنا الذي يشتهي طيفك ، لو تعلمي أن كل ركن من أركان اهتزازي حين رددت اسمك على مسامعي ، التي كادت لا تصدق أنك هنا حقاً ، فكيف لي أن أفكر و أنا هو المشتاق لنظرة عابرة منك ! أنا هو المتيم بتفاصيل غيابك قبل حضورك ! أنت حقاً هنا حاضرة أمام نبضي و عيني ! أنت هنا واقعاً أمام أنفاسي و روحي و لست حلماً يراودني أو وهم يشتهي قلبي !!!!

دخلت إلى المكتب و أشرت إلى طلعت أن يقف بالباب حتى لا يدخل أحداً ، أغلقت الباب ، و وقفت بصع دقائق ثابت بمكان ، لا أتحرك و لا أترجح ، أملاً عيني بك و منك ، أكاد لا أصدق ما أراه حتى انك اندهشت كثيراً من ردة فعل

: ماذا بك ؟ لما تقف هكذا ؟ أعتذر عن حضوري دون موعد ، أنا كنت أنتظر حتى تنتهي لكن طلعت هو من أصر على دخولي إلى مكتبك -

: اشتقت إليك كثيراً عشق قلبي !

خجلت عينك و امتلأت وجنتيك حمرة أشعلت قلبي أكثر و أكثر

: أعتذر فلم أشأ أن أقاطع عملك ، فقد أتيت دون موعد سابق و أعتذر بشدة عن هذا لك

تحركت نحوك ، و قبل أن تكلمي

: تأتيني متى شئت .. و متى تأتي تدخلني إلى مكتبي دون استئذان .

: هذا لطفاً كبيراً منك ياسين بك !

حينها وقفت مكاني فحقاً فاجأتني منك ، فرددتها لك بدهشة

: بك !!!! ماذا يعني هذا ؟

و قبل أن تقولي شيئاً ، عدت و تقدمت إليك خطوات و أنا أشير بيدي

: أعلم أنك لازلت غاضبة مني ، و أعلم كم كنت أحمق ، لكن ألا يكفيك عقاباً لي إلى هذا الحد ! أقسم أنني لم أعني

ما قلته

: لست غاضبة منك ، أنت قلت ما تريده و ما تشعر به و انتهى الأمر ، ما من عقاب و أكبر دليل على هذا أنني هنا و أريد أن أطلب منك معروفاً تسديه إيليا !

: لك ما شئتِ حبيبتي ، أي شيء تريديه هو لك !

فجلستِ و بدا التوتر واضح على وجهك ، سألتك

: لما كل هذا التوتر ؟ أهو شيء صعب إلى هذا الحد ؟

: أعتقد أنه ليس سهلاً لي ، ولكن لك أعتقد أنه بسيط لك !

فجلست إلى الكرسي المقابل إليك

: أريدك أن تعلمي أنك إن طلبتي نجمة من السماء سأحضرها تحت قدميك ، فقط أشيري إلى ما ترغبين به ، و سأتيك به .

ابتسمت لي تلك الابتسامة الملائكية التي تنتزعي من ذاتي و تزلزل عروشي

: لا لن تصل إلى نجمة و ان كنت قد أخرجتني بكرمك ، و زدت طلبي صعوبة .

: ايما حبيبتي فقط اطلبي ما شئتِ ، و سألبي أي رغبة لكِ ، فهذا كل ما أطمح له .

: أعلم أن كريم يتفاوض معك على صفقة تخص العمل ، أليس كذلك ؟

: نعم هناك بعض التوسعات بمصنع جدي و هو يريد المشاركة .

: أعلم أنك لازلت تفكر بالعرض ، و لهذا جئت إليك .

صمتي قليلاً و قد بدأت أفهم لما أنتِ هنا

: تريدين أن أقبل العرض !

صمتي و بدأت قدميك بالاهتزاز كما هي عادتلك حبيبتي حين توترين ، صمتي صمتاً قدر جاذبيته حين تصمت شفتاك لتبدأ عيناك بثثرة من نوع آخر ، و كأن عينيك تعطى لصمتك قبل كلامك سحراً خاصاً ، أخذ ينقلني إلى عالم ليس به غيري و أنفاسك قاتلتي بسحر صمتك قبل كلامك.. فقلت لكِ و قد علمت لما أتيتني أو هكذا اعتقدت

: أخبرتك أن لك ما شئت ، اعتبر أن تلك الصفقة أصبحت له .

فوقفت قبالي و بادرني دون تردد أو تفكير بصاعقة ردك

: أريدك أن ترفض العرض الذي قدمه لك !

جاءني بها صوتك كقنبلة مدوية انفجرت بي ! اقتلعتني دهشة منك ، أسقطتني من سماء أخذتني إليها عينيك لتزرعني أنفاسك بين السحاب ، فتعبيديني فجأة إلى أرض صلبة ارتطمت بها بقوة ، توقف كل ما بي لحظات من هول الصدمة

: ماذا قلت ؟

: فقط ارفض و أخبره أن عرضه لا يناسبك و أن لديك ما هو أفضل

وقفت و أنا أحاول ملممة عقلي من صدمته

: لا أفهم .. اعتقدت أنه أرسلك—

: كلا لم يفعل ، و أنت لن تخبره عن تلك الزيارة ، إياك يا ياسين سيقتلني إن علم !!

: حسناً .. هل لي أن أعلم لما تريدني هذا ؟ أنت تعلمي أنه يريد تلك الصفقة و بأي وسيلة ! أتعلمي أنها ستحسن كثيراً من أوضاعه ؟ لماذا تريدني أن أرفض ؟

فعاودت الجلوس ... صمتي و تلك المرة صاحب صمتك تنهيدة ، قدر ما ملئت صدري بأنفاسك التي اشتيتها بصحو قبل منامي ، إلا أنها أشعرتني بأنك لست بخير ، استرسلت بهدوء و ضعف

: فقط ارفض أخبرني أنه لديك عروض أفضل من عرضه كثيراً ، فقط اقبل أي منها.

فبدأ قلبي ينبني بأن شيء ما وراء هذا فعاودت سؤالك بحدة

: لماذا إما ؟ لماذا ؟

فعاودت الصمت كعادتك ، فبدأت أثور

: لا أعتقد أنني سأقبل بصمتك إجابة أتيت إيليا دون علمه ، و تريدي منى أن أرفض لابد أنه شيء هام الذي تريدي أن أرفض لأجله ؛ فما هو ؟

بدأت توترين أكثر ، و لازلتِ على صمتك

: حبيبتى أعتقد أنني أستحق تبرير بسيط إن كنت سأنفذ لك رغبتك !

و بعد كثيراً من إلحاحي ، حتى أنني بدأت أثور من صمتك ، الذي لم أقبل به تلك المرة ، وقفتِ و هززتِ كتفك

: إن رفضت تلك الصفقة فلن يكون هناك ما يبقى هنا من أجله ، و سيضطر إلى الرحيل ، سنعود مرة أخرى إلى إنجلترا .

: و أنت تريدين الرحيل .. تريدين الابتعاد عني !!!

فأشحتِ بعينيكِ بعيداً بصمت ، حاولتِ أن تداريهم عني ، أن تمنعهم أن يحدثوني بما في داخلك ، حاولتِ قمع ثورتهم عليكِ خشية أن يفضحوا قلبك و يصرخوا بي عشقاً ، هذا ما دائماً تفعله ، بدأت تشتعل ثورة غضبي

: قلت لك لن أقبل بصمتك تلك المرة !

: فقط أريد العودة إلى هناك

فأمسكتِ بذراعك

: انظري إيليا و أخبريني أنك لا تحاولي انتزاعي من داخلك ، أنت لا ترغبين بالعودة و إنما ترغبي الهروب مني ، أخبريني

أنك تريدين قتلي حبيبتى بابتعادك عني !!!

: فقط ارفض أرجوك ياسين ارفض ، قلت أنك ستلي كل ما أريد !

: أعتقدين إن فعلت ما تريدين ، سيكون هذا كافي لقتل الحب بيننا ؟ لكي توفقي فيضان عشقاً اجتاح كلانا! أعتقدين

أن هذا كافي لينتزعك من داخلي و ان يمنعك عشقي ايما ! أحقاً تنوهمين ذلك !

قربتكِ إلى قلبي

: أنا لم أختار أن أجن بك ، أن أدمنك حبيبتى ، و أنت لم تختاري أن تعشقينى هذا لم يكن اختيار أي منا ! فلماذا

تعاقبيننا لما ليس لنا به ذنب !!!

زاد بكاءك و أنتِ تبعدين يداي عنكِ

: هو لم يكن اختيار أي منا ، و لكن عقلي يستطيع منع هذا من أن يخرج عن السيطرة ، لا يجب أن يستمر هذا !

فابتسمت بسخرية

: جيد أن أحدنا لا زال لديه عقل يفكر !

جلست إلى الكرسي ، فقد زاد حملي أحمال بما آتيتي تطليبه مني

: أنت متزوج و لديك ابنتك و حياتك ، و أنا لدى زوجي و حياتي ما يحدث هنا ليس صحيحاً ، هذا لا بد أن ينتهي ،

لم يجب أن يحدث من الأساس !

فانتفضت من مجلسي ، و صرخت بوجهك و لا أعلم كيف

: و قد حدث ايما ، حدث ليس برغبة مني و لا بطلب منك هو فقط قدرنا !!

: إذن فلترفض و تتركني أرحل ؛ فقط اتركني أرحل !

فعاودت الجلوس لكن تلك المرة أنا من صمت ، تلك المرة أنا من ليس لديه شيء ليقوله ، ماذا أقول و صمتي فاق كلامي بكثير حبيتي ، نظرتي إيليا و لم تقولي شيئاً ظل كلانا صامت و لم يكسر صمتنا سوى رنة هاتفك ، فتخبط كل ما بك لم أحتاج أن أسأل من المتصل ، فقد بدا من تعابير وجهك أنه هو المتصل ، و أنتِ راحلة نظرتي إيليا و رجوتني أن أرفض ، و أن أنهى كل هذا العذاب كما أطلقت عليه .

و لا أكذبك القول إن كان عشقنا لكِ عذاب ، فهو لي بمثابة جحيم أحبياه ، فقد اهتزت لكي عروشي و تزلزلت أكواني ، عشقك هذا الذي يجتاح رجلاً مثلي رجلاً لم يري النساء يوماً إلا شهوة عشق قاتل !!!

قاتل لرجل لم يؤمن يوماً بأن لا شيء لا يستطيع أن لا يمتلكه ، كل ما يرغب به يأتي تحت قدميه ، رجل لم يتعود في رغبة النساء انتظار ، ها هو يقضي ليله يطارد طيف امرأة لا يشتهي منها جسداً بل يشتهي نظرة من عينها ، أو ابتسامة تداعب شفيتها ، نسمة تحمل عبير أنفاسها ، أو هواء عبر خصلات شعرها ، يشتهي أن تمس يدها رجاها ، أنا هو الذي يمتلك ما أراد ، لا يريد غيرك و لا يملك سوى ما ترأفي به لحاله ؛ كيف لي أن أتركك تذهبين و كل ما بي لا يرغب امرأة غيرك ؟

تلك الليلة ذهبت لغيرك ، فقد ألمني كبرياء رجل بي لم يعد يحتمل رفضك ، كبرياء رجل شرقي لم ينحني يوماً سوى لمن خلقه لم يعد يحتمل ما تفعليه بي ، كبرياء لم يستطع رجال و لا نساء قبلك أن يخطو خطوة قربه ، أتركك تتلاعبين بي كيف تشائين سواء تعمدتِ فعل هذا أو لا ، أنا الذي لم يتنازل يوماً عن كبريائه لأجل أحد ، أتنازل عنه لأجلك ، و الأسوأ أنني من يفرشه لك عن طيب خاطر !! ذهبت لغيرك لأفتش عن قبر ألقى به عشقك ، أفتش عن من يُسكن جرحي و يقتلعك من نبضي ، ذهبت لامرأة غيرك لعلني أطفئ بها شهوة عقلي منك ، لعلها تريح شهوة قلبي بك ، شهوة إليك تقتلني ، شهوة لم تروى منك يوماً بل تزيد نهاراً و ليلاً ، شهوة تشعلها عينيك ، و تزيد جمرها شفتيك ، شهوة لضحككتك التي تغزو ليلي ، شهوة لطيفك الذي يغتالي بصحو و منامي ، حاولت أن أجتزك من داخلي!

ذهبت لامرأة تعودتها قبل ظهورك بحياتي ، تعودت أن تدفئ ليالي حياتي الباردة ، تعودت زيارتها كلما اشتدت بي عواصف زوجتي ، و رغم أنني تعودت غيرها من النساء ، إلا أنها كانت إحدى الثوابت بحياتي ، فكانت جامحة تطوق لإرضائي و تعشق إغوائي تتلذذ بلحظاتها معاً ، كنت أتردد إليها من وقت لآخر كلما اشتد بي الحنين للياليها الجامحة التي كانت ترويني فيها بكل ما أشتهي .

كل ما أردته تلك الليلة أن أدفك بقبر قلبي للأبد ، و حين هممت بها رأيت طيفك بأحداقها فتوقفت ! أغمضت عيني و جئت أقبلها فاشتبهت أنفاس ثغرك فامتنت ! أخذت تداعب جسدي بأناملها و تروي بنغرها صحرائي ، تدللت و تقربت تلاعبت بكل شهواتي ، أزاحت عني قميصي ألقيني إلى ظهري بمضجعها ، و أخذت تغزوني دون توقف دون استمهال ، اعتلنتني لشير شيطاني ، فأغمضت عيني عنها ، فتعجبت مني و غضبت كثيراً ، و كيف لها أن تُشعلني و أنا لا أستطيع حتى أن أراها !!

سألنتني بغضب مكظوم ، و هي تلتقط ثوبها الشفاف لترتديه ، بعدما امتنعت عنها

: ما بك !!!

: لا شيء مرهق قليلاً .

فشاكستني مبتسمة ، و هي تستلقي على الفراش و تضع رأسها على فخذي

: منذ متى أنت دائماً مرهق ؟ حتى أنني لا أعشقتك إلا و أنت مرهق .

فابتسمت مما تلوح إليه فشاكستها

: ألا يمكنني أن أحظى ببعض الهدوء و السكينة البريئة معك !

: لك كل ما تشاء حبيبي .

ضمتني إلى صدرها بقوة و أخذت تقبل رأسي بجنو ، و تمسح بأناملها على جبيني ، و تلمس بباطن كفها كل ذرة من جسدي المستلقي بين أحضانها ، و بعد قليلاً من الصمت ، سألتني بجنث أنثوي ...

: من هي ؟

فجاء سؤالها لي صدمة أسكتتني لحظات ، ثم اعتدلت قليلاً و رفعت رأسي عن صدرها ، و نظرت لها متعجبا ، أني لها أن تعرف أن بقلبي امرأة ؟ فادعيت عدم الفهم و سألتها

: عن من تتحدثين ؟

: عن تلك التي سرقتك ، عن تلك الجنية التي سحرتك !

فزادت دهشتي منها أكثر ، أني لها أن تعلم ؟ أحقاً النساء لديهم تلك المقدرة ليعرفوا إن كان بحياة رجلهم امرأة أخرى أم أنها محض خرافات ؟ كاد يقتلني الفضول لمعرفة كيف استشعرت وجودك بقلبي ؟ لكنني لم أسألها لأن ذلك كان سيؤكد وجودك بحياتي ، و أنت هي سر الصغير فحاولت التنصل منها

: أكل هذا لأنني مرهق أصبح هناك امرأة بحياتي !

فضحكت ضحكت بميوعة ، رن صداها بالحجرة ، و هي تعتدل و تغازل بأصابعها ذقني بدلال

: ياسين حبيبي ، أنت دائماً لديك امرأة جديدة بحياتك !

فتنهدت بقوة و أسندت مؤخرة رأسي إلى وسادة خلف ظهري

: إذن ما الجديد ؟

فابتسمت و هي تجثو فوق صدري ، و وجهها مواجهها لي ، و بنظرات أنثوية تشتعل غيرة ...

: الجديد أنها ليست بحياتك ، تلك الغامضة هي حياتك ، فقد تملكك منك و استوطنت بين ضلوعك ، تلك الجنية هي من سلسلت شيطانك !

أمسكت ذقني بأناملها و غاصت ببحر عيني

: كم يعتريني الفضول لأراها ، كيف يكون وصفها تلك الساحرة التي أحكمت أوتاد قلبك ؟ أهي تشبه باقي النساء ؟ أم أنها هبطت من كوكب آخر ؟

فابتسمت منها كثيراً و لازلت غارق بعينها ، تنهدت بعذاب قلبي منك ساحرتي ! و رفعت لها حاجبي لكنني لم أجب بشيء .. فنزلت عني ثم عاودت ضمي إلى صدرها فاستسلمت لها ، و بعد لحظات دفعتني عن صدرها فتعجبت!!! رفعت عن جسدها ثوبها الشفاف الذي ارتدته ، و عاودت الكرة ثانية ، فراحت تداعب أرضي المستسلمة لها تمور فوقي و حولي و همست لي بأذني و قد لقمتم شحمتها

: لنرى لأي مدى سيصمد الليلة شيطانك !

فتركتهما تجتاحني لعلها تنتزعك من داخلي ، وجدتني أغمض عيني عنها ، و تركتها تستبيح صحرائي

لكنني لم أرى سواك ، وقف طيفك بيني و بينها ، حال دونك و دونها ، فلم أرى بمفاتن جسدها العاري سوى عينيك ، و لم أسمع من همسها لي بما يثير الدماء بعروقي سوى أنفاسك ، طار بعقلي لحظات معك لحظات أغويتني بها دون إغواء !! لحظات بقربك خدرت بها أوصالي دون وصال و عبرت بي النشوة و اللذات !!

هي كانت لحظات حين قبلتُك ، و دُقت الخمر بثغرك ، غرقت بشهد اللذة و قلبي ينام بصدرك ، أشعلتني جمرأ حين مستني يداك ، حين اجتحتني فيضان عيناك ، و زلزال أنفاسك ضربني بقوة حملتني إلى السماء و عاد ليغوص بي بين أمواج البحور بهمسك ، و يداي حين التفت الكون تحاكي النجوم بخضرك ، و عيني حين سافرت اشتهاه ترتحل بغصنك ، فصرخت منك شوقاً ، فزادت دهشتها! فابتسمت غضباً !! وكيف لامرأة أن تطفئ ما أشعلته يداك
!!!!!!!

فأزحتها عني بقوة ، و انتفضت من مكاني ، كانت تنظر لي و كأنها أول مرة تراني ، كان الغضب يجتاح صدري ، فلم يحتمل قلبي أن تدنس إحداهم لحظات انتشائي بك ، التقطت قميصي و هممت للمغادرة ، و قبل أن أرحل استوقفتني

، قبلت منبت عنقي برقة و اشتها ، فأبعدتها بيدي و أنا أبتسم لها بضيق ، فهمست لي بدلال و أناملها ترتحل
بصدري بشوق ، و عينها تغمري بغيظ شهوتها لي

: حين ترى ياسين أخبره أنني أنتظره و أشتهي أن يسقيني خمر لياليه !!

ابتسمت لها ، و حين همت لتقبيل ثغري أشحت عنها ، قبلت جبينها و رحلت !

؟؟؟

دلفت إلى سيارتي ، و أسندت ظهري إلى الكرسي ، و كنت لا أزال أغلق أزرار قميصي ، تنهدت بحنق ملأ صدري ،
تأججت عاصفة غضبي فروحت أضرب مقود السيارة بيدي بضيق عدة مرات متتالية ، و أنا أرطم مؤخرة رأسي
بالكرسي خلفي ، زاد غضبي منك جبال ، و لكن غضبي من ذاتي كان أعنى !

لما لا أستطيع انتزاعك من داخلي ؟ فلما لا يقبل قلبي بغيرك ؟ و لا يرغب عقلي بامرأة سواك ، فابتسمت من ذاتي
أحمق أنا و كيف لي أن ألومهم ! و إن كان شيطاني قد تعفف عن من هي سواك !

فكيف أسأل قلبي أن يقبل بنجم بائس يدور بفلكك ! كيف لغيرك أن تجري بشرياني ، أنت هي من كبلت شيطاني و
أحكمت أوتاد قلبي برحاهها ، أنت هي العبيدة التي لا ترضخ أبداً ، التي يقتلها الحنين إيليا والاشتياق إلى ضلوعي
فتكابر ، من تشتهي وصالي و تأبى ، أنت هي البعيدة الأقرب إلى قلبي مني ، كيف لي ألا يفصلني عنك بضع خطوات
؟ و أنت لي أبعد من نجمة بسماء ، كيف لك أن تكوني أمام ناظري على مداد يدي ؟ و أنت هي المستحيللة الوصول ،
كيف لك أن تجعليني رجلاً لا يرى غيرك و لا يقبل بامرأة سواك ، لا يشتهي سوى قربك ، فبين رحاك اجتمعت النساء
!

و أنا الذي يتحاكى الجميع بكثرة علاقاته ، بكثرة النساء بحياته ، قلبت تاريخي ، و بعثرتي كياني ، اقتحمت حياتي ، و
استوطنت أحلامي ، و اختزلت كل نساء الكون بعيني بين أنفاسك و دقاتك ، و بعد كل ما فعلته بي تسأليني أن
أتركك ترحلين .. فقط ترحلين .. حمقاء أنت حبيبتى !!!

؟؟؟

عدت ليلتها فجراً و كل ما بي كان حانق منك ، ساخطاً على ما وصلت إليه بعشقتك غاضباً من ذاتي لما تركتك تفعليه
بي و قفت بحجرة المكتب معلقاً بشرفتك ، كنت تجلسين بالشرفة كعادتك تقرئين كتابك .

حينها تعلقت عيني بك رغم غضبي منك ، سكنت روحي و هدأت عاصفة انزعاجي ، وجدتني أقسم لنفسي بكل هذا العشق الذي يملني لك كل هذا الاشتياق الذي يقتلني إليك .. أقسمت أن أقتلع هذا العند الساكن رأسك ، أن أقتل بك هذا الكبرياء الذي يقوبك بوجهي ، أن أنزع عنك كل ما يجعلك تصمدين أمامي ، أقسمت أن أذيقك من كأس جحيم عشقك ، قدر ما ارتويت منه ، أن تذوقني بعضاً مما تفعلينه بي ، أن تصرخي بي عشقاً ، كم تصرخُ منك روحي هيأماً ، أقسمت أن تكوني لي مهما كلفني الأمر ، ستكونين لي شئت أم أبيتِ !!

أخرجت هاتفني و أرسلت رسالة لكريم على هاتفه لم أكتب بها سوى كلمتين !!

” مبروك شريك ”

أغلقت هاتفني و جلست أراقبك أشعلت سيجارة ، لعلي أنفت بها بعضاً من ناري منك ، حينها دخل كريم إلى الشرفة يكاد يرقص فرحاً ، أمسك بك من ذراعيك و أخذ يدور بك بضع لحظات ثم توقف رفع هاتفه بوجهك كي يريك رسالتي ، فاصطنعت الفرحة .

خرج هو من الشرفة أخذت تهزين رأسك غضباً و رمقت القصر بنظرة تمثلي حنق ، سقطت على كرسيك ، حمقاء مثلي فقد اعتقدت أنه يمكنني التخلي عنك ! بعد قليل غادرت الشرفة حينها ابتسمت و أخذت نفساً عميقاً من سيجارتي ، و أسندت رأسي إلى ظهر الكرسي ، و أخرجته متقطع بهدوء و تلذذ ، و قد غمرتني بعضاً من مشاعر السعادة لطريق بدأت أرسمه كي أصل إليك فلم يعد يهمني شيئاً سأصل إليك و ستكونين لي ! و الشراكة بيني و بينه هي أول خطوة بهذا الطريق ، و اعترفتني مشاعر الرضا من غضبك فلا مانع من أن تغضبي قليلاً حبيبتني ! على الأقل بتنا تلك الليلة و هناك ما يجمعنا !!

أنهيت سيجارتي ، و آويت إلى فراشي لأنعم بليتي معك ، لأظفر ببعض السكينة و الهدوء بحضرة طيفك ، فبأوهامي تكونين لي كما أشاء ، فلا يشاركني بك أحد و لا يمنعني عنك شيء ، غير أنك بأحلامي لا تكونين عنيدة إلا بين أحضاني !!!!

باليوم التالي كانت لدى بعض المواعيد الهامة خارج الشركة ، و حين عدت وجدت طلعت يخبرني أنك تنتظريني بمكتبتي ، ابتسمت كثيراً و طلبت إليه تأجيل كافة مواعيدي حين مغادرتك .

حين دلفت إلى المكتب كنتِ تقفين أمام النافذة شاردة ، حتى أنكِ لم تنتبهي لدخولي ، حينها أنا الآخر انتبعت لشروذك فأغلقت الباب بهدوء ، و سرقت الخطوات بروية حتى لا تنتبهي ، وضعت حقيبة أوراقى فوق المكتب ، تسللت بخطوات هادئة نحوك و أنتِ تقفين كغصن زهرة بريه متمائلة بثوبك الأزرق الأنيق ذا الأكمام القصيرة ، بطوله المتوسط الذي كان يمتد إلى نصف ساقيك ، وقفت خلفك و رائحة عطرك تتسلل إلى أوردتي لينتفض الدم بعروقي ، اقتربت أكثر و أنا أشتم رائحة جسدك ، التي بدأت تغزوني منذ دلفت إلى الحجرة ، ثم ملت إليك و اقتربت من أذنك و همست لكِ ، و أن أقرب أصابعي من عنقك

: يقولون أن منظر القاهرة من هنا جميل ، الا أن حُسن جمالك اليوم تخطى الشمس و القمر و النجوم و القاهرة المعز حين تجملت بأبهى عصورها !!

فانتفضت خوفاً و أنتِ تلتفنين نحوي ، فسكنت صدري دون قصداً منكِ ، فالتفت يداي بكِ و غرقت نظراتك ببحر عيوني لحظات ، ثم انتبعتِ فدفعتنى ...

: هل تستمتع بإخافتي ، ياسين ؟

فابتسمت و أنا أعاود الاقتراب منكِ

: إن كنتِ بكل مرة أخيفك فيها ستسكينين ضلوعي !! فسأحرص على أن أقتلك رعباً حبيبتى !!

صمتي و تراجعتي بعض خطوات ، و عيناك تتوارى مني خجلاً ، و رفعتي بأصابعك بعضاً من خصلات شعرك الهاربة على جبينك ، فحدثتك

: لو تعلمي كم أنا سعيد لأنني أحظي بتلك الزيارات الخاطفة !!

فارتسمت تلك النظرة الغاضبة بعينيك ، و أنفاسك الثائرة ، كل ما بكِ كان يثيرني يشبع رغباتي بكِ و يشعلها أكثر ، فنظرت إليك دون أن أقول شيء ، فأعلم مسبقاً سر الزيارة لكن لما لا أشعل وتيرة غضبك الآن ، فهذا يثيرني أكثر من جمالك

: أخشي أن أعود على ذلك ، فأدمن زيارتك لي و حينهــــ

: أخبرتنى أنك ستفعل أي شيء لأجلى !!

فجلست و اتكأت بظهري إلى الكرسي ، و أنا أضع ساق على الأخرى ...

: و أظل عند كلمتي فقط أشيري حبيبي إلى ما ترغبي و أنا ألي !

حينها اشتعلت أحداقك ناراً ، كدت أخرج عن سيطرتي و أضحك من ثورتك ، إلا أنني تماكنت نفسي ، و حاولت
أنت أيضاً كظم غيظك ...

: أتذكر أنني طلبت !! و أنـ

فوضعت ذراعي على ساعد الكرسي و قاطعتك ببدوء زاد غضبك ...

: أنا ماذا حبيبي !!!!

فنظرت إيليا ، و أنت تحاولين التمسك ببعض من هدوئك ...

: لما قبلت عرضه يا ياسين ؟ لما أعطيته تلك الصفقة ؟ لما و أنت تعلم أن عرضه أكثر عروضك تواضعاً ؟ و مع ذلك
أعطيتها له ، رجوتك ألا تفعل !

: فقط لم أستطع !!!

فابتسمت بسخرية و أنت تحركين يديك بتوتر

: أتريد أن تخبرني أن جدك أو عمك هو من أعطاها له ، لا تقولها لأني لن أصدقك ، فأنت هو المتحكم بكل شيء ،
أنت من يقرر و لا يراجعك أحد حتى جدك !!

: لم أقل ذلك عشقي ، أنا من أعطى له تلك الصفقة .

: لماذا ياسين أعطيتها له ؟ لماذا ؟

حينها زادت بسمتي بغضب ، ثم انتفضت من مجلسي ...

: أحقاً تسألين ؟ أحقاً كل هذا الغضب الذي يمتلأ به صدرك و تحترق منه أنفاسك ؟

نظرت لي بدهشة و أنت صامتة ...

: حسناً حبيبي إذا كنت تعتقدين أنك تستطيعين الهروب من عشقك لي ، إذا كنت تعتقدين حقاً أنكِ تحتملين غيابي ..
فأنا أعترف أمامك أنني لن أحتمل أن تغيب عني ، فأنت حبيبي و عشقي و كل ذرة بروحي و لن أحتمل ابتعادك .

ثم صمت لحظات ، و أرى عندكِ يحوم بأحداقك ، فتخطيتك و تركتك خلف ظهري

: لكن مع ذلك إن كنتِ تصرين الرحيل سأتركك ، و لكن لي شرطاً واحداً !!!

فتساءلتِ بصوت يشوبه القلق

: أي شرط هذا ؟

فالتفت إليكِ ، و تقدمت إليكِ حتى تلاقينا ، و يداي أقبضهما بجيبي أحاول تمالك غضبي حتى لا تفلت ثورتني إلا أنني لم أصمد كثيراً ، ملت إليكِ ...

: غادريني إيماً !!

فرفعتي عينيكِ بعيني و بوجهك دهشة اجتاحت كل ذرة بكِ ، و بدأت ثورتني تركض نحوك

: تريدن الرحيل .. ارحلي حبيبتي كما شئتِ لكن قبل أن تغادري جواري .. غادري قلبي ، غادريني ! غادري روحي الممتلئة بكِ ، غادري أحلامي التي لا ترى غيرك ، غادري عقلي الذي لا يرغب بامرأة سواك ، أعيديني إلى ذاتي ، أعيدني لي كل ذرة بداخلي ، أعيديني إلى ما كنت عليه قبلكِ ، أعيديني إلى حيث وجدته ، فليس عدلاً أن تتركيني طريداً في الطرقات تتركيني غريباً بلا وطن !!

زاد خوفك و تسارعت أنفاسك و أنتِ تتراجعين للخلف ...

: أتعقدن أنني سعيد بحميم ألقاه بعشقتك ، أنتِ هي القريبة الأبعد من النجوم ، أنتِ إيليا ساكنتي و إليكِ أنا الغريب ! أنتِ هي التي تملئني و لا أستطيع لمسة منكِ تفاحتي المحرمة التي لا أشتهي سواها !

ثم فقدت صوايي ، و أمسكتك من معصمك بقوة أمتك ، و الغضب يكاد ينتفض بأحداقي ، فهو مثل عشقتك لا يمكنني السيطرة عليه

: أتعقدن حقاً أنه من السهل أن أراكِ معه ، هو من له الحق بكل ذرة بكِ ، و أنتِ لا تريديه ! و أنا العاشق لكل ذرة بكِ ولا أجرؤ اقترابك !!

كنتِ تنظرين إيليا ، و كل ما بكِ ينتفض ، حاولتِ فك يدكِ من أغلال يدي و أنتِ تتراجعين للخلف ، إلا أنني أحكمت قبضتي عليها أكثر ، فتأوهت بصوت مرتفع و الدموع بمآقيكِ و أنا أتقدم إليكِ

: أتعرفين أي جحيماً يثور داخلي حين أرى يداه تلتف حولك ، أرى أصابعه تداعب خصلات شعرك ، أو تلمس جبينك ، أتعرفين ماذا يحدث لي كل ليلة و شيطاني يساور عقلي عنك و كيف يضمك بفراشه ؟

اصطدمت بالكروسي من خلفك و كل ما بك كان يرتعش ...

: ياسين —

تركت معصمك و جذبتك إيليا من ذراعك بشدة انتفضت منها وأشرت إلى ساعة معلقة على الحائط

: تريدان الرحيل !! ارحلي حبيبي .. لكن أولاً أديري عقارب الزمن إلى الوراء ، عُد بي حيث التقيتكم أول مرة ، و هناك في تلك اللحظة و ذاك المكان اتركيني و ارحلي !

ثم جذبتك بقوة أكثر حتى سكنت صدري ، و أكاد أفتك بذراعك

: و أنصحك حينها أن تسرعني بالركض معذبي ، لأنني حتى بعد كل هذا الذي ألقاه بعشقتك و على يديك ، و إن عدت ألف مرة للوراء سأصاب بسهم هواك ! و إن كان لي اختيار حبيبي .. فلن أختار غيرك بكل مرة ! إن وضعوا أمامي ألف سبيل لن أختار غير عينيك سبيل .. و إن كان بنهايته هلاكي سأختارك أنت ! لن يوقفني عنك شيء و لا حتى موتي ببابك ! فحبك محفور بقلبي رغماً عني و عنك “

حينها أقسمت أن أنفاسك وقفت بصدرك ، و كاد قلبك يقف ! و بعد لحظات و كل ما بك معلق بي ، كأنك تجمدت انتزعت نفسك مني ، أسرع هاربة ، ركضت نحو الباب لتخرجني ، فعدت و انتزعتك من يدك بقوة ، و لا أعلم لما كل هذا الغضب كان يحتاجني ؟ قد يكون كل هذا العند الساكن بك و كل ما تفعليته بي ! قد تكون فكرة ابتعادك عني أثارت بركان غضبي منك ، و قد يكون كل هذا الذي كنت أذفنه بداخلي لك لم يعد يحتمل الاختباء، يريد أن يثور و يتمرد على أوامرك بالاعتقال ، بركان تائر ينتظر تلك اللحظة التي يخرج بها إلى العلن ليحطم كل شيء ، فاقتربت منك إلى أن سكنت أنفاسك صدري و تلاقي كتفك بصدري ، و همست لك و كانت أنفاسك تنتفض بصدري

: اقتحمت حياتي دون رغبة مني و دون طلباً منك ، أردت أنت و أردت أنا و أراد لنا قدرنا لكن أن تغادري حياتي دون رغبتني فالنجوم أقرب إليك ، فالمستحيل سيكون طريقاً مفروشاً بالورود سهل الوصول من أن تغادريني ، و لا حتى بعد أن تُغادريني روحي هذا قدرتي بك شئت أم أبيت .. أنت لي !

فخرجت أنفاسك من صدري مرتعبة و حروفك متلعثمة ممتلئة بالدموع و الخوف ...

: ياسين .. أنت حقاً تخيفيني !!!

فابتسمتُ لكِ بضيقٍ

: لا أجرؤ حتى على التفكير بها مُعذبتى !

: اترك ذراعي أريد أن أذهب !

فظللت ممسك بها ، فرفعتي عينيك نحوي و بقاعها اختلطت الدموع و الرهبة ...

: ياسين أرجوك ، اترك ذراعي !

فأفلت ذراعك من يدي و تركتك تذهبين ، تقدمتِ مترنحة الخطى ، وصلتني إلى الباب أمسكتِ مقبضه و قبل أن تفتحيه توقفت لحظة توقعت أنك ستلتفتين إليّ إلا أنك لم تفعلني ! رحلتِ و تركت خلفك الباب مفتوحاً ، فوقفنا مقابلاً له و عيني تتبعك حتى اختفيتِ عن ناظري ! حينها احتشدت بصدري دوامات الغضب من عنادك و أكثر ما كان يوجب هيب قلبي نظرات الخوف و الهلع التي ملأت عينيك رعباً مني ، التفت إلى الناحية الأخرى أمسكت بإحدى التحف الموضوعة فوق المكتب و ألقيتها إلى الساعة فتحطمت ، ظللت أنظر إليها و هي محطمة و كلي يتساقط إلى الأريكة ، عم الحجرة هدوء توجس منه قلبي و عقلي ، فقد سكن كل شيء فجأة ، و انزوت روحي بصدري ، تحتمي بأنفاسك التي لا تزال تسكن صدري ، تستأنس بنبضك الساكن ضلوعي ، سكن كلي كما سكنت عقارب الساعة المحطمة ، حينها تمنيت لو أن تلك الروح المتحصنة بك سكنت عني هي الأخرى !

مرت بضعة أيام كل شيء هادئ مستقر ، أتى كريم إلى مكنتي بضع مرات ، اتفقنا على كل شيء تقريباً قدم لي عرضاً أقل من متواضع ، لكن لا بأس فبالنهاية إن حدث ما أتوقعه من فشله المعتاد فجدي لن تثور ثائرتي ضدي ، فهو من طلب إليّ أن أسانده ، فلن يُلقي باللوم على أكتافي ، فهو من يريد هذا بالطبع هذا ما أخبرت الجميع به ، فتلك الصفقة جاءت نزولاً على رغبة جدي ، فما باليد حيلة ! أصبح كل شيء شبه جاهز إلا من بعض التفاصيل القانونية ، التي ستوضع بالعقود لتأمين كلا منا إن أحدث أي طرف خلل بالشروط ، و بعدها سيتم توقيع العقود .

اجتهدت أن أتماسك بغيابك ، فطغيان عشقك بقلبي في ازدياد و أنتِ تتوارين عني ؛ اعتقدت أن لا أحدا يلحظ شرودي و خبو شمعتي ، إلا أن اجتهادي لم يكن موفقا مع الجميع !

كنت أقضي بعض الوقت بمنزل توفيق كعادي ، لأزيح عن صدري القليل من أعباء العمل و المنزل ، و أرفه عن قلبي قليل من جفاك لي منذ ذلك اليوم بمكتبي . ورغم غضبي الذي كنت أكظم بداخلي منه بعد ما علمته عن عشقه لأختي دون علمي ، إلا أنني كنت أشعر به ، فأنا غارق مثله بموج الهوى ، لم أفاتحه على أمل أن يبادرني هو ، شردت أكثر من مرة بك أثناء السهرة ، و بعد مغادرة أصدقائنا لم يبق سوانا ، فبادرني بابتسامة ماكرة

: إلى أين حملتك رياح الأفكار الليلة يا صديقي ؟

فتبسمت و رفعت له طرف عيني

: و من قال أنها تحملني هي فقط تتقاذفني على غير هدى !

فهبط إلى الأرض و جلس جوارى ، و زادت لمعة عينيه خبث و مشاكسة كعاداته ...

: أعتقد أن تلك الرياح عاتية ، لما لا تحتمي حتى لا تعصف بك ، أم أن الأوان قد فات ، و فتكت بك عواصف الشتاء !

: لم يحن وقت الشتاء بعد ! لما لا تخبرني إلام ترمي تحديداً ؟

: فقط أقول يا صديقي أن بك شيء مختلف !

: لما تعتقد هذا ؟

فاعتدل بمجلسه و بنظرة جادة و كأن وقت المزاح قد ولى

: أنا لا أعتقد ، ياسين أنا متأكد أن هناك شيء بك ليس بموضعه الصحيح !

: لماذا أشعر و كأن هناك شيء بالتحديد تود الحديث عنه ؟

نظر لي و عينيه تمتلئ بالكثير ، و لكنها تخشى أن ينطق بها لسانه ، فاعتدلت و نظرت له و أن أهز رأسي بابتسامة تطمئننه ليتخطى صدره ...

: هيا يا صديقي آتي ما عندك ؟

نظر لي و ببحث لمع بعينه ، لم يقول سوى كلمة واحدة ، انتفضت لها أوصالي ...

: ايما !!!

حين سمعت أذني اسمك انتفضت الدماء بعروقي ، اهتزت السماء من فوقي ، و رغم سكون الليل فصخب النبض بقلبي
أسمع العالم !! و تساءلت و أنا ألملم ذاتي ...

: ما بها ؟

: أهى التي قلبت حالك و غيرت كل ما بك ؟

فشبكت أصابعي ببعضهما و بابتسامة تتصنع الهدوء

: عن ماذا تتحدث أنت ؟ يبدو أنك أكثر من احتساء الخمر الليلة !

فتبسم و هو يقلب عينيه بي

: أتعلم منذ متى و نحن أصدقاء ؟ صدقني أنا لا أعلم كل ما أعلمه أنني حين ولدت وجدتك صديقي و لا أعرف لي
صديق سواك ، أتعلم ما يعني هذا ؟

: أخبرني أنت ؟

: يعني أنه لم يعد يحتاج أحد منا أن يتحدث حتى يفهمه الآخر ، فأنت تعلم أغواري دون أن تقتحمها و أنا أعلم قاع
بحرك دون أن أغوصه !

ثم مال إيليا و هو يمسك بكتفي ، و يهمس لي دون حاجة للهمس

: حين نقوم برد فعل لأي فعل فنحن لا نرى كيف نبدو ، و أنت لم ترى وجهك حين تراها ؟

: و كيف أبدو حين أراها ؟

فابتسم ابتسامة تكاد تصل للضحكة و هز رأسه بتوالي ...

: أرى روحك تُخلق بعينها ، أراك تُدور بفلك محياها ، أراها بعينيك حتى و هي ليست حاضرة ، صدقني أنت لو
استمعت لصوت أنفاسك و تخبط أوصالك بوجودها ما كنت لتسأل

حاولت المقاومة و ادعاء الغباء

: قلت لك لا أعلم عن ماذا تتحدث ؟

نظر لي بنظرة أعلمها جيداً شعرت أنه يتوغل بي يقتحم عقلي ، فتلك النظرة أعرفها لن يتراجع حتى يعرف .. ثم استرسل

: شككت بأمرك تلك الليلة بحفل جدك ، حين دلفت هي إلى الحفل كنت جوارى ، حينها انتفض كل ما بك ، فحدثت نفسي بأني أتخيل ، فياسين لا يقع بعشق النساء ، لكن — ثم صمت لحظة فنظرت له و بادلني النظرة بلمعة ذكاء بعينه ...

: تلك الصفقة التي أعطيتها لكريم !!!!

حينها ابتسمت بشدة ، فزادت بسمته هو الآخر

: تلك الصفقة أكدت لي أنني لم أكن أتخيل ، أيقنت أن هناك شيء تسعى إليه ، وهذا الشيء يخصها هي ، فأنت و هو كقطبي السالب و الموجب لا يمكن أن يجمعكما شيئاً ، لكن يبدو أن إيماننا جمعكما ! فلما لا تخبرني بما يحدث يا صديقي !!

لم أقاوم توفيق كثيراً فبعيداً عن ذكائه الحبيث الذي كان سيوصله بلحظة ما إلى حقيقة ما يجري ، و رغم ضيقي منه لما يداربه عني ، الا إنني التمسيت له العذر ، فهو محق فلم أكن لأقبل بشيء بينهما ! فقبلك لم أؤمن بالهوى ، لكن عشقي لكي هو ما جعلني أؤمن بالغرام ، غير أنه يظل بالنهاية صديقي الوحيد الأقرب إلى قلبي ، فهو رفيق بدرج عمرٍ تعبت من عده ، غير أنني لن أكذبك القول حبيبي فلم أكن أوقن كم من الوقت سأظل أدارى عشقك ؟ و لعل إصرار توفيق جاء لي مطراً من السماء ليفرج عن قلبي صحراء عشقك ! لعل أزيح به بعضاً مما يختبئ داخلي لك ، و أتوق للجهر به على الملأ ، أنا الذي لم يتعود الشكوى أو يكثر من الفضفضة إلا مع نصف عقله ! كما كان يحب توفيق أن يداعبني دائماً بها حين أغضب منه ، أعادني بسؤال صريح فلا مراوغة بعد الآن

: لا أعتقد أنك ستكذبنني يا صديقي ... هل تحبها ؟

فتنهدت و أملت ظهري للخلف ، و أسندت مؤخرة رأسي لوسادة وضعتها خلفي

: أحبها !!! أنا لا أعلم ما هو الحب ! فأنت تعلم أنني لم أختبره قبلاً !

: فلتخبرني ما بالك بها ؟ و سأخبرك إن كنت تحبها ، أو فقط ترغبها كغيرها !

فسكن كلي أحاطني طيفك شعرتك حولي

: إن كان الحب هو أن لا أرى سواها و يرح طيفها بعقلي ليل نهار دون استئذان .. فإني أحبها ؛ أن تمتلئ بها أحلامي بصحو و منامي و تراودني بالطرقات .. فإني أحبها ؛ أن أجن بأشواقي إليها و يُغرقني الحنين .. فإني أحبها ؛ أن أراها كل النساء و أرى كل النساء هي .. فإني أحبها ؛ أن أظل على وتر اشتياقي لها و أمل أن يأتيني يوماً باللقاء .. فإني أحبها ؛ أن أغار عليها حتى من ثيابها .. فإني أحبها ؛ أن أفعل أي شيء لأرى ابتسامة تملأ وجهها و إن لم تكن لي .. فإني أحبها ، أن أطوى الكون كله لأجل ألا يمسه الحزن جبينها .. فإني أحبها !!!

توقفت لحظات و تنهد صدري بشوق إليك ، و كأني لم أعد أعرف ماذا أقول و ماذا أخبئ ؟ فأحبار عشقك بقلي تملأ مجلدات تمتد جسراً من الأرض إلى السماء و تفيض ! كان ينظر نحوي و كأنه أول مرة يراني و تغمر وجهه الابتسامة .. فسألته بابتسامة أخرى

: أيكفيك هذا يا طيبي لتخبرني ما أنا به ؟ أهذا هو العشق أو بأي اسم تسميه ؟ أيكفيك هذا أم أخبرك من دفاتر قلبي عنها المزيد ؟

: يا الهى .. اعتقدت أنك مُتعلق بها ، لكن لم أتخيل أنك غارق بها إلى هذا الحد!

: لم تخبرني يا وزيرى أهذا هو العشق الذي يتحدثون عنه ؟

فابتسم و ربت بكفه على كتفي

: كلا أنت لست بعاشق لقد تخطيت هذا منذ زمن ، أنت هو المتيم بها و أهنتك فأنت مقدم على مرحلة الجنون !

فضحكت منه و بنظرة هادئة شاكسني ...

: تعلم يا صاحبي غريبا هو قدرنا ، هذا أنت الذي لم تحرك بك كل نساء حياتك ساكنا ، تأتي إيما بكل عفويتها و طفولتها لتززل كل ما بك إلى هذا الحد ، كنت أعتقد أنها مختلفة ، لكن الآن أنا متأكد أنها مميزة بل و أكثر !

ف نظرت له بدهشة ملأني منه فزاد مشاكستي

: لا تنظر إيليا هكذا .. أنا جاد تلك التي تحول ياسين الذي لا يتعامل سوى بالأرقام والصفقات ، ياسين الذي لم يسمع أو حتى يُقر بالحب إلى شاعر ، هي بالحقيقة ليست مميزة فقط بل إنها ساحرة !

زادت بسمتي منه فأعلم ما يعنيه فقبلك لم أو من بالحب أو أصدق به ! و جتني أنت لتكوني خطي الفاصل بين زمانين
عشتهما بجياتي زمن ضائع قبلك ملحد فيه بالهوى لا أرغب حتى ذكره ، و الآخر أحياها عابد بمحراب هواك و لن
أترشح عنه !

: أعتقد أنك محق هي حقا ساحرة ، فقد سحرتني بكل ما فيها !

فارتسمت تقاسيم وجهه بالجدية التي لا أعتدها منه الا نادرا

: دعنا نعود للواقع قليلا ! ماذا تريد أنت ؟

: ماذا تعنى بماذا أريد ؟

: ماذا تريد من ايما ؟

فاعتدلت بمجلسي و ببسمة ساحرة من سؤاله الأحمق ...

: أأحمق أنت بالطبع أريدها !!

: لكن على حد ما رأيته منها و سمعته عنها منك و من الجميع ، أكاد أجزم أنها ليست المرأة التي ستسلم مهما كان
عشقها لك ، فهي لن تبادلك أي منه و لن تترك تقترب منها وهي امرأة رجلا آخر !

: ومن قال أنني أريد جسدها !

: للأسف أعلم و هنا تكمن المشكلة الحقيقية يا صديقي !!

: حقا أصبحت لا أفهمك ؟

فعلت ملامحه نظرة جادة ، و اعتدل بمواجهتي و نظر نحوي

: اسمع يا صاحبي إن كنت أنت تريد جسدها ، كنا سنحلها بامرأة أخرى ، لكن أنت هنا تريد قلبها و عقلها أنت تريد
كل ما بها لك ، أنت و إن لم أكن أخطئت التقدير تريد أن تتزوجها !!!! و هذا شبه ميؤوس منه !!

فاغتنظت منه كثيرا ، و اعتدلت بمجلسي و رفعت له حاجبي بغيظ منه ...

: و إن أخبرتك أنها تجبني كما أحبها !

ضرب كفيه ببعضهما بقوة و هو يضحك

: أعلم أنها تحبك ، و ما لا تعلمه أنت أنها تعشقك أضعاف عشقك لها !!!!

حينها أصابني ذهول أوقفني عن الحراك ، و بعينين مشدوهتين ، و لسان متلعثم

: من أين لك أن تعلم ؟

فزادت لمعة عينه و هو يشعل سيجارة و يعطيها لي ...

: لأنني كما أراك تنظر لها رأيته أيضا كيف تنظر إليك !

فاستوقفته بحيرة

: حين أجتمع بها بأي مكان ، اйма لا تنظر باتجاهي أبداً !

حينها انفجر توفيق بالضحك فتعجبت منه

: ما بك ! لما هذا الضحك ؟

فأخذ يدب بقدميه الأرض و قلبه يكاد يقف من الضحك

: أضحك من مُحَمَك ، هي تختلس النظر منك طوال الوقت حين لا تكون منتبهاً ، فليلة حفلة جدك بالقصر ، أقسم

أنك لم تفارق عينيها لحظة حتى اختفت عن الحفل !

حينها غمرت قلبي سعادة اهتز لها نبضي ، فأمسك كتفي

: لن يغرق رجل ببحر امرأة إلى هذا الحد ، إلا إن كانت هي من أغرقته ببحرها ، و ما من أحد يخطو البحر دون أن

يبتل و هي خطت ببحرك فلا تخبرني أنها لازالت جافة ، غير أنك لن تُغرم بما بهذا الجنون إن لم تكن أذاقتك من شهد

غرامها !

فاعتراني الضيق لأنه ظن بكِ سوء، أو هكذا اعتقدت ! فصحت فيه

: توفيق أجننت أنا لم أمسسها قط ، و منذ لحظات أقررت بأنها لن تسلم لي لأنها ليست زوجتي !

: أحقق لم أقصد هذا .. أقصد إن لم تبادلك مشاعر الحب ، و لم تشعر بين ضلوعها عشقها لك ، ما كنت وصلت إلى تلك الحالة بحبها ! غير أننا نتحدث هنا عن العشق و الغرام و ليست إحدى نزواتك ! نتحدث عن امرأة ترغب هدم الكون لتصبح زوجتك !! لكن —

و بعد أن هدأت فلن أحتمل أن يظن بك أحداً السوء حبيبي تساءلت

: لكن ماذا ؟

: هناك حقيقة واحدة مؤكدة أنها زوجة رجلا آخر ، و الرجل الذي نتحدث عنه ليس بسيط أو سهل ، أعلم أنك الأقوى لكنه هو زوجها ! و كريم ليس الرجل الذي سيتنازل عنها ، جميعا نعلم أنه فعل الكثير ليصل إليها ، حتى أنه تزوجها رغما عنها فقط لأنه يريد كما تريدها أنت الآن !

: أنت قلتها رغماً عنها لكن معي الأمر مختلف ، هي تحبني و تريدني كما أعشقها و أريدها !

فابتسم بسخرية و هو يهز رأسه

: جيد جداً ، حقيقةً هي قصة عشق رائعة ياسين يعشق إيما و إيما تعشق ياسين .. صدقني هي قصة قد توازي قصص العشق و الحب بالروايات ، لكن لا تنسي أنه لازال هناك كريم ، و هو أيضا أمير بالرواية ، و إذا سألت أحداً ستكتشف أنك من يلعب دور الشرير بالحكاية !

أعلم إلى ماذا يُلمح ، لكن ربح الغضب اهتاجت بصدري

: توفيق !

: صدقني أنا لا أعني ذلك ، لكن ما أعرفه عنك جيداً و لتصحيح لي إن أخطأت فالنساء بحياتك علاقات عابرة ، غير أن تلك المرة الأولى التي تقترب فيها من امرأة غيرك ، أنت دائماً ترفض الفكرة ، و كل النساء المتزوجات التي توددن إليك قبلاً صدقتن ، و رغم أنك تُطلق العنان لـ شيطانك بالكثير .. إلا بتلك ؛ تقول أن لكل شيء حدوده التي لا يجب أن نتخطاها ، حتى الأخطاء و المحرمات يجب أن يكون لها بالنهاية حدود لا يجب أن تُنتهك ، فتخشي أن يجازيك الله بما في أختك أو ابنتك

فاهتاج غيظي منه و صحت فيه بغضب

: أحقق أخبرتك لا أريد منها متعة أريدها لي ، أريد أن أصحو من نومي لأجدها جوارى ، أريدها أم لأبنائي ، أريد أن تشيخ أيامي بجنة قربها ، أحبها يا أحقق

: حسناً أقسم أنني أفهم ، لما لا تضع غضبك جانباً الآن ، و نرسو بشواطئ العقل و الفكر و نبتعد قليلاً عن بحار الحب و الغرام الهائجة !

: حسنا يا نصف عقلي أنا أستمع !

: يجب أن تفهم أن الأمر ليس سهل ، أنت أقرب لأن تطالب بالمستحيل ، أنت تريد أخذها من زوجها ، و هو ليس الخصم السهل رغم حماقاته ، إلا أنه يظل له ثقل ، لا يجب أن تستهين به !
فهاج انزعاجي بصدري ، حين نبهني لشيء كنت غافل عنه

: غير أن لديك المشكلة الأكبر من كل ذلك حتى أنها أكبر من كريم بجد ذاته !

و قبل أن أسأل بادرني

: سحر زوجتك المصون و ابنة عمك !

: ألم يخبرك أحدا بأن لي الحق بالزواج حتى الأربعة !

: لنكن واقعين هذا حقك ، لكن لا أعتقد أن سحر ستتركك تتمتع بهذا الحق ، و بالرغم من أنها تعلم بعلاقاتك النسائية المتعددة ، لكنها لا تهتم ولا تكثرث ..أعتقد لماذا ؟

فنظرت له و لم أجب فلا أعلم الإجابة ، فهي بكل علاقة لي تعتمد إخباري بطريقة أو بأخرى أنها تعلم ، إلا أنها لا تكثرث أو تهب غاضبة كما تفعل باقي النساء ...

: لأنها بالنهاية تظل وحدها زوجتك ، تظل وحدها من تمتلك ، و الأهم أنها تعلم أنها لن تتخطى كونها نزوة عابرة ، فهي تُوقن مثل الجميع أنك لم تسمع بالحب !

: إذن !!

فزادت بسمته الخبيثة

: إن علمت سحر بأن هناك من تملأ قلبك و عقلك إلى هذا الحد ، بأن هناك من تحتلك و تستعمرك ، ستأخذك منها
ستتعدى على ممتلكاتها و هي أنت ، أقسم أنها ستشعلها الحرب العالمية الجديدة !

: لا تخبرني أنها تحبني أو تغار لأجلي ، لأنها ستكون مزحة سخيفة هي لا ترجو إلا ما تريده ، و لا تهتم لشيء سوى
نفسها .

: أعتقد أن من مصطلحتها عشقك لا يما ! هو ليس حب لك يا صديقي ، و إنما هو امتلاك فأنت لها ، و لن تقبل أن
تشاركها امرأة أخرى بك أو بثروتك فهي تتحمل ابنتك بمعجزة ! فما بالك بامرأة ستستولي على قلبك و عقلك !

حينها علمت أنني فاني الجزء الأهم ! فتنهدت بغصة لاحت بصدري ، و اتكأت بظهري إلى الكرسي خلفي و
مسحت بباطن كفي وجهي بيأس بدأ يتسلل إلى نفسي ، و بنبرة تزداد غضب....

: صدقي لم أعد أعلم ، لكن كل ما أوقنه أنني أحبها و لا أحتمل البعد عنها ، إنني أريدها توفيق ، أريدها بأي وسيلة
كانت و لن أتنازل عن ذلك أريد قلبها و عقلها ، أريد أن تهرم أيامي بأحضانها أريد كل ذرة منها لي وحدي !

: فلتهداً فقد تفنن الإنسان بتحطيم المستحيلات منذ بدأ الخليقة ، فمهما كان طريق المستحيل بعيداً فهناك دائماً
سبيل للوصول !

و بنظرة مشاكسة و غمزه من عينه التي لمع بين أحداقها الخبث

: و أعتقد أنك بدأت رسم ذلك الطريق و حفره خطوة خطوة ، و لأنني أحفظك عن ظهر قلبي ، سأقول إن تلك
الصفقة ستكون نهاية كريم ، و طريق وصولك لا يما ، أم أنني أخطأت الظن !!!

فاعتدلت و أملت له رأسي ، فعلت ضحكته و بخت

: يا الهـي ... ذكرني أن أخاف منك !!

حينها ابتسمت و بادلته نظرتة الخبيثة ...

: تذكر فقط أن لا تتلاعب بشيء يخصني !!!

فابتسم بتعجب ، و رفع يده مستسلم ، فرادت بسمتي .

غادرت منزل توفيق و أنا أحداث نفسي عنك و عن كل ما يقف بيننا ، فلا يهم ما يكون أو من يكونون الا إنني سأفعل كل شيء كي أهدم كل ما يحول بيننا .

مرت بضعة أيام أخرى متقلبة بين شد و جذب يغزو عقلي و حياتي بقربك و غيابك ، و بأحد الأيام اتصل بي كريم و أخبرني أن أعود باكراً تلك الليلة لأنه عيد مولدك ، و سيقم حفل بأحد الفنادق احتفالاً به و أيضاً احتفالاً بحصوله على صفقة توسعات المصنع ، فأخبرته أنني سأفعل و هل لي أن أفوت احتفال عيد مولدك حبيبي الذي كنت أعلمه مسبقاً! فقد أخبرني ميس ، و قد اشترت بالفعل هديتين لك ! إحداها سأقدمها لك بالحفل ، و الأخرى سأقدمها لك بطريق غير مباشر حتى دون أن تعلمي أنها مني ! و بالفعل عُدت باكراً أعطيت الهدية الأولى إلى سحر كي تعطيها هي لك و كانت طاقم ذهب مرصع بالماس ، أما الأخرى فقد حرصت على أن تصلك ! وصلنا إلى الفندق لم نترغب باحتفال كبير فقط نحن شباب العائلة ، و ميس و بعض أقارب كريم المقربين .

بدأت السهرة كنت أجلس بمقابلك و بعد تقديم الكعكة ، أتى وقت الهدايا رفضت بالبداية قبول الهدايا فغضب أقارب كريم و اعتبروها إهانة لهم ، فأشار كريم إليك أن تقبليها ، فقبلتها قدمت لي لي هديتها و قدمت سحر هديتنا ، قدم الجميع انتظرت ميس حتى النهاية قدمت هديتها و أصرت أن تفتحها ، و بالفعل فتحت الهدية كانت سلسلة من البلاتين صُمم قلبها على شكل فراشة صغيرة تنام على زهرة متمثلة على شكل قلب ، يمسك بهما إصبعي السبابة و الإبهام ليد !

حين رايتها للوهلة الأولى فُتنت بها ، أعجب بها الجميع حتى أن البعض سأل ميس من اين أتت بها ليتسنى لهم أن يأتوا بمثلها ؟ ابتسمت ميس و شاكستهم

: حين أعرف من أين أتت سأخبركم !

وقفت ميس و أصرت أن تُلبسك إياه ، و أكدت عليك ألا تنزعها عن عنقك مهما حدث ، و قبلت جبينك و احتضنتك بقوة كما طلبت إليها !!!!

نعم فتلك كانت هديتي الثانية التي حرصت أن لا تفارقك ، فأنتِ هي فراشتي التي تنام بقلبي ، أما الإصبعين فإن أمعنتِ النظر بهما فهما يمثلان الحرف الأول من اسمي بالإنجليزية برسم مختلف قليلاً حتى لا تلفت الانتباه !

بعد قليل أعلن كريم على الجميع حصوله على صفقة التوسعات ، و شكرني على ذلك و تمنى شراكة دائمة بيننا ، و تيمنا بذلك و احتفال بتلك الشراكة طلبت الرقص إليك ، بالبداية رفضت متعللة بأنك متعبة قليلاً ، لكن بالنهاية قبلتِ الرقص بعد إصرار كريم لقبولك .

ذهبنا لساحة الرقص كانت بعيدة قليلاً عن مجلسنا و الأضواء بها كانت خافتة و متقلبة ، و أعلم أنك كنتِ تتمنين هروباً مني ، حتى لا تجمعنا معا لحظات وحدنا بعيداً عن الآخرين ؛ و كثيراً كانت تفيض بي أمواج الحيرة ، فكنت و برغم كل شيء تعتريني لحظات من الشك بأنك لا تُحِبِّينِي ، و بالرغم من أنك اعترفتِ بحبك لي ! الا أن عنادك المستمر و كبريائك الذي يدفعك دائماً للهروب مني ، كان يدفعني كثيراً إلى حافة الشك !

حتى تلك اللحظة التي التفت بها يدي حولك ، و ذابت أناملك بين رحي كفي ، تلك اللحظة التي غرقت عيونك ببحري ، و سكنت أنفاسك صدري ، و حلقت يدك فوق كتفي ، حينها فقط شعرت بكل ما تحاولين قمعه داخلك ، كل ما تحاولين قتله بقلبك ! فكان كل ما بكِ ينتفض لي ، تخبطت أوصالك بين يدي و تسابقت أنفاسك لتحتل صدري ! تلك اللحظة التي انتظرتها دهراً ليصير شكِّي بكِ إيمان ، لحظة جمعتني بأنفاسي داخل قلبك فعبرت بي من جحيم الشك إلى جنة يقيني ، لحظة أيقنت بها عشقك لي ، فرأيت بعينيكِ أمل يولد بأن تكوني لي ، يوماً ستشرق الشمس و أنتِ بجواري حقيقة و ليس حلماً ، فعلمت لما دائماً تهربين بعيداً عني ؟ فكنتِ تخشين نفسك و أنتِ معي لم تكوني تخشيني أنا ، تخشين أن تنهار دفعاتك أمامي ، أن تخونك عينك و قلبك و أنفاسك ، أن يخونك عشقك لي و لطفة اشتياقك لوصالي ! غريبة أنتِ حبيبتِي تعقلين كل مشاعرك التي أصبحت مني و لي ، حتى أنكِ تعقلين أنفاسك و دقاتك بقربي حتى لا أسمعها تنبض بي ! فإلى متى معذبتي سيكون كل ما بي داخلك رهن الإقامة الجبرية ؟ أني لكي هذا الصمود مُعذبتي بثورة عشقي التي تجتاح أرجائك و تطالب بالحرية في حيي ! أني لكي الصمود بوجه بركان يملأ أركانك لأجلي ! ظللت شارد بكِ إلى أن أعدتني من شرودي و غرقي بعينيكِ

: لما تفعل هذا بي ؟

: و ماذا فعلت أنا الآن ! إنه من تقاليد العمل أن أرقص مع زوجة شريكِي ، احتفالاً بالشراكة الجديدة بيننا ، غير أنه عيد مولدك كيف لا أحظى ببضع لحظات لأتمنى لكِ حياة سعيدة و عمر مديد حبيبتِي !

نظرتِ لي بصمت و عينيكِ ترتحل بالمكان هرباً مني ، فشاغبتك ...

: تلك أول مرة ألحظ أنك قصيرة !

فنظرت نحوي و بدأ الغضب يعتليك

: ماذا ؟ أنا لست قصيرة !

فحاولت تمالك ابتسامتي و زدت مُشاغبتك

: بلى أنتِ قصيرة حبيبي فلا تصلين كتفي رغم أنكِ ترتدين حذاء بكعب عالي ! أم أنكِ ترقصين حافية ؟

فزاد غضبك و تلعثمتِ

: أنا لست قصيرة ياسين ! أنت هو من أطول من المفترض به أن يكون !

حينها لم أحتمل فانفجرت ضحكاً

: لا تغضبي حبيبي ، فأنا أعشقتك حتى و أنتِ قصيرة !

فخبطِ كتفي بحركة طفولية و عفوية منك ، ثم صمتِ فهمست لكِ

: أنتِ الليلة خلافة ، و أوقن أن القمر لن يحتمل الصمود أمام عينيك !

فلم تلتفتِ نحوي حاولتِ تجاهل كلامي ، رغم أن صوت أنفاسك كاد يعلو صوت الموسيقى فعدت و اقتربت من أذنك
أكثر

: أعلم أنكِ تحاولين لكن أقسم لكِ أنكِ لن تحتملي الصمود كثيراً !

فالتفتِ إليّيا بتعجب مما قلت ، فاستطردت لكِ

: توقفي عن الهروب ، أنتِ تحبينني و أنا أعشقتك و سأفعل أي شيء لتكونين لي !

رمقته بنظرة طويلة ، ثم أسبلتِ جفنيكِ

: ياسين لما لا تحاول أن تفهم أنا أخشى عليك ! هو لن يتركك تقترب مني !

: ليس أنا من يجب أن تخشي عليه مُعذبتني !

فابتسمتِ بدمعة لمعت بعينك

: ماذا؟ مُعذبتك !

: نعم أنتِ هي مُعذبتني !

فرفعتِ حاجبك ، و ببسمة عينيك التي تسرق نبضي

: أنا إذن هي من تعذبك ! فماذا تكون أنت ؟

: أنا حبيبك و عشق حياتك !

فزاد صمت شفقتك ، وتعلقت عينيك بعيني ، فشاكستك

: دعيني أخبرك سرّاً لكن عديني ألا تخبري أحدا عن سري الصغير ، إلا أنه كبير كبير سحر البحر بعينيك !

: أخبروني انك أكثر من يقسو النساء ، فكيف لشاعر مثلك أن يقسو !

: أخبروك ! أميرتي الصغيرة تفتش عني ، لا تُخبريني كم تعشقيني فأنا أعلم !

فرفعت حاجبك و زادت بسمتك و بصوت هادئ شاكستني

: و أيضا قالوا أنك قلعة للغرور !

فضعت بين عينيك و ابتسامتك و يداي تحوطك و تحوط بك كل أحلامي

: لغيرك أنا ملك يري كل نساء الكون جواري ، وبعشقتك أنا عبد يرضي بما تجود عينيك مولاتي

فتعلقت عينيك ببحوري ، و يديك ترتحل بكتفي تطفئ نار و تشعل براكين

: كيف لرجلاً مثلك يملاً صدى قوته الأرجاء أن يكون شاعر !

فأطبقت بكفي على أناملك و أنا أقربها لقلبي

: ما كنت يوماً شاعر ! ولأجلك حفظت جبال الشعر ، و قصائد العشاق ، و سهرت لقمرة يفتش عينيك سماء ،

ونجوم تتلألأ بلبالي الكون حين يبتسم جبينك ، وسافرت دون شرع في بحور الأشواق على أمل أن ألقاك ، حتى وان

كان لقاء بالأحلام

فتلاً سحر الكون بعينيك و هي مُعلقة بي

: يا إلهي ماذا تفعل بي !!

: فقط أعشقتك حبيبي !

: حاولت الهروب بعينيك بعيداً

: لم تخبرني ما هو سرّك ؟

: أنت هي سري ، و أكبر ألغاز حياتي !

: صدقني هو لا يستحق أن تحارب من أجله ، لا يستحق أن تجازف من أجله ، فقط اتركه يدفن ، اتركه يفرق !

: هي مسائل نسبية يراها كلا منا من وجهة نظره ، و أنا أراه سر حياتي ، أراه سر يستحق أن أحارب الكون لأجله .

: عدت إلى صمتك فعدت و شاكستك

: ما رأيك بسر آخر ؟

: كثرت أسرارك الليلة !

: فاقتربت إليك أكثر و أنا أقبض كفك إلى قلبي ، أحاول ملزمة شتاتي المبعثر بأعتابك

: حاولت اقتلاع قلبي كي لا ينبض بك .. فوجدت عقلي يعشقتك ! فمنعته عنك حتى لا يهذي بك .. فوجدت عيني

تتواءم ! فأغلقتها كي لا أراك .. فوجدت روحي تمتلئ بك ! ففارقته كي أنساك .. فوجدت كل ما بي يشتهي لحظة

بوصالك ! فقطعت الوريد حتى أتوقف عنك .. فوجدت ظلي يطارد طيفك ! فسكنت قبري طوعاً هرباً منك ..

فوجدت قبري يهمس لي .. سأظل إلى أن أبعث على حبك ! فماذا عسى أفعل كي أشفى منك !!

: فوقفت مكانك ، و كأن الدم تجمد بعروقك ، ثارت أنفاسك بركان ملاً صداه الكون ، و همس قلبك فاق سحر شدو

الطيور الغناء ، كل ما بك سكن عيني

: يا إلهي أي ذنب ارتكبت أنا حتى أجازي بك !!!!!!!

: فملأتني الدهشة من ردة فعلك

: أترين أنني عقاب لك ؟

: كل هذا العشق لي .. ولا أجرؤ اقترابه ! أهنالك عقابا أقسي من ذلك برأيك ؟ و هل تُرايني أستحق كل هذا العشق ؟

: آتيني بملاك غيرك يسكن أرضي و سأعشقها ؟

فظللتِ تنظرين لي بصمتٍ سحرني أكثر من همسك ، و بعد لحظات شاكستني

: ألا تنتهي تلك المقطوعة الموسيقية أستظل تُعزف إلى ما لا نهاية ؟

: ستنتهي حين أريدها ! و لأنك بين يداي و أنفاسك بين ضلوعي ، فلا تأملي بهذا الليلة ! و لا بألف ليلة بعدها !

ملئت عينيك الدهشة و نظرتي نحو الاوركسترا ، فلمحتِ طلعت يقف بالقرب منهم ، فرمقتني بتلك النظرة اللامعة المشاغبة

: ألا يعبر الماء من بين يديك !

: إن كان هذا الماء سيحرمني لحظات بقربك فلن أتركه يعبر !

حينها أصررتِ على العودة إلى الطاولة ، لان هذا أصبح ملفت للنظر ، فوجدتك محقة قليلاً ، فقد أطلنا الرقص لذلك عُدنا للطاولة ، كانت سحر و كريم ذهبنا للرقص بالطرف الأخر من الساحة ، و بعد قليل عادوا هم الآخريين ، جلسنا جميعا نتجاذب أطراف الحديث بين العمل و الحياة و ما إلى ذلك من الأشياء، إلى إن انقضت السهرة و انقضت معها إحدى ليالي أحلامي الواقعية بك !

” قلبي مستبشراً بك ؛ متحصناً بهواك ؛ فلا يرى غيرك و لا يسمع نبضي
سواك ؛ فعقلي مؤرخ بك ؛ و ليس لقلبي وطن بعد عيناك “

تمضي أيامي متناقلة ، خلا عن تلك اللحظات التي تجمعني بك من قريب أو بعيد فتمر كالبرق بلمح البصر ، أحاول التمسك بها إلا أنها تتسرب من بين أصابعي ، كما تحاولي أنتِ التسرب من حياتي ، إلا أن قلبي المخطوف مني و المحتجز بين ضلوعك ، يأبى المضي قدماً دونك و كيف له ذلك ؟ و هو حبيس عشقك ، معتقل بهواك وعقلي المفتقد مني بغربة ألقنتني بها عينيك لا يتزحزح عن التحليق بجنة قريبك ؛ أحاول بكل ما أوتيت من قوة في هواك أن أستبقيك جوارى ، ليظل قلبي ظليل بعينيك ، مسقوف بعذوبة أنفاسك ، لتظلي قربي رغم بعدك لتخفني عن عقلي صراعات تكاد تفتك بي ، فقلبي محتجز بك !

تتقاذفي أمواجك ما بين غياب و حضرة لقبياك ، فتتهيج رياح اشتياقي إليك بوجودك قبل غيابك ، فكم يشتهي قلبي أن يهنأ بك ؟ و يتحرق شوقاً للغرق بعينيك دون بلوغ شط ، فعقلي يلوذ بك من قدرتي الذي بات يتلاعب بي ليقودني إلى محراب هواك ، كلما تقاذفته فيضانات البعد ، فلا يجد غير عينيك نجومه بليل موحش ، غير أنفاسك دليله بأيام معتمة ، أصبح عشقك هو ما يقودني بأيامي الباردة ، فصدري بات موصوم بغرامك !

أشعر و كأن كل أيامي دائرية فكلها متصلة ، تدور بدوائر متداخلة تتوالى دون تقطع ، و كلها تدور بفلكك أنتِ ! فكل شيء يبدأ بك و ينتهي عندك ! فأحاول مجاهدة تصاريف قدرتي لي التي بثتْ لا أعني إن كانت لي أم ضدي ، فعصف زماني بي عاتي ، و يُلقى بي في مهب رياحك ، حتى بت أوقن أنه يُضرم المصاعب من حولي حتى لا يترك لي سبيل آخر سواك !

عُدت ذاك المساء مبكراً قليلاً بعد أن قضيت بعض الوقت بفيلا توفيق ، كمعظم ليالي حياتي ، دلفت إلى حجرة المكتب كي يتسنى لي رؤيتك قبل أن أخلد إلى النوم ، لكن قدرتي حرمي رؤيتك ، فكانت شرفتك مغلقة بإحكام ، فعلمت أنك لن تخرجي إليها ، و إما إنك خرجت و انتهيت من قراءة كتابك كعادتك كل ليلة قبل عودتي . فصعدت إلى حجرتي لأخلد إلى النوم ، و أرجو ري أن يُرسل طيفك حلمي ليمطر قلبي سعادة بك !

حين دلفت إلى الحجرة ، كانت زوجتي المصون لازالت مستيقظة ، اندهشت بعض الشيء فذلك لم يكن من شيمها !
توقفت لحظة بعد أن أغلقت باب الغرفة ، شردت أفكاري لحظات فهي لا تنتظري إلا إن كانت تريد شيء ، أو تريد أن
تتشاجر ، لكن عقلي ينبني بأنها تريد شيء ، فتوب النوم الشفاف المتألق هذا و رائحة عطرها الذي يفوح بالحجرة لن
يكون لأجل مشاجرة

: مساء الخير .

بادرتما بما حين دخلت ، فابتسمت و هي تم من مجلسها

: مساء الخير .. أعتقد أننا نحتاج لشيخ يقرأ عليك القرآن خوفاً من الحسد !

: و لماذا تحديداً ؟

فزادت بسمتها و هي تجيبني بسخرية ، و تنظر باتجاه الساعة

: عدت باكراً ، فهي لم تتخطى منتصف الليل بعد !

: إذن سأعود إن كان هذا سيسعدك ! فلا أرجو إغضابك حبيبي !

فعلت ضحكتها و بنظرة مشاكسة

: يبدو أنني هي من تحسدك الآن !

و تقدمت بضع خطوات تجاهي و أحاطتني بذراعيها ...

: على العكس حبيبي ، هذا أكثر ما يسعدني أن تكون هنا إلى جوارى !

فزادت دهشتي ، و أيقنت إما أن هناك ما تريده ، أو أن زوجتي فقدت عقلها.....

: هل كل هذا الدلال لي أنا ؟ أم أن حلمي بدأ مبكراً الليلة !!

فرفعت حاجبها و بدأ الغضب يلوح بأحداقها فابتسمت و أنا ألف يداي حول خصرها و أقربها إليا

: أمزح ، فقط أمزح حبيبي

فهزت رأسها ، و حاولت تخطي تلك المزحة لأجل ألا تفسد ما تبغي ، و ابتسمت و هي تداعب شعري بأصابعها ، و تزيد القرب مني ...

: أتعلم أنني أشتاقك كثيراً الليلة ، ألم تشتاق إليّيا ؟

الآن بدأت أخاف ! و خاطبني لسان حالي (ما مدى صعوبة ما تريدنيته ؟)

: بالطبع حبيبتي أشتاقك ؛ و كيف لي ألا أفعل !

فنزعت عني سترتي ، و أجلسني إلى حافة الفراش ، أمعنت النظر بعيني و هي تمسك بيدي و تلف بهما خصرها ، و اقتربت مني حتى أصبحت لصيقة بصدري ، قبلت ثغري بعدوبة لا أعهد لها ، ثم راحت تفتح أزار قميصي واحداً تلو الآخر ، و أناملها تسبح بصدري ، و ثغرها متلهف ليرتوي من عنقي .. حينها راود عقلي سؤالاً لم يراوده قبلاً سؤال لم أفكر به قط ، لكنني حاولت التغاضي عنه ، حاولت الهاء عقلي بأن أسلمه لفيضان شهوتي لها ! فلازالت زوجتي و لازلت أبتغيها !

لكن العجيب أنه كلما زاد توددها زاد عبثه بي ، كلما تقربت مني زاد جموحه و اشتعاله بعقلي ، و بعد لحظات ، و حين كانت غارقة هي بإغوائي ، و غارق هو بالركض بين أفكارني ، أطلقته من عقلي....

: أتخبيني ؟

فتوقفت عن الحراك لحظات ، و كأن سؤالي صدمها أو شيء ! فرفعت وجهها عن عنقي ، و التفت يدها حولي ، و أناملها تداعب خصلات شعري ، و رفعت حاجبها صعقتني

: أنت زوجي ، و ابن عمي ... فلما أكرهك !

حسننا توقعنا إجابات متعددة ، لم يكن العشق أو الحب أي منها بأي حال ، لكن تلك فكانت مدوية ، حقيقةً أوقفت الدم بوريدي ، أحسست بها صفة على وجهي حتى أن أنفاسي توقفت لحظات بين شهيق و زفير ، هبطت على رأسي جليداً أفقدني توازني و أفقدني معه النطق ، فلم أجد ما أتفلسف به ، فقط عيناي معلقين بأحداقها الهادئة المبتسمة و كأن ما قالته من أبجديات الغرام مثلاً!!!! حتى أنها عاودت إثارة شهوتي ، و كأن شيء لم يكن ! وحين تداركت ذاتي و أنا غارق بصدمتي منها

: أئن تسأليني إن كنت أحبك أم لا ؟

: كلا فأوقن أنك تحبني .. و مهما حلقت بعيداً عن سمائي ، فإنك تعود إيليا فأنا هي زوجتك ، و حبيبتك ، و كل ما تبغي !

ثم اشتعل غرورها بأحداقها و هي تقول

: غير أنك إن جُبت الأرض من مشرقها لمغربها فلن تجد من تضاهيني بجمالي أو بأصلي ! أو حتى تتحمل أفكارك الشرقية الرجعية التي عفى عليها أزمان !! (سي السيد)

صمت لم أقل شيئاً ، فقط ابتسمت من حُمقي لأنه خُيل لي أنها ستتنفوه بشيء قد يُرضيني ! لكن كل ما قالته كان كفيلاً بأن يُعكر صفو النيل من منبعه !

لكنها لم تتوقف عني ، و ظلت تغزو جسدي ، و لأنني أصبحت لا أبتغيها ، إلا أنني لم أستطع رفضها أيضاً ! فأطفئت الضوء و تركتني لها ، حينها تساءلت بدهشة ، وهي تضيء النور الخافت

: أنت أطفئت الضوء !

فرددت باقتضاب

: أنتِ دائماً تطلبي ذلك فما الغريب ؟

: الغريب أنك لم تكن راضياً بهذا ، و بالمعتاد لا تطفئه الآن !

: جيد أعتقد أنني أريده مطفى الآن ، و إن كنتِ تريديه فلتتركه !

فأطفأته ، كانت تتودد إيليا و عقلي يحتدم به الصراع ، لا أعلم لما غضبت من إجابتها إلى هذا الحد ؟ لعل كان بصدري بصيص من نور أن تجذبني إليها ! أن تُنجيني من غرقي ببحرك ، لعلني تأملت بأن تأخذني إليها و تعود بي من ضياعي و غُربتي بهواك ، كم أنا أحمق فهي لم تفعلها منذ تزوجنا فهل أأمل بها الآن ؟ و كل ما بي غادرتني إليك ، لكنني تأكدت تلك اللحظة أن قدرتي لازال يُغلق بوجهي كل السبل و لا يترك لي سواك ، أعلم أنه قد يكون سبيل هلاكي إلا إنني لن أترشح عنه ، فما بيدي حتى أن قدرتي لا يقبل بسبيل غير سبيلك !

أخذت تغتالني يداها ، فتركت العنان لخيالي بك ، فتبعث شيطاني و هو يمرح بعقلي و طيفك ! فتصورتها أنتِ من أعتليها ! لم يكن هذا مرضي لي إلا أن هذا كافياً ليُشعلني ! و بعد أن هدأ شيطاني ، و خمدت نيرانك ! أضأت النور

الخافت مرة أخرى و اعتدلت إلى جانبها بجواري و هي تلتف بغطاء الفراش الخفيف ، فأغمضت عيني و اعتدلت إلى جانبي فألقيتها خلف ظهري ! فوضعت يدها على جانبي بدلال

: ياسين حبيبي .

بالمرة الأولى لم أجبها ...

: ياسين ... هل استغرقت بالنوم سريعاً هكذا !

: أعتقد ذلك

فضحكت بصوت متقطع ، و هي تميل فوقي

: حسناً ... هل لحبيبتك أن تطلب شيء ؟

حينها علت ضحكتي بالغرفة .. فتساءلت بدهشة ...

: لماذا تضحك هكذا ؟

: لا شيء.. فقط كنت أتساءل حبيبي ... متى سأدفع ؟

فاعتدلت بجلستها و بصوت بدا غاضب

: ماذا تعني يا ياسين ؟

: لا شيء ، لا تهتمي ، ماذا تريد الآن أريد أن أغفو ؟

فتخطت ما قلته ، فلن تتشاجر الآن ، فلم تفوز بعد بما تريد

: أريد أن نسافر أوروبا هذا العام .

: أوروبا .. لماذا ؟

فعادت و مالت ناحيتي و برقة أعلمها

: مللت حبيبي ، أريد أن نسافر معاً ، نسترخي و نتسوق ، نحظى ببعض الوقت للاستمتاع ، بعيداً عن كل هذا الملل

الذي يقتلني !

فاعتدلت قليلاً و بابتسامة متعجبة

: ملل ! تشعرين بالملل ! كل تلك الحفلات و النوادي و التنقل من شرم إلى الغردقة و تشعرين بالملل!

فلاحت عاصفة غضبها بالأفق

: نعم ملل يا ياسين ثم ماذا بما أريد السفر ، الجميع يفعل هذا و أنا أريد قضاء بعض الوقت بأوروبا ، ثم لماذا الأموال إن لم نستمتع بما ! و أنا لم أذهب إليها منذ قضينا شهر العسل بإيطاليا و هذا كان منذ سنوات !

: لا أعتقد أن هذا سيكون بالإمكان في الوقت الحالي لنؤجلها لوقت آخر .

: و لما ليس الآن ؟

فاعتدلت بمجلسي بالفراش ، محاولاً تمالك ثورتي ، فالوقت متأخر على أن يسمع أحداً شجارنا ، غير أنني لا أرغب به

: لدي الكثير من الأعمال بالشركة و المصنع ، لن أفرغ قبل مدة !

: هذا أنت دائماً لديك ما يُبقيك مشغول ، و لا تهتم لي و لا لشيء يخصني !

قبضت على كفي محاولاً تخطي تلك الليلة

: سنبداً العمل بتوسعات المصنع خلال أيام و تلك الصفقة الخاصة بالشركة لن أستطيع الذهاب و ترك كل هذا خلفي غير ضغط جدك من ناحية و والدك و أعمامك من ناحية أخرى ، فماذا يجب أن أفعل؟

عادت و مالت ناحيتي و قد انقلبت تعبيرات وجهها مائة و ثمانين درجة ، و وضعت يدها فوق صدري و برقة صوتها الهادئ

: لا تغضب حبيبي ، إن كنت لا تستطيع الذهاب معي ، فلما لا أذهب أنا وحدي و حي—

و قبل أن تكمل انتفضت من مخدعي ، و أمسكت يدها بقوة آلمتها

: هل فقدت عقلك ، أم أنك تتعاطٍ شيء لا أعلمه ؟

: ماذا هناك حبيبي ؟ ما بما يا ياسي—

فأطبقت على معصمها بقوة أكبر تأوّهت لها

: سحر ، حبيبتى لما لا تخلدي للنوم الآن لأنه يبدو أنك تحتاجينه !

: حسناً ، فقط لا تغضب .. لما لا أذهب أنا و لي لي ؟

فهمت عن السرير واقفا و يكاد عقلي يشد منها ، فضربت جانبي بقوة ، بدلا من أفقد عقلي و أضربها هي ، و كم كنت أشتهيها ، و أنا أصبح منها ساخرا

: هذا جيد .. بدلا من أن أترك زوجتي المصون بأوروبا ، تقضي بضعة أسابيع للاسترخاء و الاستمتاع و التخلص من الملل وحدها تكون زوجتي و أختي ! هل فقدت عقلك ؟

فهزت كتفيها ببراءة أشعلت غضبي أكثر

: لا تغضب .. فلتأتى أنت معي نستمتع معنا !

: جيد و لما أغضب ! سأترك عملي و أذهب مع الأميرة لأنها تشعر بالملل !

فجئن عقلها و صاحت بي

: إذن أسافر وحدي ، و ما بها فناء كثيرات يسفرن دون أزواجهم ، لما لا تتوقف عن ذاك التخلف الشرقي و راجعيتك المتحـ

هنا اكتفيت و قبل أن تكمل حرفاً آخر أمسكتها من شعرها ، وسحبته عن الفراش إلى الأرض ، فهربت دمائها و انتفضت رعباً ، و أكاد أفتك بها ، فكان كلي قد فاض سخطاً و غضباً منها تلك الليلة ، و إن لم يكن ربي ألهمني صبراً جعلني أمسك بخيط واحد من عقلي كنت قتلتها و انتهيت ...

: تلك المرة الأولى التي يعلو صوتك بها أمامي ، و أقسم أنها ستكون الأخيرة أتفهمين !

فهزت رأسها إيجابا دون أن تتفوه شيئاً و بنظرة حادة و نبرة هي تعلمها جيداً

: أم بالنسبة لشرقيتي المتخلفة ، و راجعيتي المتحجرة .. فأعدك أنك سترينها واضحة كالشمس في كبد السماء ، ستريين ماذا سيفعل ذاك المتخلف بك !

ثم دفعته بقوة إلى الفراش و كنت قد وصلت لنقطة الغليان منها...

: اخلدي لنوم الآن ، و إلا أقسم بمن خلقك ، و كبلي بك ! أن أجعلك تنامين نومتك الأبدية التي لا أحظي بعدها بطلتك

فانكمشت في الفراش و الرعب و الهلع يملأ وجهها ، و تذررت بالغطاء و هي تنتفض من أسفله ؛ فجلست إلى الكرسي المقابل لها ، و أنا أحاول تمالك غضبي و عبور تلك الليلة التي زادت عواصفها ، و علت أمواجها حتى أغرقتني ، و راحت تدفعني للبحث عن شاطنك !

فذهبت إلى حجرة المكتب ، و قفت بضع دقائق أمام النافذة ، متعلق كالغريق بشرفتك لعلها تنجيني من غرقى ، ليلوذ بك عقلي من دوامات القدر التي تتقاذفي بقوة تكاد تفتك بي ، جئت أبحث عنك ، أفتش عن أمانى بعينيك ، أستشعرك حولى تحوطي قلبى بذراعيك ، تهدئي لوعتي و تغمريني بحنانك ، أتيتك هرباً من كل شيء ، لأدفن بين رحاك أحلامي المحترقة ، وأتبرأ من موتاً في حياتي قبل أن أولد بين يديك و أنفاسك من جديد ! فأويت إلى الأريكة و أسلمت روحي لربي ، ارتيمت بين أحضان قدرى مستسلما له و لك ، أغمضت عيني ، و أسلمت قلبى لحلما يطوف بأرجائي ، لأملاً يفيض بي بلقياك ، ليجتاحني بك و يعيد ذاتي يعيد ملتي يعيد تكويني !

تمر أيامي متناقلة ، فغيابك عني يجعل كل شيء مُحوش ، يجعل كل لحظاتي مرعبة وموجعة ، من دونك أشعر الغربة تتمكن من كل أركاني ، مضت تلك الأيام على بصعوبة ، فعقلي ومشاعري كانت مرهقة كثيراً و أنا أحاول التوفيق بينهما لأجلك ، لأجل أن أستطيع الصمود أمام جفائك الموحش لي ، حين فاجئني كريم بزيارة بدون موعد مُسبق لمكتبي ، و الأغرب من الزيارة هو سببها !! حين دخل طلعت مكتبي ليُخبرني أن كريم بالخارج و يلح بمقابلتي فتمالكت دهشتي ، و وافقت مقابلته .

رحبت به ، فجلس قبالة مكتبي ، و سألته بهدوء متعمد ...

: لا أعتقد أن هناك موعد مسبقاً بيننا !

: لا ليس هناك موعد ، و أعتذر عن حضوري دون موعد ، لكن أعتقد أن الأمر لا يحتمل التأجيل !

فبدأت تعطيني الدهشة فعلا ...

: ما الأمر ؟

: ياسين ، أنت تعلم أن تلك الصفقة مهمة كثيراً بالنسبة إليها !

: وقد أصبحت بالفعل لك ، يومين فقط و يتم توقيع العقود !

: نعم ، و أشكرك كثيراً على تلك الثقة بي ، لكن —

ثم صمت قليلاً ، فبادرته بنظرة منتظرة ، واستطرد قائلاً ...

: هناك عائقاً بسيط

: عائق ... أي عائق هذا ؟

زاد توتره كثيراً ، و بدأت يديه تطلق على المكتب ...

: كما أخبرتك هو شيء بسيط ، و سأتكفل به ، لكن فقط أطلب مهلة بضعة أيام قليلة حتى أتكفل به

فنظرت له و أنا أستند إلى ظهر كرسي ، ممسكاً بذقني ، وكان يدور الكثير بذهني ، لكن أكثر ما أثار دهشتي ، و أثار الكثير من الأسئلة بعقلي لما أتاني ؟ لما لم يلجأ لجلي ؟ فأنا آخر من يلجأ إليه إن كان حقاً لديه مشكلة ! فتاريخنا معا يجعلني آخر من يطلب منه المساعدة ! آخر من يطرق بابه ! فوضعت حيرتي جانباً ، و تساءلت ...

: هل لي أن أعلم ما هو هذا العائق ؟

: ليس بالشيء الهام ، فقط أمهلني بضعة أيام ، وسيكون كل شيء مُعد حسب الاتفاق بيننا .

فنهضت من الكرسي ممسكاً بمكتبي ، و ملت نحوه وبهدوء فاتر ...

: أعتقد أن صفقة كبيرة مثل تلك يجب أن تكون مستعد لها جيداً قبل أن تُقدم على التورط بها .

فبدأ بالتعرق ، و تلجلجت منه كلماته ، وهو يحاول القول ...

: ياسين ، لا تقلق أنا مستعد جيداً ، وكل شيء مُعد حسب الاتفاق .

فتحركت نحو النافذة و استندت بوجهي نحوه ، و تساءلت باستهجان

: لماذا لا يبدو لي ذلك ؟

: على العكس كل شيء بموضعه الصحيح . فقط أمهلني بضعة أيام يا شريكى !

بنظرة أحاول طمأنته بها ، حتى يفيض لي بما يسبر داخله ...

: أكيد ، لك كل ما تريد شريكى ، لكن ليس قبل أن تخبرني ماذا يحدث ؟ و ما هذا العائق الصغير ؟

: هو شيء لا يستحق أن أسرق من وقتك أكثر من هذا لأجله !

فجلست إلى الكرسي المواجه له و بنبرة قاطعة ...

: كريم لا اتفاق قبل أن أفهم ماذا يحدث ؟

: مشكلة صغيرة تخص المال

فبادرته بنظرة قلق و تهيدة غير مطمئنة لما هو آتى ، فاسترسل مسرعاً وهو يحاول أن يهدأ الوضع الذي بدأ ينقلب ضده ...

: كلا أرجوك ياسين ليس بهذا السوء هو فقط شيء صغير .

: المعروف أن وضعك المادي مستقر ، و تستطيع تنفيذ تلك الصفقة ، أو على الأقل هذا ما أخبرت جدي به !

: هو كذلك بكل تأكيد ، فقط عشرة صغيرة ، هي قطعة أرض تخص ايما أحاول بيعها حتى يتسنى لي البدء بقوة كما تعلم ، ليس أكثر .

فانتفض قلبي بين ضلوعي حين أتى على ذكر اسمك ، حاولت تمالك أنفاسي أمامه ...

: كل شيء جيد ، فقط المشتري سيحضر بعد بضعة أيام ليس أكثر .

: ستبيع أرض زوجتك لتعزز وضعك المالي فقط ؟ أم أن وضعك المالي سيقوم على بيع تلك الأرض ؟

: كلا وضعي جيد جداً ، لكن فقط أحتاج زيادة قوته ، هي لا يما فهي لي ، ثم أنها لا تحتاج تلك الأرض بأي حال من الأحوال !

: إذن هي ستكون أيضا شريكة بمكتبك الهندسي !

فهم واقفاً و بضحكة ساخرة ...

: ما الذي تقوله ياسين ، كلا هذا لن يحدث لن تشارك بأي شيء ! ثم إنها زوجتي ، فأنت لا تعلم كم أحبها و كم
تعشقني ايما ، و ما تمتلك هي أمتلكه أنا

: و أنت زوجها و حبيبها و ما تمتلكه أنت هي تمتلكه أليس كذلك !

فابتسم لي ببحث عينيه ، تقدمت إليه خطوة و بابتسامة لا تقل خبثا عنه ...

: هذا بالطبع دون أن يكون هناك أوراق أو عقود تقول بأنها تمتلك ، فالحب وحده يكفيها عقد بينكما !

و بابتسامة تقول هذا كريم الذي أعهدده

: لكن بالطبع بعد بيع الأرض ، و دمج أموالها بالمكتب الهندسي ، كل الأوراق تقول أنك وحدك من يمتلك ، رائع هو
الحب أعتقد أنني سأغير وجهة نظري به !

زادت بسمته ، و لمع خبثه بعينه فشاكسته

: كريم .. لما لا تعلمني هذا الحب !

: أتريد أن تخبرني أن أموال سحر ليست تحت يدك !

: أعتقد أن أموال سحر تحت يدي ! إن كانت أموال أحدنا تحت يد الآخر فلن تكون سحر فحقيقة أن رصيد زوجتي
يتضاعف بكل عام حتى كاد يتخطى رصيدي الشخصي !

: دعني أخبرك إذن أنك أحمق يا شريكى لا تترك بيدها شيء حتى تظل ممسكا بها بين يديك ، لا تدعها تمتلك حتى
تظل متحكما بها ، فلا تُفُلت من قبضتك ، أنا لن أترك ايما تفُلت من يدي مهما كلفني !

تعلقت عيني بقبضته و هاج ضيق بصدري فأعلم أنه يفعل كل هذا لتظلي سجينته لكن هل سيوقفني هذا عنك ؟
ابتسمت بضيق و أنا أنظر إليه ...

: أعتقد أنني سأجرب طريقتك في الحب يا شريكى !

: إذن بمقابل تلك النصيحة العاطفية ، لن يكون هناك ضرر من بضعة أيام شريكى !

فشرد ذهني بشيء ما ، ثم انتبهت لشرودي فبادلته الابتسامة

: حسناً .. لا ضرر من بضعة أيام أخرى .. شريكى !

: لا أعلم كيف لي أن أشكرك على هذا يا ياسين .

فابتسمت و أنا أمسك بقلمى و أقلب بأحد ملفاتي متظاهراً بمراجعتة ...

: لا أعلم من منا يجب أن يشكر الآخر ! فقط احرص أن تكون جاهزاً حين يأتي موعد التوقيع على العقود .

: بالتأكيد . فكل شيء سيسير حسب المخطط له .

غادر مكتبي فاتكأت إلى ظهر كرسي و ألقيت بالقلم من يدي ، شردت بكل ما دار بيننا ، فأدركت ما يخطط له يريد كل ما تمتلك تحت يده حتى تظلي بقبضته ، و هذا لا يعني سوى شيء واحد انه يوقن أنك لا تحبيه و لن تحبيه يوماً ، و كيف لكى و هو يجبرك على كل شيء ؟ و الأهم أنه موقن بأنك بأول فرصة ستتركينه ، و لذلك يريدك و كل ما تمتلكين بقبضته حتى لا يتسنى لك الفرار منه ، حتى لا يكون لك ما يقويك بوجهه ! غير أنني شككت كثيراً بمسألة وضعه المادي ، فإن كانت أموالك فقط للتأكد من سيطرته عليك فلما تأجيل توقيع العقد! و ظلت تتقاذفي أمواج أفكارى بما قاله و ما ينوي ! فوجدتني أهاتف طلعت وأطلب منه أن يأتي مكتبي ..!!!!!!

مر يومين على زيارة كريم .. أراك من حين لآخر ، كل شيء هادئ و مستقر ، خلا عن غضب زوجتي التي كانت لازالت حانقة من تلك الليلة بيننا ، و المضحك أنها من شكنتي لجدي و أبيها لكن هذا هو المعتاد كلما رفضت إحدى حماقاتها التي لا تنتهي ، لكن تلك المرة أخبرتني عمتي أن عمي سيد كان غاضب كثيراً ، حين أخبرته أنني جذبتها من شعرها و أنني كدت أضربها ! لكن جدي سأها لما فعلتها ؟ لما كدت أضربها ؟ فصمتت فأقسم لها أنني إن كنت فعلتها دون سبب منها لئنزل بي عقابه ، أم إن كانت فعلت ما يستحق ثورتي فلن يقتلع رأسها غيره ! فحنت وجهها أرضاً ، و اتهمت جدي بانحيازها لي ! حينها نهي جدي عمي عن الحديث معي ، و لأن عمي يعلم ابنته صمت و لم يحادثني بشيء ، رغم كل خلافاتنا معاً ، إلا أنني لا أنكر أنه يستمع لجدي و لصوت عقله الذي يعرفها و يعرفني حين يتعلق الأمر بما يخصني و هي .

اتصل بي توفيق لتتقابل ككل ليلة طلبت إليه الحضور إلى القصر ، فلم أكن أرغب بالخروج ، على أمل أن أظفر برؤيتك ، فقد مر يومين لم أراك بهم ! و بالفعل أتى جلسنا قليلا مع جدي ، فجدي يحبه كثيرا و يعتبره من العائلة و خاصة أن علاقة جدي بعائلته قديمة و قوية ، و ظلت مترابطة حتى بعد وفاة والده ، و انتقال كل شيء إلى أدهم أخيه الأكبر الذي كان يدير جميع أعمال عائلته ، و التي جزء منها يشارك به جدي ، لكنهم كانوا دائمي الخلاف ، فأدهم يريد أن يترك حياة السهر و النزوات و يؤسس مستقبله ، كان يريد أن يتحمل مسؤوليات العمل ، و يشارك بأعبائه ، فهو كان يريد الأفضل له من وجهة نظره الخاصة ، و كان جدي يحاول الضغط على توفيق لذات السبب ، بعد قليل دلفنا إلى الحديقة الخلفية للقصر المطلة عليها شرفتك .

دائما ما نحبذ و هو الجلوس أرضا ، فجلسنا قرب حوض السباحة ، و حينها اتخذت جلسة تمكيني من رؤية شرفتك ، حتى يتسنى لي الارتواء بك إن دلفت إلى الشرفة

: أستظل عيناك معلقة بتلك الشرفة !

بادرني بما توفيق بابتسامة مشاكسة...فتنهدت

: هذا مكانها المفضل ، قد تخرج إليها ، فأنا لم أراها منذ يومين الآن !

: ليسوا كثيرا هم فقط يومين !

: لك هم يومين ، و لي هم دهرا ، ليل طويل ، لا يريد أن ينتهي بإشراقه من وجهها !

فابتسم و هو يرفع طرف عينه ناحية شرفتك

: ألهذا الحد أنت مشتاق إليها ؟

: هذا ليس شيء هذا فقط ما أستطيع قوله ، ما يمكنني أن أجد حروفا لوصفه ، أما الذي بداخلي ليس هناك على الأرض ما يكفي لوصفه ، لا يوجد كلمات تضاهيه !

: ماذا تنوي أن تفعل ؟

فأملت رأسي و عيني معلقة بمدخل شرفتك

: أي شيء لكي أحظى بها ، لن أترك لها سبيل إلا و سأحرص أن ينتهي عندي ، هي تعتقد أنها تستطيع الهروب مني ومن حبه لي !

: لما لا تتركها ؟

فاعتدلت بمجلسي و أنا متعجب و ثائر مما قال

: ماذا ؟ أتركها !

فأمسك بكتفي و بصوت هادئ

: يا صديقي أنا أقول لما لا تتركها تحاول ؟ وتحاول أنت الآخر الهروب منها ؟

: ماذا تقول أنت !

فاقترب مني و بنبره من يخشي عليا من مجهول

: أقول أنني أخشى عليك و أرفق بك مما هو قادم ! إن إيما تفعل الصواب بالابتعاد عنك ، ومحاولاتها الهروب منك ،
ومن عشقا كتب عليه أن يظل سجيناً بينكما ! كُتِبَ عليه أن يظل معتقل دون أن يعلم أي ذنبا ارتكب و بأي عقابا
يجازى ! أعتقد أنك لا بد أن تساعدنا وتحاول أنت الآخر فعل هذا ! و تجنب كلاكما مصير لا يعلم نهايته سوى الله
وحده !

فابتسمت بضيق

: أعتقد أنني لم أحاول ، أعتقد أنني لم أفعل كل شيء حتى أنتزعها من داخلي ، حاولت بكل الطرق اقتلاعها من
داخلي ، حاولت كثيرا انتزاع هذا الحب الذي يملئني منها ، وبكل مرة كنت أهرب منها ، كنت أجدني بين يديها ! كل
طريق أخطو به هربا منها كان ينتهي بعينها ! صدقني كلما حاولت الهروب من جحيم اشتياقي لها أجدني أسير بجنة
أشواقها لأنفاسها ! يبدو أنني كما قُلت عني أصبحت معتقل بها و لها فقد هزمني عشقي لها !

عادت بسمته تغزو تقاسيم وجهه و هو يعتدل إلى جانبه ، ليكون وجهه مقابلا لوجهي ، و الأهم مقابل لغرفة لي لي
... !!!!

: ساحرة هي إيما ! حولتك من رجل يرى كل النساء شهوة ومصالح ، لفنان أو شاعر غارق بعشق امرأة ملئت روحه
حتى العنان ، حولتك لمشتاق فاض الحنين بأرجائه ، معلق قلبه بشرفة قد يمر طيفها بها ، فيرتوي شوقاً بنظرة خاطفة
منها ، قدر ما ستطفي من لوعة اشتياقه قدر ما ستشعل به نار الحنين !

فزادت بسمتي و أنا أرى عينه هو الآخر معلقة بشرفة لي لي .. فشاكسته

: عن من منا تحكي يا صديقي ؟

فانتبه أين ارتحل و أخذته رياح الأشواق ، فابتسم متلثم

: عنك أنت ، بالطبع أنت هو المتيم هنا !

فاعتدلت بجلستي ، و أنا أنتقل بعيني بينه و بين شرفتك ، و أعتقد أنه قد حان الوقت ليكشف هو الآخر عن سره فيكفيني صبراً حتى الآن .. فعاودت مشاكسته ...

: نعم فأنا متيم بعشقٍ داخلٍ روحي معتقل سجين و قلبي معلق بشرفة ! ولكن يبدو أنني لست وحدي المعتقل هنا ! أم يجب أن أقول لست وحدي المتيم المعلق بشرفة !

فبدأ يتقلقل بمجلسه و يطفو عرقه بجبينه ...

: ماذا تعني ؟

فنظرت إليه بصمت ، نظرة وحده من يقرأها .. فحاول الصمود

: هل توقفت عن النظر إيليا هكذا ! فحقاً لا أفهم ماذا تعني ؟

: أعتقد أنني تركتك بما يكفي ، على أمل أن تنحل عُقدة لسانك وتنطق وحده !

: انطق بماذا ياسين ؟ عن ماذا تتحدث ؟

: أتريد حقاً أن تلعب تلك اللعبة معي ؟ إلى أي مدى تعتقد أنني أحمق حتى لا أعلم ماذا يدور بينكما دون علمي ؟

حينها أحنى رأسه أرضاً و هو يتنهد

: يا الهى ، ياسين ، أنا —

فاقتربت منه وبغضب بدأ يركض بجموح نحوه ، و رغم أنني ألتمس له العذر ، إلا أن هذا لا يغير من أنه كذب عليا ، كان يلتقيها دون علمي

: أنت ماذا يا صديقي ؟ أنت ماذا يا نصف عقلي ؟

ثم صحت فيه بغضب و أنا أمسك كتفه بقوة

: أنت ماذا يا أخي الذي لم تلده لي أمي ؟

فأحكمت قبضتي بكتفه و بنبرة نائرة ...

: أنت عاشق لأختي !!

: ياسين أقسم أنني كنت سأخبرك !

: متى يا صديق عمري ؟ متى كنت ستخبرني أنك تقابلها دون علمي ؟

: أقسم أنني حاولت مئات المرات إخبارك ، لكنني خشيت منك ، من تلك النظرة ، خشيت أن تعتقد بالأمر سوء !

: والآن ماذا تُراي أعتقد عندما كذب كلاكما عليا ؟

فأمسك بذراعي ، و هو ينظر إلييا

: لم نكذب عليك ياسين ! فقط كنا ننتظر الوقت المناسب ، الذي يصلح أن نتحدث حول موضوع مثل هذا !

: ومتى كان سيأتي هذا الوقت من وجهة نظرك ؟

تنهد بصمت و نظر باتجاه شرفتها .. فأدرت عينيه إلييا

: أكنت تعتقد أنني لن ألاحظك كما لاحظتني ! كل هذا التغير بك ، تحاول الإقلاع عن الشرب ، أنهيت أكثر علاقاتك النسائية ، تحاول حل خلافاتك مع أدهم ، تبحث عن الدعم من الجميع ، و أولهم جدي ، حتى أن توفيق أصبح الآن يحاول خلق عمله الخاص ، الذي تبدأ وتنتهي كل خلافاته مع أخيه لاستهتاره وعدم رغبته بتولي مسؤولية شيء ، و أعتقد أنه لم يكن من الصعب تخمين من هي صاحبة اليد السحرية بتغير حياتك الجائحة ونقلها إلى حياة هادئة !

فأمسك يدي ، و عينه معلقة بي

: أنا أحبها ياسين ، أقسم لك لي لي ليست نزوة لي أو علاقة عابرة ، وأنت قولتها تغيرت لأجلها ، تغيرت كي أستحقها ، وكي أرضيها !

: أعتقد إن شككت للحظة أنك تتلاعب بقلبي ، كنت لتكون واقف أمامي الآن !

فاسترسلت له ...

: إن تجرأت يوماً على أن تأخذها أو تكسر قلبها ، فلن يقتلع قلبك غيري وصدقني لن يشفع لك عندي دهرًا من صداقتنا يا أخي ، هل أنا واضح بما فيه الكفاية لك !

: أعدك أن هذا لن يحدث ، فأفعل أي شيء لأجل سعادتها .

ثم توقف لحظة و سألني بدهشة

: كيف علمت بما يدور بيننا ؟

: أهذا كل ما يهم كيف علمت ؟

: على الأقل بالنسبة إليّ ، يقتلني الفضول يا صديقي !

: ليلة عيد مولد جدي بالممر الجاني للقصر !

فأغمض جفنيه و هو يرفع يده بوجهي

: يا الهي لا تخبرني أنك رأيتنا !

فاعتدل و ابتسمت و أنا أرفع له حاجبي

: حسنا لم أراك مع أختي ، لم أراك تقبلها ، و تضمها إلى صدرك ، و تتقرب منها ، لا لم أرى كل هذا !!

فاعتدل فجأة

: ياسين !

: ماذا ؟

: كيف رأيتني أقبلها ؟ لقد كان الممر مظلم ، و كنا بآخره تقريباً قرب فيلا كريب—

رفع رأسه فجأة و خبط كفيه بقوة و كأنه أمسك صيد ثمين

: أحقق أنا .. أنت لم ترانا ندخل إلى الممر ، أنت كنت بالممر ، أنت الآخر كنت هناك ، فلا يتسنى لك رؤية كل هذا إن

لم تكن حاضراً هناك ! و بالتأكيد لم تكن وحدك ؟

فرفعت يداي و أنا ألوح له بابتسامة حانقة

: لا تحاول قلب الطاولة !

: أنا لا أحاول يا صديقي ... أتعلم لماذا ؟ لأن كلانا يجلس إلى نفس الطاولة ياسين كلانا عاشق و أنت تعلم هذا ؟

فضربت على كتفه بغيظ

: هذا لا ينفي أنك خُنتني !

: كلا لم يحدث أنا أحبها ، و هي أختك و ليست زوجتك !

: فعلتها دون علمي !

: حسنا لا أنكر أنني أخطأت بتلك ، لكن أنت لم تكن تعترف بالعشق ، لم تكن لتفهم كم أحبها ، و أحاول إرضائها هي عنيدة مثل أخيها ، و أنا لم أخبرك إرضاء لها ، فلتضع نفسك بمكاني أنت تحب إيما و تحاول أن ترضيها بكل الطرق ، حتى و إن فعلت ما لا تقتنع به أو تريده لكنك تفعله لإرضائها ، و أختك صعبة الإرضاء ! ما كان بيدي سوى أن ألبى رغبتها فهي تخشاك كثيراً ، و لا أنكر أنني كنت أخشى عاصفة غضبك أنا الآخر .

هززت رأسي

: لا أريدها أن تعرف شيئاً عن كوني أعلم ما يدور بينكما !

: لا أفهم لما لا ستسعد كثيراً إن علمت أنك تعلم ، فلا تعلم كم يؤرقها أنها تخفي عنك !

: لا تسأل كثيراً فقط لا تخبرها أفهمت ؟

فأوماً برأسه بالموافقة ، و حين أمسكت بكوب العصير و رفعتنه لعمي لأرتشف منه ، رفع حاجبه و شاكسني

: حسنا كما تريد ، فأنت خال أبنائي ، فلك كل ما تريده فقط لا تغضب .

فانتفضت من مجلسي و ارتد العصير من حلقي فأغرق ثيابه و ثيابي ، فهم للعودة للخلف و هو ينفذ ما ارتد مني على ثيابه ، اقتربت منه و هو يعود برأسه للخلف

: ما بك يا ياسين ماذا ؟ أفقدت عقلك ؟

: ماذا قلت ؟

فأشار بيد و الأخرى يحجب بها وجهه عني ...

: ماذا تفعل يا ياسين تمسك ببعض من عقلك ، أنا هو المجنون أم أنت العاقل !

ظل يتراجع حتى بدأ يتمدد ظهره إلى الأرض ، و أنا أقترت حتى بدأت أجنو فوقه

: خال ماذا !!!!!!!!

فاصطدم ظهره بالأرض و هو يحرك يديه بتعجب

: ماذا حين نتزوج سننجب و تكون أنت خال أبنائي !

فرفعت حاجبي و لازلت أقترت منه أمسكت لياقة قميصه بقبضتي فشاغبي بجدي

: حسنا اهدأ يا صديقي إن لم ترغب بأن ننجب نئابيا فلن ننجب ، ماذا سنفعل بالأطفال ! سنقتني الكلاب و القطط

حتى ليسوا مكلفين ، فقط لا تغضب و تحتفظ بيدك بمكانها

فأحكمت قبضتي على لياقته و أنا أهز رأسه إلى الأرض فأمسك يدي بيديه و هو يبعتها عن عنقه

: هذا حين تتزوجها بالمستقبل ، حينها بالمستقبل سأكون خال أبنائك ، سأكون ، سأكون توفيق أفهمت ! إن اقترت

منها سأقتلع رأسك و عائلتك جميعاً ، أفهمت ؟

أمسك يدي بقوة يريد تقبيلها ، و هو يشاكسني

: أقسم أنني أتحدث عن المستقبل ، أو تعلم أقبل يديك ياسين ، لم أعد أريدها لا الآن و لا بالمستقبل ، احتفظ بأختك

أو تعلم شيئاً فلم أعد أرغب بالزواج و من ناحية الإنجاب اطمئن فلن أنجب بعد اليوم

فاعتدلت عنه ، ثم اعتدل بمجلسه بمحاذاة فاقترت مني و همس لي بمشاكسة

: أختك كانت ترغب بأطفال كثيرة ! حين نتزوج أعني بالمستقبل ، على اعتبار ما كان سيكون لا يهم

فزادت بسمتي منه ... فوضع ذراعه حول عنقي و مال إيليا

: لكن أعتقد بعد بيت الرعب هذا الذي أدخلني به منذ لحظات ، فأرجوك أن تبلغها ألا تعلق أمالا كبيره على ذلك بعد الآن ! أخبرها أنني سأشتري لها كلبا و قطة و لا نتحدث عن هذا الأمر ثانية !

فعلت ضحكاتنا بالحديقة ، ثم بدأنا نتدافع بمزاح حتى بإحدهم دفعني بقوة إلى حوض الاستحمام ، فابتللت كلي ، فأخذ يعتذر عن كونه كان يمزح و لم يقصد إسقاطي بالحوض ، فتظاهرت بأنني تخطيتها ، و حين مد يده كي يخرجني جذبته بقوة إلى داخل الحوض ، حينها غضب فأخبرته أنه من بدأ و عليه أن يحتمل نتيجة فعلته ، رغم غضبه إلا أنه كان يقفز فرحاً في الماء لأنني بثُ أعلم كل شيء يدور بينهما و حينها غمرتني سعادة ملأت صدري ، فلم أرغب سوى بسعادة أختي ، و أراها تحبها مع الشخص الذي يريد قلبها ، و الذي ملأني فرحاً أن هذا الشخص رجلا أثق به ، و أعلم أنه سيعتني بها و يحميها .

و ما زاد سعادي تلك الليلة حين رفعت عيني وجدتك تقفين بالشرفة ، كنت تبتمين بشدة من مزاحنا ، حينها نبهني توفيق أن لي لي و سحر يقفان بشرفة لي لي ، حتى لا أظل معلق عيني بك ، حينها أتت جنا و قبل أن ألوح لها بأن لا تقفز بالماء خوفاً عليها من أن تمرض قفزت ، فهي تعشق اللعب مع توفيق و معي و ظللنا نتدافع بالماء ثلاثتنا بعض الوقت ، و كم كنت أحتاج تلك الأمسية لترفه عن ذاتي ، و أنعم ببعض السعادة و لو ليلة واحدة ، فلم أعلم قبلها ما تعني كلمة الجنة ! لكن علمت حين اجتمع كل من أحب حولي ! توفيق صديقي و لي لي أختي و جنا ابنتي ، و أنتِ عشقي و كنت تبتمين لي لم تتواري عني لم تتجاهلين بلي كنت تنظرين إيليا و تضحكين فماذا أطلب أو حتى أتمنى أكثر من هذا !

باليوم السابع من زيارة كريم الأولى ، كنت بمكتبي عندما اتصل بي يود مقابلي لأمر هام ! تلك المرة لم أكن مندهش ، فأعلم سر الزيارة !

لكنني اقترحت عليه ألا نلتقي بالمكتب ، و نلتقي بفيللا توفيق ليلا و قد رحب بهذا الاقتراح فهو يرغب بالتقرب مني لأدعمه ، و بعد أن أنهيت المكالمة اتصلت بتوفيق و أخبرته أنني دعوت كريم إلى فيلته ، و طلبت إليه الاتصال به و دعوته هو الآخر ، و بالفعل نفذ لي رغبتني . و قبل الموعد المتفق عليه ذهبت إلى توفيق أولا

: هل لي أن أعلم ماذا يجري تحديداً ؟

تساءل بها توفيق حين دلفت إلى بيته ، فابتسمت و شاكسته....

: لا شيء .. أريد منك أن تسدي خال أبنائك معروفاً !

: أي شيء لخال أبنائي ، اطلب ما شئت يا صديقي !

: اجلس إلى جوارى أريد أن أتحدث إليك قليلا !

فجلس إلى جوارى و هو ينصت إيليا باهتمام تحدثنا قليلا قبل وصول كريم !

؟؟؟

و بتمام التاسعة وصل كريم على حسب الموعد المتفق عليه ، هم توفيق لاستقباله رحب به بحفاوة ، أدخله إلى الحديقة حيث كنت أجلس .

و حين دلف إلى هناك كنت أجلس بالكروسي المواجه لمدخل الحديقة ، فكنت متشوقاً كثيراً أن أراه و هو مُقبل ، تقدمت خطواته نحوي و أنا أمعن النظر به ، و قد رأيت به ما كنت أتوقعه و أتشوق لرؤيته ، و شتان بين خطواته تلك المرة و المرة الأولى التي أتاني بها بالمكتب ، فحين جاءني كريم للمرة الأولى كان متماسك و يحبوه الأمل ، خطواته مغرورة كعادته الا أنها واثقة ، أم تلك المرة فخطواته مهزوزة ، مترنحة فاقدة الاتزان ، و كانت خيبة الأمل تملئه ، فكان خالي الوفاض تماماً !

فهيمت واقفا حين اقترب من مقعدي ، و مددت يدي لمصافحته

: بموعدك تماما ... كيف الحال شريكى ؟

: بخير .

فأطبقت على يده بقوة .. فشاكسه توفيق و هو يشير إليه بأن يجلس

: ما بك كريم ؟ هل تشعر بالمرض أو شيء ما ، فلا يبدو على الإطلاق أنك بخير !

حينها نظرت لتوفيق

: توفيق توقف عن إزعاجه ، تلك المرة الأولى التي يجلس بها معنا ، ألا يجب أن ترحب به أفضل ؟

فابتسم توفيق و ربت على كتفه

: فقط أطمئن عليه ، و هو دائما مرحب به في بيته فليتصرف كما يشاء !

فابتسم كريم بضيق و هو ينظر إلى توفيق

: لا من شيء ، أشكرك على السؤال توفيق أنا بخير .

ثم نظر إيليا و بتردد

: كنت أريد أن أتحدث معك بشأن توقيع العقود .

فأعطيته كأس و ربت على كتفه بابتسامة

: لا تقلق كل شيء معد حسب الاتفاق ، و ستصبح شريكا رسميا بعد يومين من الآن ، تهاني مقدماً شريكى .

: حسنا ياسين لا أعلم كيف أقولها لكن كنت أرغب ببضعة أيام أخرى !

فعدت إلى الخلف و مسحت بباطن كفي على رأسي

: كريم -

: ياسين فقط أمهلني أسبوعاً آخر و سأعد كل شيء أعدك

: سألتني من قبل وأعطيتك ! والآن بيننا اتفاق و يجب أن تفني بجزئك منه !

: أعلم .. وأعدك أنني سأفعل فقط أمهلني أسبوع آخر !

: إذا كنت لا تستطيع إتمام الصفقة ، فقط أخبرني وسأعفيك من أي اتفاق بيننا !

: كلا ما الذي تقوله ! ياسين أنا أحتاج تلك التوسعات ! أرجوك !

: إن علم جدي أنك تواجه المشاكل فهل تعتقد أنه سيتم تلك الصفقة ؟

فمسح بباطن كفه تعرق جبهته ، و هو يضع كأسه إلى الطاولة

: ياسين

و قبل أن يقول شيء

: أنت تعلم جدي هو ليس متساهلا مثلي ، هو من الطراز القديم ولن يقبل بأي من تخبطتك تلك ! وأنت تعلم هذا جيدا فهو لا يضع العلاقات بالعمل !

: كلا ليس هناك من تخبط

ثم التفت إلى توفيق ...

: توفيق هلا ساندتني هنا !

فاعتدل توفيق بمجلسه

فليخبرني أحدكما ماذا يحدث تحديدا ؟

فالتفت إلى توفيق

: لديه عائق بتجهيز المال ، جاءني وطلب مهلة حل عائقه و أعطيته ، و تحملت اللوم من جدي لتأخير بدء التوسعات ، و الآن يطلب مهلة أخرى ! و إن وافقت أنا فلن يقبل جدي ، تلك آخر فرصة لك إن لم توقع في خلال يومين فلن تكون لك !

فزاد يأسه ، و نظر إلى توفيق

: فقط أسبوع آخر ليس أكثر !

فنظر له توفيق و بنظرة جادة

: كريم لنكن واقعين .. إن لم تحل عوائقك من قبل في كل تلك الفترة قبل عقد الصفقة و بعدها و الأسبوع الذي منحك إياه قبلا ! فهل ستحله في سبعة أيام !!!

فرفع كريم يده غاضباً

: توفيق أريدك أن تدعمني لا أن تقف ضدي !

فسألته بقلة اهتمام

: كيف صار بيع الأرض ؟

فأسند ظهره إلى الخلف و قد اعتلاه اليأس تماماً

: لم تتم الصفقة .. لا أعلم ماذا حدث ؟ أكاذُ أجن ! تنازل المشتري قبل ساعات من توقيع العقد !! أمهلني أسبوعاً
أجد مشتري آخر

ف نظرت له بابتسامة ساخرة ، أشعلت غيظه أكثر

: في أسبوع واحد بالسعر الذي تريده أليس هذا مستحيلاً !

: لا أعرف ماذا أفعل هذا ما بيدي ! يكفيني إيما و غضبها فهي لا تريد أن تبيعها، و تريد الاحتفاظ بها فهي آخر ما
تبقى من والدها !

فتساءل توفيق متعجباً.....

: أي أرض تلك ؟

: أرض تمتلكها إيما بالصحراوي سأبيعها لتعزز وضع المادي !

: أقلت أنها بالصحراوي !

: نعم

: كم تبلغ مساحتها ؟

: تقريباً مائة ، و تزيد قليلاً

فاعتدل توفيق بمقابلة كريم و باهتمام شديد

: حسناً أنا أبحث عن قطعة أرض لأقيم عليها مزرعة للخيل ، و سيدخل ياسين شريك معي أنا بالأرض و هو بالمال !

فانتفضت من مجلسي

: ماذا ؟ انتظر توفيق من قال أنني وافقت أن أدخل شريك معك ؟

: أنا قولت ثم من قال أنني أسألك رأيك ! أنت صديقي و يجب أن تدعمني !

ثم عاود النظر إلى كريم

: لنكن واقعين أنا لن أتحمل تكلفة شراء الأرض بالكامل فهناك تجهيزات كثيرة ، لذلك سأشتري أنا نصف الأرض خاصة زوجتك ، و نقيم عليها مزرعة للخيول ، و تكون زوجتك الشريك الثالث هي بنصف الأرض و ياسين و أنا بالنصف الآخر و المال .

ثم صمت لحظة و هو ينقل النظر بيني و بينه ، كان كريم مستغرق باقتراح توفيق ، حينها ضغط توفيق كتفه و بنظرة أكثر جدية

: و بذلك نوفر لك ثمن نصف الأرض الآن و نقداً ، و أعتقد أنه مبلغ ليس صغير و سيدعمك بالوقت الحال ، غير أنك ستتجنب غضب زوجتك فستظل نصف الأرض لها و أيضا ستكون شريك بتلك المزرعة ، و هو بالمناسبة مشروع مربح و سيقدم لك دعم مالي مستمر ، غير أن ياسين سيقدم لك بعض التسهيلات بشأن التوسعات التي ستديرانها ، فأنت تعلم بمجرد توقيع العقد بين المصنع و مكتبك الهندسي سيكون كل شيء بيده ! فما رأيكم بهذا الحل !

فهممت واقفا و تركتهما خلفي ، ثم التفت إليه و لازال يفكر

: أنت مجنون توفيق ، أعتقد أن هذا لن ينجح أنا لا أحبذ مسألة المشاركة تلك

و قبل أن أكمل هم كريم واقفا ، تقدم خطوة حتى أصبحنا متقابلين قال بنبرة قاطعة

: أنا موافق بهذا الحل

ابتسم توفيق ، حينها نظرت إلى كريم

: لا أعلم أعطيني يومين أفكر بالأمر ؟

فهم توفيق واقفاً تقدم خطوات ، وقف بيننا أمسك كتفي

: ياسين هيا المسألة بسيطة لا تحتاج تفكير ! مدام ايما ستكون مالكة فقط ، و نحن و كريم ستكون لنا إدارة كل شيء !

: لا أعلم لست متأكدا

و قبل أن أكمل أمسك كريم بذراعي و بنظرة غريق تعلق بقشنته

: لأجلي ياسين إن كنا سنوقع عقود المصنع بعد يومين ، فلنوقع عقود المزرعة غداً

حينها تنقلت عيني بينه و بين توفيق ، ثم نظرت لتوفيق

: أعتقد أنك ورتطني للتو لأجله ، صديق من أنت !

فابتسم توفيق و ربت على كتفي

: فقط أحاول إرضاء الجميع يا صاحبي ، فما المشكلة ما دمنا سنخرج جميعا فائزين !

فأملت رأسي مستسلماً بالموافقة فزادت بسمة كريم و أمسك كتف توفيق و هو يقبل جبينه بسعادة ...

: أنت هو منقذي توفيق !

ثم تقدم إلى الطاولة ، و أحضر كؤوسنا بعد أن ملئها ، أعطى كلا منا كأسه

: هذا الكأس لأجل شراكتنا و مستقبل أراه منذ الآن مشرقاً، غداً سيكون لنا

و بعد إن ارتشف كلا منا من كأسه ، بادره توفيق بشيء لم أتوقعه ...

: احرص على أن توافق زوجتك و الا ستخسر كل شيء!

فعلت وجه كريم ابتسامة خبيثة

: دع هذا لي هذا أبسط شيء ! لا تقلق شريكى أعدك أنها ستوقع لك غدا وكلا منا سيصل إلى مراده!

فابتسمت

: ليس لدي أدنى شك بأني سأحصل على ما أريد يا شريكى ، مهما كلفني الأمر ومهما تطلب مني ! السؤال الأهم

هل ستصل أنت ؟

: بالطبع

جلس قليلاً ثم استئذنان بالمغادرة لأن لديه ما يشغله ، حينها شاكسه توفيق

: إلى أين شريك هل ستنام مبكراً ؟

: كلا ، فلدي موعد هام !

: لا تخبرني أهي جميلة ؟

: يجب أن تراها توفيق كي تحكم ، إلا أنها قد تفقدك عقلك !

فهم توفيق واقفا ، و تعلق بذراع كريم

: هيا بنا أغلق الباب خلفك يا ياسين حين ترحل !

فعلت ضحكت كريم و زادت بسمتي

: اجلس توفيق سأقدمك لها لكن ليس الليلة ، فالليلة لي أنا !

فابتسم توفيق و هو يجلس و ينظر إيليا

: حسنا لا بأس سأنتظر دوري لكن احذر أن تمسك بك زوجتك !

: إن أمسكت سحر بياسين ! ستمسك إيما بي !

فرفعت له حاجبي ببسمة هادئة فهم توفيق واقفا ليوصله إلى الخارج

: حسنا هذا يؤكد نظريتي بأن الزواج من أسوء ما تم اختراعه بكافة العصور ، يا لكما من مسكينين ، أعتقد أنني سأظل

هكذا حتى لا يمسك بي !

فنظر كريم إيليا و هو يخاطبني

: أخبره أنه لا يفوته شيء هام ، فجميعنا نركض وراؤهن ثم بالنهاية نركض هربا منهن!

: لا تقلق أخبرته سابقاً !

فعلت ضحكته و هم مغادراً .

؟؟؟

غادر كريم ، رافقه توفيق حتى سيارته انتظر حتى مغادرته ، و حين دخل كنت أجلس إلى الأريكة أكمل كأسي ،

فنظرت له بابتسامة استفزته

: أهلا شريكى !

: نفذت لك كل ما طلبت ، و لعبت دوري بإتقان ، كل ما خططت له قد حدث هل لي أن أفهم الآن !!!!!!!!!!!!!

أشعلت سيجارة ، ورفعت قدمي إلى الطاولة ، أسندت ظهري إلى الخلف ارتشفت قليلا من كأسي ، و شرد عقلي بزيارته الأولى و ما يُرتب له فقررت اقتناص الفرصة ! لاحت لي فكرة الشراكة بيننا فقدر جنونها إلا أنها انطلقت بعقلي كفرس جامح لم أتمكن إيقافه ، قد تزيد قربك مني و قد تزيد من تشابك أقدارنا و تجمعنا معا ، صحيح ليس بالشكل الذي أريده ، لكن أي قرب منك تحت أي مسمى هو كافي لي بالوقت الراهن ! فكل خطوة ستقربني منك ومن أحلامي بكِ أو حتى أوهامي كما كنت تطلقين عليها دائما ، هي مرضية لي ، ثم انتبهت لتوفيق و نظرت إليه مبتسما

: ماذا تريد أن تفهم تحديداً ؟

: لما لم تخبرني أنك من أفسد بيع الأرض ؟ و كيف فعلتها تحديداً ؟ و ما قصة مزرعة الخيل تلك منذ متى و أنت تهتم بالخيل أو بهذا النوع من المشاريع ؟

فهمت واقفا أمسكت به و أجلسته إلى الكرسي و جلست إلى حافة الطاولة مواجهها له ، كان يصغي لي باهتمام شديد و أنا أفرغ له ما رتبت

: حسنا إفساد صفقة البيع تلك لم يكن مُعضلة ، و قد اهتم بهذا طلعت ، بعيدا عني تماما فلم يأتي ذكر اسمي بها من قريب أو بعيد ، وفر صديق لنا للمشتري قطعة أرض أخرى ، بمكان هو يريده بسعر مناسب ، و حرص ألا يعلم كريم عن تراجعهم سوى قبل ساعات من الموعد المتفق عليه حتى لا يمكنه البحث عن مخرج آخر و لا يكون له سبيل آخر غيري . أما المزرعة فقد بدرت إلى ذهني حين علمت أنها تحب الخيل ، و هذا سيكون مشروع مناسب لأرض بالصحراوي بتلك المساحة و أنا لا أكرث للمشروع بحذ ذاته ، كل ما أريده أن تصبح إيما شريكتي بأوراق رسميه موقعة بيننا ، أوراق شراكة الأرض ستوقع باسمك و اسمها فقط ، و أوراق شراكة المزرعة ستوقع بيننا نحن الثلاثة ، ثم بعدها ستبيع أنت لي نصيبك بالأرض دون أن يعلم أحد ، وتظل شريك بالمزرعة و إن لم يعجبك ذلك ، حينها تبيع لي نصيبك بالمزرعة ، و أيضاً دون أن يعلم أحداً ، هل هذا واضح !

فأوما برأسه ... فوضعت كفي على كتفه

: هذا من ناحية سيقربني منها و يجعل الحديث بيننا شيء طبيعي إلى حد ما ، و من ناحية سيزيد من الفجوة بينهما ، لأنه أخبرك أنها تريد الاحتفاظ بالأرض و هو سيبيعها لنا ، و يجبرها على ذلك أنا متأكد ! و الأهم من ذلك سيورطه بصفقة التوسعات و تلك لها تخطيط آخر ! بصفقة المزرعة تلك سيكون كريم قبل إيما بيدي أفهمت !

ثم هممت واقفا و هو لازال يصغي

: ثم ما مشكلتك أنت لن تدفع شيئا ، أنا من سيدفع كل شيء ، و اسمك فقط سيوضع بالعقد ، غير أن تلك الشراكة بيننا سترفع من أسهمك أمام جدي ، لأنه سيعلم أنك جاد بتغيير حياتك ، كما قلت أنت سنخرج جميعا فائزين !

فهم واقفا وهو يضحك بسخرية

: هذا بالطبع لن ينطبق على كريم !

جلست إلى الأريكة ، فوقف توفيق أمامي و سألني باهتمام

: هل تعلم إيما بما تدبره ؟

: أفقدت عقلك ، بالتأكيد هي لا تعلم شيء !

: أتعقد أنها ستقبل ؟

: أتعقد أنت بأنها ستقبل ؟

ففرك لحيته و رفع حاجبه

: كلا هي لن تقبل ، بل ستفعل المستحيل حتى لا يحدث ما تريده !

: أعرف كم هي عنيدة ، لهذا السبب لم أدع لها اختيار !

؟؟؟

غادرت أنا الآخر فيلا توفيق لكن عائدا إلى المنزل ، فقد اكتفيت بكِ دون نساء الأرض ، غير أنني حاولت قبلاً استبدالك و فشلت !

دلفت إلى سيارتي و شرد عقلي بكل ما حدث منذ زيارة كريم الأولى لي ، و كل ما خططت له ليعود لي ثانية خالي الوفاض ، فقد حرصت أن تغلق بوجهه كل الأبواب حتى لا يبقى أمامه سبيل آخر سواي فلا يجد باب آخر سوى بابي ليدقه !

ولأنني أعلمك ، أعلم أنك ستفرضين ، أكثرت عليه تلك الليلة من الضغط و وضعته قاب قوسين أو أدنى من وهم يطارده بالشراكة بيننا و منك ، و لأنني أعلم أنه لن يتوانى عن فعل أي شيء حتى يحصل على تلك الصفقة ، وسيدفع أي ثمن لأجلها حتى و ان كان أنتِ ! حتى و إن كان سيسلبك شيء تكثرين له ، و أعلم أنك معذبتني ستفرضين بكل ما أوتيت من قوة تلك الشراكة بيننا ! فأنتِ هي التي تحاول الهروب مني بكل الطرق ، كيف لكي أن تقبلي ما يقربك مني و لو كانت ورقة ؟ لهذا ضغطت عليه بكل قوة حتى استنزفت منه أي قدرة على ترك خيارا لك ، أعلم أنه سيجبرك على القبول فلا أمل آخر أمامه ، ولا أمل لي لإجبارك غير ذلك ، تلك المرة الأولى التي أمسك بأول طرف لحيط يقربني منك لذلك أمسكته بكل ما أوتيت من قوة ، فلن أتركه يفلت مني ، و سأفعل كل شيء و أي شيء لأجل أن أصل إليك ! و هذا فرق العشق بيني و بينه هو يفعل أي شيء ليصل إلى ما يريد حتى و ان كان الدفع بك أنتِ ! و أنا أفعل أي شيء لأصل إليك أنتِ !

وصلت إلى البيت و لازالت رياح الأفكار تتقاذفي ، دخلت إلى المكتب وقفت بالنافذة و عيناوي معلقة بشرفتك ، أكاد لا أحرك جفناً من شدة الترقب و اللهفة لأراك ، كنت أرغب بأن أرى آخر خيط لأمل زائف تلهثين وراءه و هو ينقطع بيديه ، كنت أريد أن أرى آخر سراب أحلامك يتلاشى من رجل لم يعشق يوماً قلبك مثلما عشقتك أنا ، رجلاً إن عشق يوماً فيك شيئاً فقد عشق امتلاكه لك ، و مع أول زلزال أصبحتِ أنتِ أول ضحاياه ، كم تمنيت تلك الليلة أن أرى يأسك منه فيضان يجتاحك ، أن أرى عينك غارقة بحببية الأمل منه ، و أنفاس الخذلان بصدرك تتعال ، فقط أردتلك أن تري آخر شرارة بشمعة الأمل في إصلاحه تحمد ، شمعة احترقت آلاف المرات من كثرة صفعات الخذلان و خيبات الأمل !

أنا المُصير فيك ، العاصي بكِ و بكل يقين ، المُلحد بكل نساء الكون
دُونكِ ، العابد بمحراب هواكِ ، ليس لي حياة سوى عشقكِ ، فبغيا بكِ يمتزجُ
أقصى الشك بكل يقين ، أنتِ لي قبلةٌ ، و عشقكِ دستورٌ و دين .

باليوم التالي جئتِ إلى مكنتي ، لا أكذبك القول لم أتوقع تلك الزيارة ، لم أتوقع أن تدفعك ثورتك إلى أن تأتيني ، أتيتِ و كنتِ تثوري غضباً و حنقاً ضدي ، أعلم أن ثورتك لم أكن وحدي السبب بها ، أعلم أن خيبة أملكِ به هذه المرة كانت أكبر ، أعلم أن صفة الخذلان منه كانت أقوى ، أعلم أي قد أكون سبباً ، لكن من داخلك أنتِ تعلمي أن تلك حقيقته التي تربنها كالشمس واضحة أمامك ، و لكن تحاولي فقط تجاهلها ، و كل ما فعلت أنني أجبرتكِ أن تواجهي ما تحاولي إنكاره ، و جزاء لذلك يجب أن أواجه عاصفة غضبكِ معذبتي ! و صدقا كم أعشق أن أراكِ و أنتِ غاضبة ، كم يثيرني غضبكِ هذا ، يشعل بداخلي بركان اشتياقكِ فأشعر و كأنكِ طفلي المدللة ، كم يهواكِ قلبي حين تدللي غاليتي ، فتدللي صغيرتي كما يحلو لكِ ! دخلتي إلى مكنتي و كنتِ غاضبة ، و بصوت غاضب ...

: أريد أن أقابل ياسين بك ... الآن .

فبادرتكِ مديرة مكنتي ...

: عفوا ... فياسين بك لديه اجتماع هام ، لا يمكنـ

: أنتِ هي مديرة مكنته ؟

: نعم ... فقط تفضلي بالجلوس و حين ينتهي الإجتماعـ

: أخبرتكِ أريد أن أراه الآن !

فترامى صوت مشاداتكِ و هي إلى مسامع طلعت فخرج ليرى ماذا يحدث

: ماذا يحدث هنا ، ما تلك الضوضاء ؟

أجابته بقلق ...

: عفوا أستاذ طلعت ... لكن المدام تصر على مقابلة ياسين بك و هو باجتماع هام ، و لا سلطة لي أن القاطع اجتماعه ، هو أمر بذلك .

نظر لكِ ، فوجدكِ متوترة و يبدو عليكِ الغضب فحاول تهدئة الوضع ...

: حمقاء ، الهانم ليست ممن ينتظرون ، فهي شريكة ياسين بك ، بأي وقت تحضر به فقط أبلغه بوجودها ، هل هذا مفهوم ؟

: كما تأمر ، أسفه كثيرا لا أعلم !

: عفوا إيما هانم على سوء التفاهم ، فهي جديدة و لا تعلم من أنت !

: أريد أن أراه الآن

أماء لك ، و بابتسامه هادئة ...

: بالطبع ، فالأوامر متى حضرتي دخلي ، لحظة واحدة سأبلغه بحضورك .

دخل طلعت إلى مكتبي و تعتليه نظرة جادة و بنبرة متوترة ...

: عفوا ياسين بك على المقاطعة

: ماذا هناك ، ألم أخبرك لا أريد أن يقاطعني أحد !

: أعتذر منك بشدة ، لكن أمرا هام لا يحتمل التأجيل

: كل شيء يحتمل التأجيل

فمال طلعت وهمس لي

: إنها مدام إيما هنا و تصر على مقابلتك الآن و يبدو أنها غاضبة

فوجدتني أبتسم حين أخبرني بما حدث بالخارج ، كم أعشق تلك القطة حين تنور ...

: أدخلها .

نظرت لهم و أنا ابتسم منك ، و بنظرة خاطفة ...

: أعتذر منكم ، فلنؤجل هذا الاجتماع قليلا أيها السادة .

دخلت إلى المكتب و كُنْتُ لازلتُ جالسا ، و حين رفعتُ رأسي نحوك و رأيتك و أنتِ تخطين نحوي ، اعتدلتُ بجلستي و اتكأتُ بمرفقي إلى المكتب ممسكاً بذقني ؛ خلاصة أنتِ حبيبتِي ، هذا الجمال الصارخ بكِ رغم هدوئه ، تلك الثقة التي

تعنيك دائماً ، تلك الأنوثة الساكنة بكل خطوة منك ، الساكنة كل حرف بقصيدتك حبيبتى ، كل شيء بك مميز ، كم تجيدين اختيار الألوان الهادئة التي تشرق فقط حين ترتديها أنت ، ساحرة أنت عشقي بكل ما فيك ، و حين تلاقى عيني و عينيك ، التي تمتلئ غضبا وجدتي أبتسم أكثر ، فنهضت من مكاني و اتجهت نحوك فهمت لك

: مشرقة كعادتك فماذا أقول ؟

فنظرت لي و لم تقولي شيئاً فاسترسلت لك ...

: يبدو أن نجم حظي بارتفاع !

وقفت و وجهك الممتلئ غضبا مقابل لنافذة ...

: ماذا تحاول أن تفعل يا ياسين ؟

وقفت صامت بضغ ثواني خلفك ، أتأملك .. فقط أتأملك .. أتأمل شعرك الذي دائما تلملمي خصلاتته لأعلى ، كزهرة نائمة لم تفتح أوراقها بعد ، و رائحة عطرك تتسلل إلى أوردتي ، و حين التفتي إلي .. همست لك متعجباً ...

: أعتقد أنني أحاول أن أرحب بك !

: ما الذي تحاول أن تصل إليه ، إلام تخطط ؟

: عن ماذا تتحدثين ؟

فأخذتني تعضض شفتيك غيظاً ، و تنظري لي و كأنك تريدني أن تنفجري بوجهي ...

: أنت تعلم جيداً عن ماذا أتحدث !

حقاً استمتعت باللعبة أكثر فتماديتُ بها ...

: صدقاً ... لا فكرة لدى !

لم أستطع منع نفسي من الابتسام و أنا أرى كل هذا الغضب يملأ قطبي المشاكسة ، تلك الثورة بك كانت تخلق بنفسني متعة لا أعلم مصدرها ، لكن ما أعلمه أنني كلما كنت أبتسم تزيد ثورتك ، فوجدتني أبتسم أكثر لتثوري معذبتي أكثر ؛ فعقدتني حاجبيك ، و بنبرة تكاد تنفجر منك غضباً ...

: ما الذي يجعلك تبتسم هكذا ؟

نظرتُ بعينيكِ ، و داعبتني أفكارِي ، هل أزيدُ من مشاكستكِ أم أهدئُ من ثورتكِ ؟ فوجدتني أميلُ نحوكِ و أهمس لقلبكِ ...

: أو ليس وجودكِ كافي لجعلي أبتسم ؟ ألا يكفيني أن تكوني هنا كي تمتلئِ روحي فرحا ؟

فاحمر وجهكِ وتخبطت منكِ نظراتكُ خجلاً ، و هدأت قليلاً ثورتكِ ضدي ...

: أتحدث عن تلك الشراكة التي أقنعتني أن تكون بينك و بيني !

فشبكتُ ذراعي و أنا أضمههم لصدرِي ، و كم كنت أتمنى لو أني أضمكِ أنتِ لقلبي و اتكأْتُ بظهري إلى المكتبِ خلفي ، و أنا أهز كتفي ...

: هي ليست فكرتي أنا ، هي اقتراح ألقاه توفيق فتمسك به كريم ، فما ذنبي أنا ؟

: وهل لي أن أصدق أنك من لعب دور البريء هنا ؟

: شئت أم أبيت تلك الحقيقة ، أتاني بمشكلة في تمويل المشروع فأعطاه توفيق حلاً ، نهاية القصة

: لماذا ؟

فاتجهتُ نحو النافذة ، و اتكأْتُ بإحدى يدي إليها ...

: أتى يسألني المساعدة ، كيف لي أن أرفض مساعدة شريكِي الجديد ، و صديق العائلة و زوجكِ !!

فوجدتكِ تتقدمين نحوي و بغضب يملئكِ و بصوت يكاد يكون صراخ

: ما الذي تريده يا ياسين ؟؟

فجذبتكِ من ذراعكِ إلى أن اصطدمتِ بصدرِي و أنا أصرخ بكِ

: أنتِ كل ما أريد و لن أتوقف حتى تكوني لي ، و لا أهتم كيف سأفعلها أنتِ لي إيما !

فتعلقت عينكِ بي تراجعتي للخلف و أنتِ مطرقة ، فهدأت حدتي و تركتكِ

: ثم لماذا أنتِ غاضبة إلى هذا الحد ؟ أنتِ أكثر من يجب أن يكون فرحا !

: حقا ! و لماذا ؟

: لأنك لن تضطري التخلي عن أرض والدك ، ألم تترجيه ألا يفعل و لكنه لم يكثرث ففعلت أنا و دون أن تطلبي ، فأعلم كم هي مهمة لك .

وجدتكِ تثورين أكثر ضدي ، حتى انك خبطتي كفك على المكتب بقوة أمتك

: حقا ! و ما الفرق و صديقك سيشتري نصفها ، و سيشاركني بأرض والدي !

: لن يشاركك أحداً ... حبيبي .

: كيف و هو سيشتريها ؟

قاطعتكِ و أنا أحاول طمأنتكِ أو هكذا اعتقدتُ

: أنا من سيشتري توفيق سيشتري لي اسمه سيوضع بالأوراق فقط لكن أنا من سيكون شريككِ

اعتلتكِ الدهشة و أدركتِ ظهركِ لي ، و أنتِ تهزين رأسكِ فالتفتِ نحوكِ كنتِ تغمضين عينيكِ تحاولين منعهم من البكاء ، تضعين يدكِ على فمكِ تحاولين إيقاف الكلام

: ماذا فعلتُ أنا ؟ لما كل هذا الغضب يملككِ ؟ أحاول أن أساعد حبيبي !

كانت نظراتكِ لي تنبئني بأنني ارتكبتُ جرماً كبيراً ...

: أنتِ حقاً لا تعلم لما أنا غاضبة ؟

: حقاً لا أعلم ، أخبريني أنتِ ؟

فالتفتِ للنافذة تحاولين الهروب بعيداً عني تخشين مواجهتي

: ياسين توقف عن فعل هذا أرجوك !

: عن فعل ماذا .. ما الذي أخطأت به ؟

: عن كل تلك المحاولات لتتقارب ، عن تلك الجسور التي تحاول بنائها لتتقابل ، فقط توقف عن بناء أحلام ستسقط فوق رؤوسنا لأنها تبني على وهم !

: أي وهم تتحدثين عنه هذا العشق الذي يملأ قلبك لي ليس وهماً ، هذا الذي تمتلئ به روحي منك ليس وهم

و زاد غضبي منك فالتفت إليك و بصدري بركان يجتاحني ، فقد احتملت الكثير من هذا العند الساكن رأسك و الآن دورك ...

: توقفي أنتِ عن محاربة طواحين الهواء ، توقفي عن محاربة كل ما بكِ ، توقفي عن محاربة ظلكِ ايما ، أنتِ من يجب أن تتوقف و ليس أنا !

فوجدتكِ تجلسين على الأريكة كمن يسقط فقدماكِ لم تعد تحملكِ ، و كل ما بكِ هوى منكِ دون قدرة لكِ على فعل شيء ، و بصوت اختنق بالدموع و نظرات بدت مُغيبية

: ماذا تريد مني أن أفعل ؟ وعشقنا هذا كُتب عليه الموت سجيناً ، كُتب عليه أن يدفن حتى دون عزاء ، كُتب عليه أن يظل محتسباً بين الضلوع ! ماذا تريدني أن أفعل ؟ أخبرتكِ سابقاً لا مستقبل يجمعنا معاً ليس كما تريد أنتِ أو حتى أجرؤ أن أحلم أنا، لا قدرأ سيقبل بنا أو يتغير من أجل عشق بيننا .

جلستُ قربكِ و أنا أتأملكِ ، و كلما مددت يدي لأحوطكِ بها لأخبركِ داخلي ، لأخبركِ أنني لا أحتمل أن أراكِ هكذا لأخبركِ أنني سأفعل أي شيء بالكون لأجلكِ تراجعتي ، لكنني اقتربتُ منكِ

: أخبرتكِ إن لم أستطع أن أغير هذا القدر ، سأسطر لأجلكِ قدراً جديداً ، قدراً يجمعني بكِ سأرسم طريقاً جديداً نصل به معا لنفس النهاية ، نهاية ليس بها سوى أنتِ و أنا و عشقنا .

فاهمرت دموعك على جبينك و صوتكِ المخنق بشهقات تقتلني ، يداكِ الصغيرتين ترتعشان

: لما لا تتوقف عن فعل هذا بي ! توقف عن إعطائي أملاً لن يتحقق ، توقف عن قتلي بخنجرٍ مسموم بأمل اللقاء ، لما تُجبرني التمسك بسراب قدراً يجمعنا؟ سراباً أطارده كل ليلة بطرقات الاشتياق لأصحو على واقع يقتلني ! ألا يكفي أن يجازيني زماني بالحنين إليك و أنتِ أمام عيني ! ألا يكفي و قلبي هذا عقاب ! و لأي ذنبا أجازي باشتياقك ! لأحييك بجنة أحلامي كل ليلة و يهدي بكِ عقلي لأصحو على غصة بالقلب تعتصرني بذنب عشقك ، فحقاً تعبت ؛ تعبتُ من مطاردة كل تلك الأوهام يا ياسين !

تلك اللحظة وجدثني أحتضن يداكِ بين يداي ، رغم محاولتكِ منعي إلا إنني احتضنتها ، و رفعتُ عنكِ شعركِ المتدلي على عينيكِ كي أرتوي منها ، و أمسح عن جبينكِ تلك الدموع التي لم تستطعِ منعها ...

: يا الهى .. ايما ، حبيبتى أكل هذا الوجع يسكن روحك ؟ فقسماً بمن أوجدك لا يحتمل قلبي آه واحدة تخرج من بين ضلوعك ، تقنلني ألامك و دموعك صغيرتي ! فتوقفي !

وجدتني أنزل على ركبتي أمامك و أنا أضع يدك على قلبي ، لعلك تشعرني قليلاً من عشقي لك ! أمسكتُ ذقنك و رفعتُ وجهك لأرى عينيك ، و أنتِ تحاولي الهروب بنظراتك بعيداً

: أقسم حبيبتى أنني حاولتُ مئات المرات انتزاعك من داخلي ، حاولتُ كثيراً منع روحي عنك ، حاولتُ الابتعاد عنك فلم أستطع ، حاولتُ كل شيء حتى أتوقف عن حبك و لم أرى سواك ، فقد هزمني عشقك و أجبرني الاستسلام لعينيك ، فكلما ابتعدتُ عنك أحسستُ بروحي تغادري و لا أقوى التمسكُ بها لا أقوى منعها ، كيف لك أن تطلبي مني ابتعادك و به موتي ؟ كيف تطلبي مني فراقك و به عذابي ؟ كيف تطلبي مني أن أتركك و أنتِ ما يربطني بالحياة ؟ فلا تطلبي مني زرع خنجراً بيدي بين ضلوعي لن أقوى انتزاعه ! فقط أتألم به ! هذا ليس عدلاً حبيبتى !

: أحبك ... أحبك كثيراً !

: و أنا أعشقُ كل ما بك ، حتى أن روحي تعشقُ تراب تخطوه قدماك حبيبتى أفعل أي شيء بالكون لأجلك صغيرتي .

و بابتسامه هادئة شقت طريقها بين دموعك ، لتشرق جبينك

: أنا لا أستحق أي من هذا ، لا أستحق كل هذا العشق بداخلك !

و وضعتُ يد على فمك و اقتربتُ منك حتى استعمرتني دقاتك

: هذا أقل القليل لك حبيبتى ، أنتِ تستحقي أن يسطر لأجلك تاريخاً جديداً ، تكوني أنتِ ملكته وحدك مولاتي من تجلسُ فوق عرشه ، تستحقي أن تشرق الشمس لعينيك و يتوارى القمر لمُحياك ، أنتِ هي حبيبتى و تستحقي كوناً تحت قدميك .

كنت أضغط كفك لقلبي ، فبادلتنى نظرة اعتقلت كل ما بي بين جفونك ، فرفعتي يدك الأخرى من جوارك ، و هي تنتفض بين قلبك و عقلك حتى استكانت لقلبك ، لتلمسي برحاك جيبني و آه حبيبتى حين لمس كفك جيبني .. كفت الأرض عن الدوران و وقف الكون بلا حراك حتى جريان النيل سكن من منبعه و انتفضت الدماء بعروقي ، تغزوني كفيضان كاد يوقف دقاتي و يهلك عقلي ، حين سافرت أصابعك ترتحل بجيبني اقتلعتني من ذاتي من أوردتي من جذوري و زرعتني بين رحاك ، تلك اللحظة فتشت عن قلبي وجدته سكن يداك ، فحين مستني يداك مست موضع خفقاني ،

فاقتلعت نبضي ليدور بين عينيك وأنفاسك وهمست لي و أنا غارق بسكرات عشقك التي أفقدتني عقلي ونبضي
وأنفاسي

: كيف لك أن تفعل كل هذا بي ؟ كيف لك أن تمتلك قلبي و عقلي بعشقتك إلى هذا الحد ؟

: أنا لا أفعل شيء سوى أن أحبك ، و صدقيني مُعذبتني ليس بيدي !

: أتعلم ماذا أسأل الله الآن ؟

فأطبقتُ بيدي على يداك ، و أنا أرتوي من عينيك

: أخبريني أنتِ ؟

: أسأل الله .. أن يفقدني ذاكرتي ، كي أنسى كل هذا العشق الساكن قلوبنا دون أمل !

فأطبقتُ يدك على قلبي ، و قبلتُ كفك المرتحل بصحراء اشتياقي لكِ و همستُ لكِ

: أنتِ لي تأكدي من هذا ، لا أعلم كيف سيحدث لكنني أعلم جيداً أنه سيحدث !

: ياسين ، أرجوك—

حينها وضعت يدي على فمك ، وجددني تائهاً بين عيناك و عذوبة شفثاك ، ضعتُ بسحر شهدك ، التي لطالما
اشتيتها ، و كلما سافرت أصابعي بين شواطئِ ثغرك ، أغمضتِ عينيك و تاهت منك أنفاسك لتشعلي نار اشتياقي ،
ضممتُ رأسك إلى رأسي كي أنتشق أنفاسك كي يحتل عبيرك ضلوعي و همستُ لكِ و أنا على سكرتي منك

: أحببتك بكل ما أوتيتُ من ضعف ، فحاولتُ و بكل ما أوتيتُ من قوة ابتعادك ، فوجدتني و بكل قوتي أتمادي في
ضعفي ، فسقطُ بعشقتك دُون وعي ، أنا المُصير فيك ، أنا العاصي بكِ و بكل يقين ، أنا المُلحد بكل نساء الكون
دُونك ، أنا العابد بمحراب هواك ، ليس لي حياة سوى عشقتك ، فبغياكِ يمتزجُ أقصى الشك بكل يقين ، قلبك لي
قبلةً و عشقتك دستورٌ و دين .

أخذتِ تغمضين عينيكِ تحاولين الهروب معي بعيداً ، بعد لحظات سحبتني يداك من يدي ، حاولتِ ملممة ذاتك لتقفي
على قدمكِ أمامي شامخة نجمة بسماء لا أقوى الوصول إليها ، وقفتِ أمامي جبل ثابت عالي الهامة لا يهتز له ركن
مهما عصفت به الرياح ، تحوطك هالة كبريائك وشموخك الملكية سُلطانة نبضي

: لن أوقع تلك العُقود !

تنهدت و هزرتُ رأسي و ارتسمت ابتسامهُ يآسة بوجهي من عنادكِ ، اعتدلتُ بجلستي إلى الكرسي أمسكت ساعدي الكرسي بغضب أحاول تمالكه و اعتقاله داخلي ، فلا تعلمي مدى ثورتي منك تلك اللحظة و من هذا العند الساكن بكِ ، وبنبرة مُحاول كظم غيظي

: أني لكِ هذا الصمود ، أخبريني من أين لكِ تلك القوة ؟

فبادرتني بصوت محتقن بالدموع و أنتِ تتحركين خطوات بعيداً عني

: ليت لي تلك القوة !!

بدأ الغضب يسيطر على نبرتي ...

: أنتِ هي أقوى من رأت عيني بضعفها ، و أضعف من قابلت بعشقها ، كيف لكِ أن تجمعي كل المتناقضات بين رحي فكيفِ قاتلتني ؟ كيف لكِ فعل هذا بي و بكِ أخبريني ؟

: أنا أضعف بكثير مما تظن ، أضعف من قطرة مطر تناقلتها الريح في ليلة عاصفة !

فوقفتُ و أنا أتمالك غضبي و حنقي منك ، أحاول تنظيم أنفاسي حتى لا تُفُلت مني ثورتي ، اتجهت نحوكِ بنظرة غاضبة و أنا أعتصر قبضتي متمالكا غيظي الثائر منك بين ضلوعي ، و اقتربت منك حتى تلاقى كنفني و كنتفك ملتُ إليكِ و همستُ بأنفاس غاضبة تكاد تشق صدري ، و بنبرة رغم هدوئها إلا أنها حملت الكثير من الوعيد بين حروفها

: لا تطلبي المستحيل حبيبتي ، لا تطلبي مني قتل نفسي بابتعادكِ ، ألم يخبروكِ أن ديننا حرم الانتحار ، و لست الرجل الذي يرضى بالانتحار حلا ! فأنا رجلاً تعود أن يحصل على ما يُريد ، و كما قُلتها سابقاً لا يهمني كيف سأحصل على ما أبغي ما دام بالنهاية سأحصل عليه ، و أنتِ كل ما أريد ! و سأصل إليكِ حبيبتي ، أعدك بأن كل سبلك ستنتهي باي !

بدأت خطواتكِ بالتراجع ، و ارتسمت بوجهكِ نظرة اختلطت بها الدهشة والخوف ، و زاد الرعب بأنفاسك فتقدمت خطواتي إليكِ

: شيء واحد يجب أن تُدركيه جيداً لن أترككِ و لن أدعك تتركيني مهما كلفني الأمر ، و هذا وعداً مني لكِ بهذا ، و أنا رجلاً شرقي يحفظ عهوده مهما طال الزمان و مهما كلفته من ثمن ، شئت أم أبيت .. أنتِ لي .. !

علت أنفاسك و تحببت نظراتك ، و وقفت الحروف بين شفتيك وحنجرتك تريد الخروج و لا تقوى أن تغادرك ، وما كان منك إلا أن ركضت نحو الباب وكل ما بك كان ينتفض ، و تبعتك نظراتي حتى اختفيت عن ناظري .

كان الحق يملاً صدري من كل هذا العند الساكن صدرك ، ألا يكف كبرائك عن الأنين ! غادرت مكتبي وأنت مصرة على أنك لن توقعي العقد بيننا ، رغم نظرة الخوف التي ارتسمت على وجهك ، لكن كنت واثق تمام الثقة أنك حبيبتى ستوقع و هذا ما أتى بك إلى مكتبي ، تعلمي أنك لن تغلتي منه فأتيت إيليا لعلني أتركك ! لكن عفوا صغيرتي ... فلا أستطيع تلبية رغبتك مولاتي ، فأنا من سعى لكل هذا حتى تقتربي مني كيف لي أن أهدمه الآن ؟ أعلم أن الضغط عليك كان أكبر مما تخمليين صغيرتي، فكلانا ضغط عليك بكل بقوته ، لكن أنت لم تتركي لي خيارا لم يكن لي درباً آخر أسلكه كي أصل إليك .

باليوم التالي وقعنا معا عقود المزرعة ، بذلك اليوم لم نتحدث لم تتفوه بحرف لأي منا سواء أنا أو هو أو حتى توفيق حين هنأك بالشراكة ، كان الغضب يملاً كل ما بك برر كريم حدثك الزائدة بأنك مرهقة ! بعدها بيومين تم توقيع عقود التوسعات بيني و بينه بصفتي مدير للمصنع و بصفته مدير المكتب الهندسي ، وقع كريم العقود دون التمعن بها أو التأكد من أنه ملم بكافة شروط التعاقد بيننا !!!

أراد كريم احتفالا كبير لتلك المناسبة الا أن جدي رفض و قال الاحتفال سيكون بعد الانتهاء من التوسعات حينها يكون هناك ما يستحق الاحتفال به ، لذلك قرر توفيق أن يقيم عشاء بأحد الفنادق لتوقيع عقد المزرعة لكن سحر لم يمكنها الحضور لأنها كانت مريضة

ذهبنا إلى الفندق كانت لي لي هي من معي ، كنت أنت و ميس آخر من حضر حتى أن كريم حضر قبلك و تلك كانت غريبة قليلة ، يبدو أنك لازلت غاضبة من تلك الشراكة لكن لا يهم فقد أصبحت شريكتي و قضى الأمر !

و رغم غضبك الثائر بأحداقك إلا أنك و كعادتك حبيبتى كنتِ فاتنةً بكل ما فيكِ ، خلافةً عينيكِ لها سحرٌ خاص ، قادرٌ أن يُسافرَ بي إلى عالم لي وحدي ليس به سوى عينيكِ و أنفاسي ، كلما رأيتُكِ وأنتِ تخطين نحوي أشعرُ و كأنها المرةُ الأولى التي أراكِ بها ، أشعرُ بكل مرة تقعُ عيني عليكِ و كأنها تأسُرُ بكِ من جديد ، بكل مرة أشعرُ و كأنني أقعُ بغرامكِ للمرةُ الأولى مُعذبتى ، لا أعلمُ كيف لكِ أن تفعلني هذا بي كثيرا من الأوقات أشعرُ و كأنني زُميتُ بتعويذة عشقكِ ، و كأن هذا الذي أنا به ليس من صنُع بشر، أحمقُ أنا بعشقكِ و من قال أنكِ بشرٌ ، أنتِ هي ملاكي الذي سكن الأرضُ لأجلي تركِ الجنةَ لُفري .

أعلمُ أنكِ غاضبةٌ مني كثيراً لأني أجبرْتُكِ أن تكوني شريكتي ، لكن ما كان بيدي غير ذلك كي تظلي جوارِي ، كي أستطيعُ الاقتراب منكِ دون أن يلحظ أحداً اهتمامي بكِ لم يكن لي سبيلٌ آخر ! حقا كُنتِ مُختلفةً كثيراً تلك الليلة حبيبتى ، ليس فقط بجمالكِ الفاتن بهُدوئه ، و لا لتألقِ عُصنكِ حبيبتى الذي التف بفستانكِ الأسود رائِعُ الجمال رغم بساطته ، لكن كونكِ لم تُحاولي النظر إيليا تلك الليلة ، حتى إنكِ اتخذتِ جلسةَ ثواريكِ عني ، و كأنكِ تُعاقبيني بأن تحرميني رؤيةَ مُحياكِ ، تحرميني أن أتُنفس عيناكِ .. كم قاسيةٌ أنتِ مُعذبتى كي تحرميني لحظات أحيائها بُقربكِ !

و استمر هذا الحال بعض الوقت و لكن لم يدم طويلا ... فحين أشار أحد أصدقائنا إلى امرأة تجلسُ بالطاولة المقابلة لنا و قال لكريم

: أتعلم من تلك الجالسة هناك ؟

: لا ، و من هي ؟

نظر إليه صديقنا الأحمق و أماء له

: هي صافي ، إحدى نساء ياسين ، لكن لا تُخبر سحر بهذا

فرد توفيق مُسرعا

: كانت إحدى نزواته السابقة ، لكن الأمر انتهى مُنذ زمن

فأجاب صديقنا بضحكة جلجلة بالمكان ...

: لا تُنكر أنها لازالت مُهتمة ، لازالت تُطارده على أمل أن يعود لها يوماً ، أعترف أن الكثير من النساء يُطارده ، و كل واحدة منهن تُحاول الفوز به .

فنظرتُ إليه و لا أعلمُ لما أصبحتُ غاضب ...

: أعتقد أنك أكثر من احتساء الخمر الليلة !

بعدها بدا الانزعاج على وجهك ، أردت الذهاب إلى الشرفة لأنك انزعجت من دُخان السجائر ، فانتظرتُ بعدك قليلا ، و أخبرتهم أن لدي مكالمة هامة لابد أن أجريها ! حاول توفيق إثنائي عن اللحاق بكِ لكنني لم أحتمل ، كاد عقلي يُعادرني فقد اشتقتُ إليك كثيراً ، كيف لي أن أترك فرصة قد تجمعني بكِ تمرُّ من بين أصابعي ؟ فهمتُ خلفك بعد بضع دقائق و لم أكثر كل ما دار بخُلدي أي اشتاق كل ذرة بكِ .

كُنْتُ تقفين بالشرفة بعيداً عن كل هذا الصخب ، بعيداً عن كل هذا الدُخان المتطاير بكل مكان ، تقفين كنجمة مُتألقة بسماء عالية ساحرة بشموخها و إطلالتها الجذابة و بريئها الخلاب ساحرة أنتِ بكل ذرة فيكِ أميري ، تُسكين سور الشرفة بيد و بيدك الأخرى تُداعبين زهرة نائمة من أزهار نمت على سُورها تُداعبها برقة و حنان ببراءة طفلة في الخامسة من عمرها و ليس أنثى شارفتُ على تخطي ربيعها الثلاثين أنثى يُججل منها القمر و تتوارى من حسنها النجوم ، أنثى لأجلها ينقلب التاريخ و يثور تنقلب لأجلها أكوان و تتهاوى عصور ، فأثنائي حطمت كل قوانين الجمال و انكسرت على أعتابها كل مقاييس الأنوثة لتصبح وحدها عنوان لها .

تنظرين إليها و تستجديها أن تفتح عيونها لأجلك ، تترجها أن تشرق ليلك الحزين أميري . لم أتفوه بكلمة فلم أجد بين الحروف و الكلمات ما يستحق أن يُقال بحضرة سحركِ و جمالكِ الأخاذ فاتنتي ، فأمام جمال مُحياكِ و سحر عيناكِ المسافرة بي إلى عالم من الأحلام و الأساطير شوقاً إلى شهد شفتاكِ ، لأغرق بكل تفاصيل غصنكِ المتمايل كزهرة بريّة تداعبها نسيمات صيفية ، نسيمات حائرة أداعب خصلات شعركِ البني بلمس فاق الحرير رقة ، أم ترتوي من جبيننا توارت منه زهور البساتين خجلا ، فأصبح الصمت بحضرتكِ أميرة قلبي و ملكة عرشي المتوجة بدقائق الهائلة بكِ سحرا لا تضاهيه كل أجديات الكون . وقفت بضع دقائق أراقبكِ و أنتِ تداعبها برحى يدكِ ، و كم كنت أحسدها لأنها لمست رحاكِ ، و كم كنت أغارها لأنكِ تداعبها و تهتمي لها ، و أنا الذي يغار عليكِ من ملابس تلتف حول غصنكِ فاتنتي ! كنت أقف جوار مدخل الشرفة حين انتبهت لوجودي حينها انتفضت منكِ أوصالكِ

: صدقاً تلك المرة لم أقصد إخافتكِ ، لكنني لم أستطع منع نفسي !

بدا عليكِ الغضب و اتجهت نحوي ترغيبين بالخروج فأمسكت بذراعكِ

: لم أآتي كي ترحلي !

فعقدت حاجبيك و بنظرة غاضبة ...

: اترك ذراعي ياسين !

: أعلم أنك غاضبة مني ، لكن ليس أنا من أجبرك التوقيع ايما !

كنتِ تنظرين إلى و عيناكِ تزداد غضبا، لم أكن أعلم لما أنتِ غاضبة إلى هذا الحد لكن تلك النظرة كانت مختلفة

: لا أعتقد أن الشراكة بيننا هي السبب لكل هذا الغضب ؟

تلك المرة كان غضبكِ مختلف ، له نكهة لم أدقها يوما تلك المرة كان به شعور مختلف ، شعور لم يسبق لي أن اختبرته سابقاً مع كل نساء حياتي ، كحال كل مشاعري معكِ معذبتي ، كل شيء بعشقتكِ أشعر بأني أحياه لأول مره ، أشعر دوما بقربكِ أنني أولد من جديد ، طفل لا يعلم بالكون سوى أنكِ من أحضرتَه لهذا العالم ، أنتِ هي من ولد كل شيء بداخله لأجلها ، فلا يعرف سوى ما يتعلمه معكِ و منكِ و لا يشعر سوى بكِ !! و في محاولة لاستجداء رضاكِ

: لا أفهم لما أنتِ غاضبة إلى هذا الحد حبيبتي ؟

: لست غاضبة !

فرددت باستهجان و نبرة بدت ساخرة

: حقاً ؟

: حقاً .. اترك ذراعي !

فجذبت ذراعكِ نحوي أكثر ، و بنظرة صارمة يشوبها الغضب

: ليس قبل أن أفهم ما بكِ !

صمتي لكن تلك النظرة التي انطلقت منكِ باتجاه صاقي ، كانت تكفيني لأفهم أن طفلي الصغيرة دبت بقلبها نار الغيرة فوجدتني أبتسم ، و رفعت حاجبي بدهشة

: حقاً ، أهذا ما يغضبكِ الآن ؟

فبادرتني بنظرة أنثوية و أنتِ تهزين كتفيكِ مدعية عدم المبالاة ، تحاولي إنكار غيرتكِ

: عن ماذا تتحدث أنت ؟

فرمقتها بنظرة خاطفة ثم عاودت النظر إليك ، و على وجهي ابتسامة حانية أشرفت لها عينيك الغاضبة ، فتنهدت بارتياح و سعادة غمرت صدري، ها هي تلك العنيدة تقف بين يداي تحترق غيرة لأجلي فهذا الكبرياء يثور ضدي لأنه يدوب عشقاً و غيرة لأجلي ! فاقتربت خطواتي و تراجعت خطواتك أكثر

: لا شيء ، فقط يجب أن تفهمي و تتأكدي أنه لا يجمعني بها شيء ، ما كان بيننا انتهى منذ زمن حتى قبل أن تظهرني أنتِ بحياتي .

: وما دخلي أنا ؟ ما بينك و بينها يخصك و لا علاقة لي بها أو بغيرها ! تلك حياتك فلتفعل بها ما تشاء ، هل لي أن أعبر الآن ؟

: أو لم تعبري بعد ! حبيبتي لم يعد بيننا و هي لم تتخطى كونها نزوة .

: قلت لك لا دخلي لي ، ليس من شأني .

سأفقد عقلي منك ها أنتِ تموتين غيرة لأجلي و لازال الكبر يعتليك ! حاولت أن تفلتي ذراعك من يدي ، فدفعتك إلى الحائط خلفك بقوة ، و بات لا يفصلنا سوى طرفة عين ، فصحت فيّ

: ماذا تفعل ، أجننت ؟

حاولت التمسك بما تبقى لي من عقلي ، عقلي الذي بدأ يغادرني جزء تلو الآخر منذ دخلي حياتي ...

: ستستمعين إلى ما أريده أولاً !

: لا أريد أن أسمع منك شيء ، اتركني .. اتركني ياسين .

علا صوتك ، و حاولت دفعي بعيداً عنك

: كاذب ، لا أريد أن أسمع منك شيء ، حمقاء أنا أحببت كاذب

: ايها

و أمام نظرة خوف لمعت بين عينيك ، حاولت السيطرة على غضبي منك ، فلم يجروُ أحدا قبلك رفع صوته في وجهي

: اهدئي حبيبتي

: لست حبيبتك ، و لا يجمعني بك شيء !

قلتها بصوت عالي فوضعت يدي علي فمك ، و بيدي الأخرى مسحت دمعة سقطت على جبينك على استحياء من كبريائك ، كقطرة ندى تُحيي زهرة برية في فجر حزين

: هي لم تعد تعني لي شيء و لم تكن تعني بالسابق لا أنكر أنني كنت على علاق

: يكفي ياسين لا أريد أن أسمع منك شيئاً

شعرت بأن ما أقوله كان يزيد غضبك و يشعل ثورتك ، لكن لا أعلم لما اجتاحتني رغبة بأن تعلمي كل شيء عن ماضي عشته قبلك . فوجدتك تحاولي دفعي بيدك و كأن ثورة غضبك تلك لن تقضي أبداً ، فزاد غضبي منك و عقدتي حاجي بغيط من تلك العنيدة ، فدفعت معصميك بقوة للحائط خلفك ممسك بهم بقوة حتى أنها أمتك ، و صرختُ فيك بغضب

: لا أنكر أنها عبرت سريري ... و ليست وحدها بل و غيرها ، لكن لم تعني لي أي واحدة منهم شيء ، لم يجمعني بهم سوى المصـ

لمعت الدموع بعينيك ، فحاولتُ احتواء عاصفة غيرتك و بدأتُ أهدأ من حدتي ، خاصة أنه بدا لي أنها قُوبلت ببعض الاستسلام من عاصفتك المدوية فملتُ إليك وهمستُ ببعض مما يسكنُ ضلوعي لك ...

: إما حبيتي لم تسكن أي منهم قلبي مثلما سكنت أنت ، لم تمتلي روعي من أي منهم مثلما امتلأت منك و بك ، أنت هي عشقي و حياتي ، أنت هي من انقلبتُ على ذاتي لأجلها ، أنت هي حبيتي و صغيرتي ، أنت هي نبض قلبي و أنت هي معذيتي ، أنت من أطوى الكون لأجلها ، أنت من أدفع عمري و أزيده للحظة بقربها أنت هي أنا !

كنتُ ممسكا بمعصميك و أنا أثبتهما إلى الحائط خلفك ، و نظراتك لك كانت صارمة بالبداية في محاولة لاحتواء عاصفتك التي خشيتُ أن تُفلت من يدي ، لكن غلبتها نظرات السعادة و الارتياح ، و الكثير من الدهشة و أنا أتأملك و أنت لازلت تفاجئيني بكل لحظة ! فكيف لتلك العنيدة التي تُكذب عشقها لي منذ وقعت بغرامها و غرقت هي بحري؟ تلك العنيدة التي تحاول الهروب بكل قوتها من أي لحظة تجمعنا معا ، كيف لتلك العنيدة التي توارت عني منذ دقائق لتُعاقب قلبي لعشقها ؟ تُعاقب كل ما بي لأني أحاول خلق طريق لأصل إليها ؟ تلك التي تُكابر نبضها و تندثر بكبريائها ، كيف لها أن تنسى كل هذا بلحظة غيرة واحدة ؟ و تتحول من طائر حزين جريح ، من طائر كسير لا يمتلك سوى ضعفه ، إلى نسرا جارح يُهاجم بضراوة ، أن تُثور غضبا كحصان بري جامح يستحيل ترويضه ، تُثور كبركان ممتلي بنيران و قودها الغيرة حتى تار ليجتاح كل ما يقفُ أمامه !!!

آه من تلك العنيدة التي تسكن كل تناقضات الكون عينيها التي تجتمع الجنة و النار بخصرها ، التي تُثور براكيني و تهدأ بأنفاسها آه يا امرأة عبرت حدود اللذة بقرها ، تلك العنيدة التي ستفقدني عقلي بكل هذا العند و الضعف الساكن ضلوعها !

و بين هذا الجنون الدائر بعقلي منك و جنوني الدائر بصدري اشتياقاً لك ، و كل ما أشتهي بين يدي ! و صوت دقاتك يعلو صوت أنفاسك التي تسارعت بين ضلوعي ، و سابقت نبضاتي أنفاسي لتحتل ضلوعك و عطرك يسرق ما تبقى من عقل ضاع بين تفاصيلك ، و أمام كل هذا الاشتياق الذي يجتاحني و كل هذا العشق بداخلك و جدتي أقرب منك أكثر و يدي أفلتت معصمك لشبابك أصابعك أصابعي ، لتصير سجينة بين جدار خلفك و بين يدي فأين لك الهروب تلك المرة ؟ و كل ما بك أصبح سجين ضلوعي و أنفاسك تسري بأوردتي ، فأخضعني ضعفك و خضوعك و أشعني كبرك و غرورك ! و حين ملت إليك لأرتشف من شهد شفتيك استسلم كل ما بك لثورة أشواقك التي اجتاحت كل أرجائك لأجلي ، كنت أعتقد أنني أطفئ و لو قليلاً من نار اشتياقي لكل ما فيك ، و حين رست قلاعي بين شواطئ ثغرك و كلما ارتشفت من خمر عشقك و جدتك تُشعلي كل ما بي أكثر حتى فقدت عقلي فيك لأغرق بين ضلوعك و أتمل من كل هذا العشق داخلك ! آه .. لو تعلمي ساحرتي كم اشتييت تلك اللحظة لأغرق بنهرك لأدفن بين ضلوعك ليالي غيابك الموحش التي قضيتها أطارد طيفك بطرقات الاشتياق فأرهقت قلبي و أنهكت عقلي و قضت على قدرتي لتحمل جفائك ، و كم تمنيت لو توقف الزمن بي و أنت بين يدي تمنيت أن تدوم تلك اللحظة إلى الأبد ، أن تظلي بين ضلوعي إلى ما لا نهاية ! و لا أدري لكم من الوقت ظللت أتمل منك مولاتي ، فخمر شهدك أفقدني قدرتي على مقاومة غرق بنهرك ، فكلما ارتويت منك و أسقيت من شغفي بك وجدت كل ما بي يزداد ظمأً و أفقت من ثملت على همس صوتك الذي لا أدري إن كان يوقظني أم يزيدني فيك غرقاً !!

: ياسين ... ياسين توقف !

فخبئت كل ما بك بين ذراعي و جدتك تضعين رأسك على صدري ، و تشبثت يداك صغيرتي بذراعي بكل قوتك كطفلة تحتمي بوالدها من مجهول تخشاها ، فضممتك إلى قلبي بكل ما استطعت لملته من قوة ضاعت بين سكرتي في عشقك و غرق بنهر اشتياقك

: ليس لي حبيبة سواك صغيرتي ، فإن أخبروك أنني عاشق فاعلمي أنني أعشقك أنت ، و إن أخبروك أنني أهوى فلن تكون غيرك أنت ، و إن قالوا هو متيم بنساء الكون فهذا لأنك عندي بهم أجمعين ، فما فائدة قلبي إن لم ينبض بك أنت ! و ما فائدة أنفاسي إن لم تخرج لك أنت ! و ما فائدة حياتي إن لم تُشرق بك و لك !

فزاد تعلقك بذراعي كان عقلي يُجادثني بأن ثمة شيء تحاولين قوله لي !! و قبل أن أسألك عما تُداريه عني وجدت طلعت أمامي ينبهني لتأخري ، فطلبت منك المغادرة أولاً إلى الحمام حتى تغسلي عن عيناك دموعك ، حتى لا يلحظ أحداً شيء.

عدتُ قبلكِ إلى الطاولة ، لم تكن لي لي أو ميس يجلسون إلى الطاولة ، لكن الغريب حين عدت وجدت الجميع صامتون ! و قبل أن أتساءل بادرني توفيق بنظرة من الخبث تملأ وجهه ...

: لم أكن أعلم أن كريم بهذا الذكاء ، فقد فضح أمرك !

لا أكذبك القول فقد انتفض الدم بعروقي و عُقد لساني للحظات ، و استطرد الأحمق بنظرة مشاكسة ...

: قال ياسين تأخر لا بد و أنه يجدد بعضاً من نشاطه !

اعتقدت للحظة أنه فضح أمرنا حقاً.. لكن نفضت الفكرة عن رأسي سريعاً، لو كان أحس بشيء لم يكن جالس هادئ بمكانه ! فأجبت بهدوء مصطنع لتمالك توتري

: عن أي نشاط بالتحديد ، فالنشاطات كثيرة ؟

و استمر على تلك النبذة المشاكسة ، و لكن تلك المرة كان كريم و بابتسامة ملئت وجهه

: هذا النوع من النشاط الذي تغيب له كل تلك المدة ، و يؤثر على هندامك أعتقد حين غادرت كان كل شيء بموضعه ، أم الآن فكل شيء جيد لكن مستقل بذاته ياسين !

تبعثها ضحكة من الجميع ، فرمقتهم بنظرة متجاوبة في محاولة لمجاراة الأمر ، فيبدو أن الجميع أعتقد أنني كنت مع صاني ، فهي الأخرى غادرت طاولتها بعد دقائق من مغادرتي ، و تلك اللحظة انتهت أن عطرك حبيبتني لا بد و أنه علق بي ، فغيرت مجلسي ليكون مواجه لكريم و ليس بجانبه ، و أمسكت بكأسي و أشعلت سيجارة لعل رائحة السجائر تُغطي رائحة عطرك ، و بنظرة لا تقل خبث عنه و بنبرة بها كثير من الارتياح فلم ينتبه أحداً لشيء و هذا كل ما أكثرث له

: بالمرّة القادمة لا تأتي بزوجتك حتى تستطيع تجديد نشاطك أنت الآخر !

فوجدت توفيق يضحك بطريقة هسترية حتى أنه كاد يسقط عن كرسيه و نظر له الجميع و هم يضحكون ، فنظرت له و أنا أكاد أنفجر منه غيظاً هذا الأحمق سأقتله يوماً .. و ملت نحوه و بنظرة صارمة

: أعتقد إنني سأستلم جواب شكر من أخيك صباحاً !

فنظر نحوي و قد توقف عن الضحك ، و عقد حاجبيه باندهاش شديد

: و لما يرسل لك أدهم جواب شكر؟؟

فأجبتة و أنا أقبض على كفي كي أتمالك غضبي منه و أنفث دخان سيجارتي بوجهه

: لأني سأقتلع رأسك الآن .. و متأكد أن هذا سيسعده كثيرا ، ألا تعتقد أنت ؟

فنظر إيليا و هو يحاول تمالك ضحكاته ، و وضع يده على فمه بإشارة أنه سيصمت .. ثم عادت لي لي و ميس ثم عدت أنت و صديقة لك صدفتيها بالحمام .. فزاد ارتياحي سيكون هذا سبب كافي لتأخرك .

و انقضت الليلة ، التي تمنيت أن لا تنتهي حتى تظلي أمام ناظري و قلبي

خبلني الهيام و أغواني بهواك ؛ فأمنتُ بالغرام و أمنتُ بين يداك ؛ فدثريني
بعينيك من صقيع الغياب ؛ و انثري فوقى العشق و الهيام و دفئي قلبى
بأنفاسك فبرد الحنين جمد بعروقى الدم و الأشواق

ارتحلت الأيام ... تارة مسرعة و تارة ثقيلة ، بدأ العمل بالتوسعات كل شيء يسري حسب ما أريد ليس بالسرعة المطلوبة لكن لا بأس ، تحمس توفيق لمشروع المزرعة كثيراً خاصة حين لقي صداه ترحيب واسع من جدي و لي لي ، قرر أن يصبح شريك فعلياً بما باع لي نصيبه من الأرض سراً كما هو المتفق عليه و ظل شريكاً بالمزرعة ، هو من قام بالتجهيزات أعاد ترميم ذاك البيت الصغير الذي كان متهدم بها ، بدأ بإنشاء الإسطبلات و التعاقد على بعض الخيول .

لم أكن متفرغاً له فلدي الأهم المصنع و خاصة أن بدأ العمل بالتوسعات أثر بشكل ملحوظ على كفاءة العمل بالمصنع و أبطء كثيراً من حركة سيره ؛ حصل كريم على الدفعة الأولى من المال كما هو المتفق عليه ، إلا أنه لم يقد بإنفاقها بالكامل على العمل بل معظمها على نزواته الشخصية وهذا عمل على تباطؤ وتيرة العمل بالإنشاءات لكن لم أعطه الاهتمام أو حتى ألمح له بأنني أنتبه فلندعه يدخل قدم تلو أخرى إلى الماء ! و زادت سهراته خارج المنزل و تزايدت المشاجرات بينكما حتى أن أصواتكما بدأت تتعال و تُسمع للجميع و أيضاً زادت نوبات غضبه ضدك و التي كنت تحاولين دوماً أن توارى آثارها على وجهك أو جسدك و هو ما كان يدفعني دوماً لسؤال واحد لما تتحملين كل هذا العذاب معه لما تخشيه إلى هذا الحد ؟ لكنه كان دوماً سؤال لم تخلق له اجابة أو بالأحرى هي خلقت لكن هناك من دفنها و لا أعتقد أنني سأتوقف حتى أجدها ! توددت إليك أُمي لتفرضي لها بما داخلتك لم تقولي الكثير فكان بكائك أكثر من حديثك ! أبرز ما قيل كان عن استهتاره الذي لا ينتهي لكنك لم تحددى لها شيئاً !

و مع كل يوم تصبح الحياة أكثر تعقيداً ! فلا نعلم هي معنا أم ضدنا فلا نعلم تدابير القدر لنا أو علينا ! لكننا نبذل قصارى جهدنا لتخطي الأزمات و لعل تلك الأزمات التي نراها صعبة و معضلة ! تكون بالحقيقة هي من نسج خيالنا ليس أكثر ! فنحن من نعطي الأشياء أهميتها . فبالحقيقة كل الأشياء و الأمور هي واحدة لا تختلف عن بعضها بشيء ، لا تختلف سوى بما نريده نحن ! فنحن من يميزها عن بعضها البعض بتلك الهالة التي نكسوها بها من ظننا و اعتقاداتنا ، سواء أكانت سلبية أو ايجابية إلا أنها تظل جميعها في النهاية مميزة لأننا من يعطي بعضها الأهمية ، و ننزع عن البعض الآخر احتياجنا له فلا يميز أشياء عن الأخرى سوانا ، فنحن من يزينها و يجعلها ذات رونق و أناقة أو يجعلها صدئة لا تستحق .

تلك الليلة حين عُدت للمنزل كانت لي تنتظري ! حين دلفت وجدتها أمامي و هذا أدهشني كثيراً !
ف نظرت إلى الساعة بيدي و أنا أنظر إليها

: مساء الخير حبيبي .. لما أنتِ مستيقظة إلى الآن ؟

فابتسمت إليها و هي تتقدم خطوات

: مساء الخير ياسين فقط النوم يجافيني بعض الشيء

فأومأت لها برأسي دلفت إلى غرفة المكتب حينها استوقفتني

: ياسين هل لي أن أتحدث معك قليلا ؟

: الآن أليس الوقت متأخر بعض الشيء للتحدث ؟ اذهبي للنوم الآن ، و نتحدث لاحقا !

فأومأت برأسها بالموافقة و بعد أن التفت و خطت خطوتين ، توقفت و عادت و التفت إليها

: كلا أريد أن أتحدث معك الآن . فأنا لا أراك إلا قليلا تلك الأيام !

: حسنا أدخلني و أغلقي الباب .

تقدمت و جلست إلى جانب المكتب و بدا عليها التوتر ، ظلت صامتة لحظات فبادرتها

: أنا أستمع لي لي .. ما هو الموضوع الهام الذي جعلك مستيقظة حتى الآن ؟ و لا يحتمل التأجيل لوقت لاحق ؟

فأخذت تفرك أصابعها بكف يدها و هي مترددة

: أخبرني سحر أن سامح أخوها يريد الزواج بي ، وأن جدي موافق و أنها ستقنعك بالموافقة!

فهممت من مقعدي و جلست إلى كرسي المقابل لها

: نعم هو تقدم بطلب الزواج منك و جدك مُرحب و سحر تحاول كل شيء كي تنتزع موافقتي .

: إذن فأنت لم توافق بعد !

: حسنا لست متأكد من أن هذا سيظل موقفي ، فسامح شاب جيد صحيح هو أخو سحر و ابن سيد إلا أنه جيد و

: لكنني لست موافقة

فنظرت لها و ببسمة حاولت أن أداريها

: هو شاب جيد ، فلما الرفض حبيبي ؟

: حين أنني دراستي أولاً

فابتسمت فتلك كذبتها المعتادة أعتقد أنني يجب أن أضغط أكثر حتى تعترف لي بحبها للأحمق فهمت واقفا

: هذا العذر لن يقبل به جدك تلك المرة إن وافقت ، و حقيقة لا أجد سبب مُقنع يجعلني أرفض ! فما المشكلة أن تنهي دراستك بعد الزواج فلن يمنعك أحد !

: لكن يا ياسين

فتصنعت الجدية و رفعت وتيرة الأمر قليلا فلتنهي هذا الآن ، فمللت من حماقات النساء و عندهم المستمر ألا توجد واحدة خُلقت دون عناد ! لما لا يعترفن بحبهم دون أن نخوض حروباً و قتال !

: هذا يكفي لي لي ... ما من لكن إن كان هناك شيء لا أعرفه ! أو سبب قوي يجعلني أرفض ! و أجابه عمك و جدك لأجله فأخبريني به الآن ، تلك آخر فرصة أمامك و إن لم يكن فلتصعدي لغرفتك و تتهيني لموعد إعلان خطبتك و تحديد موعد الزفاف فهو متعجل كثيراً ، و لتعلمي إن أعطيته كلمة لن أرجع بها و إن خرج والدك من قبره هل أنا واضح ؟

فاضطربت و اتجهت نحو الباب غاضبة ، و بعد أن فتحت الباب انتظرت لحظة ثم عادت و أغلقتة ، التفت إيليا فانتظرتها أن تسبر لي بما في قلبها

: حسنا هل تعديني أنك لن تغضب ؟

: جلست إلى الأريكة و اعتدلت بجلستي

: حسنا أعدك ، هاتي ما عندك .

أخذت نفساً عميقاً و أخرجته و دون مقدمات

: أنا أحب توفيق .

سحبت علبة السجائر من فوق الطاولة ، أشعلت سيجارة ، فنظرت إيليا باستغراب فكانت تتوقع رد فعل آخر تماماً ، ثم عاودتها و كأنها اعتقدت أنني لم أسمعها

: ياسين أنا أحب توفيق صديقك !

: أعلم أنك تحببته و أنكما عاشقان و تتقابلان دون علمي .

فأحنت رأسها ، و بدأت تبكي....

: ياسين أنا آسفة لم أشأ فعل شيء دون علمك لكن كنت أخشاك كثيراً .

ثم أجهشت بالبكاء

: آسفة ياسين ، حقا آسفة أنت أبي و أخي و كل شيء لي ، ما كان يجب أن أفعل ذلك لكنني أحبه ، و أقسم لك أنني لم أخطئ أو أفعل شيء يسوء إليك .

فهمت واقفا احتضنتها إلى صدري و حوطتها بذراعي ، فزاد بكائها....

: أعلم أنك فعلتيها دون علمي لأنك تحببته و كنت تخشيني ، و أوقن أنك لن تفعلني شيء يسوء إليك أو إيليا .

فتساءلت و شهقات بكائها يسبق حروفها

: إذن فلست غاضب مني !

: بالطبع أنا غاضب لأنك وارييت عني حبك له خشيت أن أغضب منك ! حمقاء ألا تعلمي أن لا أحد يغضب من ابنته ! و أنت هي ابنتي و لا أحب أحد قدر ما أحبك يجب أن تفهمي هذا .

: و أنت لي كل شيء أخي و أبي و صديقي ، فأنا لا أعلم لي أب سواك .

فابتسمت إليها و شاكستها

: بعد أبي تلك كيف يمكنني أن أظل غاضب ؟

: إذن لن تزوجني سامح ؟

فابتسمت و مسحت جبينها

: كلا ، فذاك المجنون قد ينتحر بعدما يقتلني إن زوجتك أحد غيره !

: هو يعلم أنك تعلم بما بيننا ؟

فرفعت حاجبي و بابتسامة مشاكسة

: حسناً ، بهذا الشأن .. نعم هو يعلم .

فغضبت أحداقها

: و لم يخبرني !

فاتكأت إلى المكتب خلفي ، و داعبتها

: أعتقد أنه يستحق بعض العقاب لأجل ذلك ، فأرى أنك غير مسيطرة بالمرّة !

فزاد غيظها و عقدت حاجبيها

: حسنا سأقتلع رأسك يا توفيق !

فعلت ضحكتي

: تلك فكرة جيدة جداً .

: ماذا ستفعل مع عمي و جدي بشأن الزواج ؟

: لا تشغلي بالك بهذا ، و هيا اذهبي للنوم الآن و اتركي هذا الأمر لوالدك اتفقنا !

: أحبك ياسين .

: أعلم .

ابتسمت لي و همت للخروج و قبل أن تلتفت أمسكت يدها

: لي لا تخبري أحد عن ما بينك و بين توفيق بالوقت الحالي ، حتى ننتهي من مسألة سامح تلك .

: لكنني أخبرت أحدا ما !

فسكنني بعض الضيق

: من ؟

: ايما

فتعجبت كثيراً حين أتت على ذكرك

: ايما !

: نعم لكن هي لن تخبر أحد أقسم لك .

زادت دهشتي لما أخبرتك أنت ؟

: لما خبرتها ؟

: لأنني أحبها و أشعر بالارتياح معها كأنها أختي ، فهي من أحت عليا أن أأتي إليك و أصارحك بكل شيء ، أخبرتني أن لا أخافك و أنك لن تخذلني مهما فعلت ، و أن لا أحد سيحبني أو يخاف عليا غيرك ، و أنك ستحميني و تدافع عني برغم أي شيء ، هي من رفعت عن قلبي خوفه منك ، لا أكذبك القول هي أزاحت الكثير من رهيتي منك ، أشعر أنها تخاف عليا كأختي .

حينها أخذني عقلي إليك ، فبكل لحظة أشعر أن قلبي لم يخطئ باختيارك

: لا بأس أنتِ أصبتِ باختيار من تسيري له أغوارك ، اذهبي للنوم الآن تصبحين على خير .

: تصبح على السعادة و الحب أخي و أبي و سندي .

فابتسمت من دعوتها لي ، و طبعت قبلة حانية على جبيني و غادرت إلى غرفتها .

حينها اتجهت عيني إلى شرفتك و خاطبني قلبي و عقلي ” تلك هي من عشقت و يبدو أنني لست وحدي الغارق
بهواك حبيبتي فمن يلومني إن غرقت بك ، و كل من يقترب منك يقع بغرامك “

تواريتِ عن قلبي عدة أيام لم أكن أعرف ماذا يحدث ؟ فدائماً ما تبث تصرفاتك الحيرة بي ، و تجعلني أقف بين
حافتي الشك و اليقين ، تلك اللحظات التي أشعر بك تفتحي لي باب الغرام على مصراعيه ، و لحظات أخرى أجذك
تغلقين بوجهي كل سبيل إليك ، تشيدين أسوار فوق أسوار لتمنعيني وصولك ، فبكل يوم يزداد شعوري مولاتي بأنك
لغز كبير ، لغز كلما استشعرت أنني فككت طلاسمه و أزحت الستار عن ما بداخله ، أجديني ضائع بسبله تائه بين
ثناياها ، فأنتِ معذبتني لغز بكتاب تأخذني أمواج التيه ببحوره ، فضاع عقلي بين حروفه و غرقت قواربي بين سطوره
بذاك النهار ، علمت مصادفة من لي أنك ذاهبة إلى إحدى مكتبات الكتب القديمة ، فتبعتك حتى وصلت دلفت
خلفك إلى المكتبة ، ثم تبعتك صعوداً إلى الدور العلوي بها ، و حين رأيتني هممت مغادرة فاستوقفتك

: أريد أن أتحدث معك إيما .

: لا يوجد شيء نتحدث عنه !

فابتسمت بغيظ منك

: بل هناك الكثير شريكتي !

هممت راحلة فأشعل تصرفكِ صدري غضبا ، فجذبتك من ذراعك بعيداً عن الأنظار

: لا تجبرني على فعل شيء لن يعجبك !

: أهذا تهديد أو شيء من هذا القبيل ؟

فتنهدت و أنا أكظم غضبي

: لا أجرؤ حتى التفكير بها ، لكنني لا أستطيع الحديث معك ، كل محاولاتي بالاقتراب تقابل بالهروب منك ، أنتِ هي
التي لا تترك لي خيار آخر ، أرجوك لا ترغميني عليها !

: أرغمك على ماذا تحديداً ؟

: أن أفعل شيء يضايقك ، شيء لا ترضي عنه ، حتى يتسنى لي رؤيتك و الاقتراب منك !

فبادرتني دون تردد و بقطعية صعقتني

: سأسافر لزيارة خالتي ، ثم أعود إلى إنجلترا إلى الأبد !

أفزع قلبي ما قلتيه تلك الحدة بنظرتك ! تلك القطعية ، فتساءلت و كأن عقلي و قلبي لم يسمعا ما تحدثت به

: ماذا ؟

: سأبتعد للأبد ، و لن أعود و لن أكرث إن لم يوافق أنا راحلة و هذا آخر ما لدي !

فدفعت الحائط من حولك بباطن كفي بغضب ، فارتجفت

: حمقاء !! أعتقدين أنه يمكنك الرحيل و كأن شيء لم يحدث !

: صدقني أنا تحتاج هذا أكثر مني ، ياسين أنا لست سوى نزوة بحياتك ، لن أكون سوى موعداً بدفتر مواعيدك ، و

أعتقد أنه يمتلأ بالكثير !

فزاد غضبي منك جبلاً اقتربت منك و وضعت كفي على الجدار حولك

: أعتقدين أن حيي لك نزوة ! أعتقدين كل هذا العشق بداخلي لك شهوة أرغبها منك ! أنك لي مثل باقي النساء !

أخبريني هل حقاً تعتقدين ذلك ؟

فأغمضت عينيك بعد أن لمعت دموعاً بأعماقها

: لا يهم ماذا أعتقد ! المهم أنني سأبتعد و أنت ستتركني إن كنت حقاً تحبني ستتركني ياسين ستشفق على قلبي الذي

تخطم بينك و بين واقعي ، ستشفق على عقلي الذي تفتت من كل هذا الجنون !

طفت دموعاتك المتقطعة

: ستتركني ياسين لأنني أموت بعشقتك ، ألم تقطع لي عهداً بأنك لن تترك مكروها يمسي ؟ فأوفي بعهدك لي و اتركني !

عشقك يقتلني !

تسمرت قدماي بموضعهما ، تساقط كلي مني أمام الملك ، حتى أن دموعك انتزعت مني وعداً بالابتعاد! انتزع مني صراخ قلبك وعدا بالانتحار ! رفعت يدي و رحلت ، و حين التفت إليك علقنت عيني بخطاك المترنحة خطاك الضالة المتعبة حتى غبت عن ناظري ، ملمت جسداً زُهقت منه الروح ظللت أطوف الشوارع ضال! عقلي شريد دون أمل قلبي طريداً دون وطن! حتى عدت فجرا فارتميت بأريكة المكتب ، مقابل لشرفتك كي أدفن ما بقي مني هناك حيث ولدت أول مرة بهواك !

تتوالى أيامي بالغياب سنوات ، فلا تأبي المرور و لا تأبي حتى الهدوء عن النبض بك ، اعتقد أن كل ما بي غادرنى إليك و لم يعد يبقى لي شيء ، غادرنى كلي حينما استيقظت ذاك الصباح ووجدتك بالفعل غادرت ، لكنني أحاول التمسك بصوايي في غيابك ، أحاول التشبث بمظهر كان حالي ، الا انه لم يعد لي حال بغيابك ، حاولت كثيرا أن أظل متماسك أن أظل ثابت قدر الإمكان ، أحاول تجنب الحديث مع الجميع حتى لا يلحظ أحداً شرودي طوال الوقت !

و لكن أكثر ما فاجأني حديث كريم معي بإحدى سهراتنا معاً ، حين حاول التهرب من الحديث عن سير العمل بتوسعات المصنع ، فأعلم أنه بدأ بالتعثرو و يحاول إخفاء الأمر ، فشاغبني أنه بقلبي امرأة قلبت حالي ! فابتسمت و لم أنفي و لم أؤكد خاصة حين أقسم على ذلك بقبر والده ! و بينما كان يحاول توفيق تشبث انتباه عن الحديث بهذا الشأن بالحديث عن صديقته الجديدة ! خاطبني لسان حالي و أنا أطيل النظر به

” نعم قد تكون تعلم أن بقلبي امرأة ! لكن هل تعلم أن امرأتي التي أرغب امرأتي التي أشتهي عشقها هي امرأتك التي يعذبها امتلاكك لها ! امرأتك التي تفعل أي شيء لتنفك عنها قيودك ! أتعلم أن تلك المرأة التي يقتلني بعادها ويسلخني غيابها هي امرأتك التي تدعي ربها كل ليلة لتغادرها إلى الأبد !

عُدت برأسي إلى الخلف تنفست بعمق ، و أنا أحاول التشبث بما بقي من أنفاسي التي رحلت معك ! ولازال عقلي يركض خلفك بطرقات الوهم و جحيم الاشتياق !

فإلى متى سأحتمل هذا الجحيم ؟ أعتقد أن كل ما بي لم يعد يحتمل فبكل مرة تبعدني عني ، أشعر بأنني سأفقد بغيابك ما بقي من عقلي ! مثلما فقدت على أعتابك قلبي ، كل ما بي بدأ يغادرنى و لا زال قلبي يوقن بعودتك يوقن برجوعك فكيف سترحلين و كل ما بك بين أضلعي و كل ما بي ساكن بك !

لكنني بت أخشى من لحظة جنون تقودوني إلى كل ما أشتهى بك ! أخشى من سكرة بعشقتك لا يقوى قلبي تحملها
فيرتكب حماقة تزيد من غضبك ، و يا ويل قلبي حين أغضبك كطفل لا يحتمل غياب أمه ، لا يحتمل عقابها ، وكم هو
قاسي عقابك معذبتني حين تحرمي رؤيتك ! تحرمي إدماني بأنفاسك ! حين تمنعيني أن أتنفس عينك ! فرفعت عيني و
تضرع عقلي و قلبي قبل لساني

” فيا ربي زدني صبرا ليحتمل قلبي جحيم عشقتها “

فلم تكن سوى لحظة ضعف مني لحظة خانتني بها رجولتي فليس بقلبي ذرة تتحمل ألمك ، حتى و إن كان الثمن عذاب
قلبي ، لحظة واحدة أشفقت علي قلبك الرقيق معذبتني و تركتك تنتزعين وعداً بالابتعاد عنك ، وعد لم أقطعه بل هو
من قطع نبضي قطع عني أنفاسي ، أحرق أنا ظننت أنني إن تركتك إن نفذت رغبة لك بالغياب لعلها تريح ضمير
يعتصرك ستجدين السعادة ! بدا لي أن هذا قد يُعيدك إليا ! بدا لي أنه قد يهدأ من انهيار قد لاح بأفقك ! لا أعلم
من منا كنت أخدع ! أكنت أخدع نفسي بأن لي القدرة على فراقك ؟ أكنت أخدع ذاتي بأني أقوى على غيابك ؟
أقوى التغلب على إدماني بك ؟ أم كنت أخدعك أنت ؟ أخدر أوصالك المنهكة من كثرة القتال بمعركة القدر ؟ أمنحك
هدنة لن يحتمل قلبي أن تدوم طويلاً ؟ أحمق كيف ظننت أن فراقني سيرجك كيف وفراقك هو موتي ! فكيف سيكون
فراقني حياتك و أنت مني و كلي منك ؟ كيف أقبل بتلك صفقة خاسرة أخسر بها قلبي الساكن بين ضلوعك ! كيف لي
أن أتركك تدفعيني لحافة الهاوية ؟ كيف لقلبي أن يتركك تُحيطني بأس لأعلن استسلام لم تجرؤ اعلانه ! كيف لقلبي الذي
يعشق كل ما بك إلا يرى حقيقة أنك أكثر من يدفع ثمن عشقنا و فراقنا ! لكن أكثر ما كان يوجعني و يؤلم قلبي أنني
كنت أوقن أنني أكثر الضغط عليك ، فظلت أملاً الكأس حتى فاض ما به ، لكنني لم أكن أعلم أنه سيفيض بوجهي
قبل الجميع ، فأني حماقة ارتكبت بهذا وعد شطرتني نصفين ! لكن عزائي الوحيد أنني كنت أعلم أنك لن تحتلمي غيابي ،
أعلم أن عشقي الساكن بين ضلوعك سيُعيدك إليا ، أعلم أنك لن تكوني بخير دوبي ! أعلم أنك تصرخي بي وجعا كم
صرخت لي عشقا ، لكنني سأظل على وعدي حتى ينكسر عنك وعدك ، فقلبي يوقن أنه سينكسر عنك ! لكن ما
يُخيفني هو إلى متى سيحتمل قلبي الانتظار ؟ و إلى متى ستحتملين الصمود ؟ فأني منا سيصمد تلك المرة أكثر ؟ الأسوأ
أنني أعلم أنني لن أحتمل ! و أني لي الصمود و قد قتلتني شوقي إليك و قضي الامر ؟ فإلى متى سيصمد قلبك معذبتني
؟ و أنت هي الأقوى بضعفها ، أنت هي التي لا تتوان عن محاربة ظلها ، أنت من يتدثر خضوعها بكبريائها و عنادها

!! لكنني أتوسلكِ ألا تصمدي كثيرا حبيبي ، فقد أعلنت استسلامي حتى قبل أن ينطق لساني وعدي ! هيا صغيرتي
فإنني قيد الانتظار !

” ياسين أحبك ، فلا تتركني !“

استيقظت من نومي على صوتك يهمس بها بأذني فانتفضت من مخدعي لها ، ليس لأن أحلامي تهاومت بها لي ، و لكن لأنها المرة الأولى التي يرن بها صوتك بحلمي و كأنك أمامي ! فشعرت بأنفاسك حقيقة ! لم تكوني حلما ! لم يكن قلبي يهذي بك بل كنت واقعا متمثلا أمامي ! أنفاسك طارت برأسي ترفرف بين ثنايا قلبي ، تُحيي روعي التي زُهِقت على أعتاب غيابك ! رغم ابتسامتك الصافية إلا أن غيوم دمعاتك مست قلبي شعرت بها تبلل جيبني ! أحسست بكفك تحاول الوصول لكفي ! أناملك لامست أناملي تحاول التشبث بي ! اعتدلت بجلستي و صدري يلهث أنفاسه ، و رهبة ملأت صدري فأسدلت قدماي عن السرير و كفاي يعتصران حافة الفراش بخوف سكن صدري ! ضيق بقلبي يُحاديثني أنك لست بخير يخشى من مكروه أصابك ، و صوت يركض بعقلي ” هو فقط حلم “ ! هُضت عن السرير و العرق يطفو بوجهي ، و أنا أنظر إلى شرفتك خاوية الاقدام و أستجير بري من مجهول أخشاه ، و أرجوه بخير أأمله ، أتوسل إليه أن يكون حلم و أن تكوني بخير !

هبطت الى الدور الأرضي من القصر و كلي مشنت تائه من حلم قدر ما أحياني بصوتك و روى روعي بأنفاسك ، قدر ما أفزعني ملأني خوفا و رعبا عليك . حين وصلت إلى بهو القصر وجدت أمي تجلس على الأريكة تتصفح إحدى المجلات ، و جنا طفلي تفتش الأرض و هي تلعب بإحدى الدُمى و معها كلبها ، فاتجهت نحوها و حين رأني همت واقفة و شبكت ذراعيها و نظرت لي بغضب ثم اتجهت الى الحديقة ، فتسمرت لحظات بمكاني من ردة فعلها نحوي ، فتبادلت و أمي النظرات و وجهي يمتلأ بالدهشة مما فعلته ، فرفعت أمي حاجبها و قالت لي

: هي غاضبة منك .

فتنهدت و أنا أمسح رأسي بباطن كفي ، و عيناي تجول بكل ما حوي

: لما كل النساء يغضبن ! ألم يخلق الله بهذا الكون امرأة لا تغضب و لا تثور !

فضحكت أُمي و هي تنهض عن مجلسها ، و تتجه نحوى

: حين يتوقف الرجال عن حماقتهم ، ستتوقف النساء عن غضبها !

: و أى حماقة قد ارتكبت كى تغضب منى الى هذا الحد ؟

فوضعت أُمى يديها تربت على كتفى

: لم تراك منذ ثلاث أيام متواصلة ، غير أنك لم تصحبها إلى الخارج يوم إجازتك كما أخبرتها ، أيكفىك تلك حماقات أم تريد المزيد !

: اذن أعتقد أنى أستحق أن تُعلن ضدى الأحكام العرفية !

فابتسمت أُمى و هي تمسح بباطن كفها على رأسى

: أعتقد ذلك .

أطالت نظرهما بى ، و هي تمسح بجنو على شعرى ، حنو يجعلنى أرغب أن أعود طفل صغير بين أحضانها

: ما بك يا صغيرى ؟ لما أحس بك مُتعب مُتقل الأحمال ؟ أحسُ شبح يسكنك !

: أنا بخير يا أُمى

: أنت لم تكذب عليا سابقا طوال حياتك فلا تفعلها الان !

فأسبلت جفناى فهى الوحيدة التى لا يمكنى أن أوارى عنها شيئاً ! حتى و إن حاولت فكل ما بى يفضحنى أمامها ! فمن يمكنه الكذب على من اشتق منها ! على من خلقه الله قطعة قطعة من داخلها ! حتى و إن حاولنا نحن الكذب عليهن ، و تصنعن هن التصديق ، فهن يعلمن حين نكذب إلا أنهن يُحاولن مُجاراتنا ، فبالنظرة الأولى يعلمن ما نسبر دون أن يسألنا أو نحكى ، فتهربت

: ما من شىء فقط العمل .

سحبتنى من يدي و أجلستنى إلى جوارها ، و هي تغوص بنظرهما داخلى ، فابتسمت و ربت على كفها و أنا أرفعها لأقبلها

: اطمئني يا أمي أنا بخير فقط بعض العمل ؛ لا شيء يستحق قلقك !

: لنقل أنني سأكتفي بهذا الجزء و سندخر باقي ما يواريه قلبك عن الكون و عني جلسة أخرى ؛ فأعلم أن بقلبك ما يؤرقه ، به ما يجعلني أرى تلك البسمة الحزينة بين طياتك لكن دعني أخبرك شيء —

: أمي —

فأسكتتني بلمسة من أناملها على فمي

: لا تقاطعني أو تحاول أن تكذبيني ! فأنت متقلب الأحوال في الآونة الأخيرة ، شعرت بشيء مختلف بك ! شعرت أنك سعيد لا أعلم مصدر تلك السعادة التي كانت تغمر عينيك و أشعر بها بقلبك ! و لن أجبرك أن تطلعي لكنني اكتفيت بمراقبتها بعينيك ؛ و ما جعلني أتحدث الان هو هذا الحزن المفاجئ الذي بدأ يعتليك ، تلك التيه التي عاودت أدراجها إليك ! أرى أن سعادتك تغادرك أراها راحت تنفلت من يديك تتأهب للرحيل، وقلبي ينبئني بأنها لو رحلت ستأخذك معها ستحطمك، لا أعلم من أين أتت و لا أكثرث كيف و متى ؟ لكن كل ما أكثرث له هو أن لا ترحل عنك لا تفلتها من يدك تشبث بها !

لحظتها اكتشفت أن أمي تشعر بي أكثر ما أشعر أنا بذاتي قلبها يرأف لحالي أكثر من رأفتي بنفسي ، فأثرت الصمت فماذا سأقول بعد كل ما قالته ! حتى محاولة الكذب لن تجدي معها نفعا ! الصمت هو كل ما أمتلك أمام قلب أمي ، فأحيت رأسي قليلا فرفعتها و ابتسمت لي

: قلبي ينبئني أن أي كان ما تواريه بقلبك ما يعذبك ما يجعل الحزن يطفو بعينيك هو ذاته ما أسعدك و غمرك بالسكينة ، فتمسك بما جعل قلبك ينتفض بالحياة !

ثم أطبقت بكفها اليمنى على كفتي اليسرى و بنظرة لمعت بعينها

: فلتعلم أن العمر نهر حين نولد يجري بين أيدينا ، لكنه نهر لا يتجدد فولادتنا منبعه و وفاتنا مصبه ! و كل يوم يمضي بنا يهرول من منبعه كي يبلغ مصبه ! فيفارق رحانا قطرة تلو قطرة لا يمكننا منعه و لا يمكننا اعادته فقط نراقبه ! و ليس لنا به سوى سبيلين إما أن نظل نراقبه و هو ينفرد من بين أيدينا و نموت له ظمأ و حسرة ! و إما أن نزرع به أحلامنا و نروي منه سعادتنا وحياتنا و نُحيي بمائه قلوبنا العطشى !

ثم وضعت باطن كفها الأيسر على صدري

: فلا تترك نهرك يتسرب منك دون أن ترتوي ! لا تمت ظمأ و مائك يجري بين يديك ! فهي حياة واحدة و ربك خلق عباده و هو بهم رؤوف رحيم و هو عز وجل أحبنا نحن عباده البشر و كرمنا فوق خلقه أجمعين فخلق لنا السعادة و الشقاء و ترك لنا حرية الاختيار ، فنحن من يختار أي سبيل نسلك ؟ نحن من يختار أيهما نحيا ؟ و ما خلقك ربك لتشقى ! فلا تترك شقائك يسير بك بين دروب الحياة و تشبث بقارب سعادتك ، فمهما كانت الرياح عاصفة فيظل النهر نهرك و الموج طوع يدك !

و بينما كان كلام أمي يجول بخاطري ويطرق أبواب قلبي ، حتى كدت أفيض لها بما داخلي حتى فاجأنا لي لي بمشاكسة

: حسنا تلك الجلسة تُخيفني قليلا ، لما أشعر بأنكما تدبران لانقلاب للحصول على كرسي الحكم الذي يتصارع عليه من بالمشرق و المغرب !

فتبسمت أمي و هي تعتدل بمجلسها

: حمقى لا يعلمون أنهم إن أحضروا أريكة ستكون مريحة أكثر و تتسع للجميع .

: أتعلم يا ياسين لما اختارت أمك الأريكة ؟

فرفعت رأسي باتجاهها مغتصبا ابتسامة ، فاسترسلت و هي تضحك و تخبط كفيها و تتقدم نحوي

: فأملك تنوي أن تشاركك الحكم و إن أعجبها الحال و أقسم أنه سيعجبها فتلك لعنة السلطة ! ستُقصيك ! و تتخلى عن نظرية الأريكة ، و تعيد استبداد نظرية الكرسي مرة أخرى !

فهمت واقفا و أنا أبتسم من مشاكستها

: لكي نكون منصفين ، إن حكمتها أنا سأحكم بقليل من عقل و كثير من مصالح كما فعل السابقون و كما سيفعل اللاحقون ! و سأعدك كما يعد الجميع بانفراجه بعد أن نعبر عنق الزجاجية ، و لا تسأليني كيف أو متى سنخرج من هذا العنق ؟ لأن صراحةً لا أحد يعلم حتى ما هو هذا العنق ؟ فهو أحد أسرار الفراعنة الدفينة التي لا يجب أن تفتشي خلفها حتى لا تصابي بلعنتهم !

فضحكت أمي و زادت ضحكات لي لي و هي تجلس إلى الكرسي المقابل لأمي ، ثم التفت إلى لأمي

: لكن إن حكمتها أمك بقلبها و حكمة عقلها أكاد أجزم أننا سنرى الرخاء الذي يكتبون عنه ، هذا الذي نسمع عنه
و لا نراه ، ستعيد أمك أمجاد ملوك الفراعنة .

ثم تحركت خطوتين للأمام ، وتوقفت و التفت لأمي.....

: لكن أمي !

فرفعت عينيها ايليا باهتمام ، فشاكستها

: احرصى أن تُعيد أمجاد ملوك الفراعنة فقط ، و لا تُعيدي معهم الزجاجة أو عنقها !

فعلت ضحكاتهم كثيرا ، و داعبتني أمي و هي تنظر إلى لي لي

: ذكريني أن أكتبها بمفكرتي ، حتى لا ننسى و تصيينا نحن أيضا اللعنة !

ثم رفعت لي حاجبها ، وهي تشير برأسها الى الحديقة

: و الان اذهب أنت لتفك لعنة احدى نساءك الغاضبات !

فنظرت الى الحديقة ثم عاودت النظر إليها ، و أنا أحك ذقني بأطراف أصابعي

: أعتقد أن فك لعنة الزجاجة ، أسهل من فك لعنة امرأة غاضبة

فابتسمت ، و هي تشير ايليا بالذهاب لأنال رضا صغيرتي الغاضبة التي لم يدم غضبها كثيرا بعد أن أخبرتها بأننا سنذهب
معا يوم الإجازة للتنزه سويا ، و بالطبع كي تضمن أن أوفي تلك المرة جعلتني أطلق لها وعدا و قد وعدتها و ما بيدي
كي أنجو من غضبها ، لكن الخروج مع لي لي لشراء بعض الألعاب الجديدة كانت طريقة أسرع لإرضائها و التعويض
عليها ، فهي محقة فعبث أيامي بي في الآونة الأخيرة بين مشقات العمل و مشقات عشقك ! جعلني أقصر بحقها .

مرت الأيام ولم يأتيك خبر و لم تعودني ! و لازال حلمي يراودني و أنتِ تبكين و تُحاولين التشبُّث بيدي و لا أستطيع فأحس كلي مشمت ، و الحياة تتساقط مني فلا شيء يمكنه أن يخفف وحدة قلبي بغيابك فكم يؤلمني انهماجي الدائم أمامك ، فأنا دائما أنتظرك وتبا لكِ ألا تشعر بالحنين لي يوم!

كلام أمي يغزوني ليل نهار يسيطر على كل ما بي ، لا أعتقد أنني سأترك سعادتي تتسرب من بين أصابعي ! كنت أحاول إيجاد باب يعيدك إلييا ، يعيد مائي إلى نْهري فلا أشأ أن أموت ظمأ إليك ! حتى أتاني توفيق تلك الليلة جلسنا بحجرة المكتب جلست صامت غارقاً بحور التيه ، و كلي معلق بشرفتك المظلمة شرفتك خاوية الأقدام ، و بات الكون كله معها خاوي دونك ! تتقاذفني الأفكار بين أمواج الاشتياق إليك و بين غضبي من غيابك عني لتجرفني بعيداً عن شواطئ الراحة و السكينة ، فكل شيء بغيابك موحش أشعر روحي تقتلع من داخلي ولا أقوى التمسك بها ، أشعر غيابك نار تلتهمني و تأتي على كل أرجائي ، فإلي متي الصمود صغيرتي ؟ فلازلت على وعد الهوى و قلبي يوقن أنك لازلت تعزفي على وتر عشقي لحن الاشتياق ، لكن ألم يحن وقت الاستسلام بعد ! ألم يغمرك صقيع الغياب ! ألا تشعرني كل هذا البرد داخلك كما يشعر قلبي ! لازلت على كل وعود الهوى و ايضا لازلت على وعد الغياب ، فهيا حبيبي اكسر لي وعداً كبلني من حديد ، هيا معذبتني اشرق لي دفاء يحمي هذا الصقيع ، أنتظر أن تفتح لي باب لأعبر منه هذا الجحيم ! كم أشتهي أن أصرخ بين ضلوعك اشتقتك ، حتى أن قلبي ينتفض خوف وعقلي يهذي بك عشق ، إني أنتظر حبيبي ألم يحن بعد وقت الربيع ! انتظرت كثيراً تلك المرة و لم تأتي فلم أعد أحتمل كلي ينهار .

: ما بك ؟

بادرني بما توفيق حتى يعيدني من شرودي بكِ ، فأجبتة بضيق

: ما بي ! لا شيء أنا بخير .

سحب كرسيه و جلس قبالي و رفع عينه بعيني و بعد لحظات صمت بيننا

: كلا لست بخير ، بك شيء ! ألا تعلم يا صديقي أنني أقرتك دون أن تحكي !

: وماذا قرأت ؟

فابتسم و شاكسني

: يا الهي .. تلك التهنيدة وحدها يكتب بها مجلدات !

بادلته البسمة بضيق فربت على ركبتي

: ما بك يا صديقي؟ أشعر وكأنك كبرت ألف عام! ماذا حدث؟

فرفعت عيني إلى شرفتك و لم أجب

: أخبرني لي لي أن إيما محتفية منذ عدة أيام! أهذا هو السبب؟

: وعدتها أن أبتعد عنها!

فاعتدل بجلسته و ارتسمت بتقاسيم وجهه الدهشة

: ماذا؟

: اعتقدت أنني أساعدها ، اعتقدت أنها —

ثم صمت و بدأت تزيد غصة قلبي ، فسألني و هو يحرك كفه باستفهام

: أنها ماذا يا ياسين؟

فهمت واقفا و الضيق يسرق أنفاسي

: اعتقدت أنها ستعود لكن يبدو أنها تصمد أفضل مني بالغياب! فدائما هي الأقوى! لا أعلم أني لها تلك القوة! أني

لها الاحتمال!

فهم واقفا خلفي و هو يحاول تهدئي

: اهدأ يا صديقي .

فاستندت إلى النافذة بكفي و عيناى غارقتين بشرفتك

: كيف لها أن تفعل هذا بي؟ كيف لا أحتمل وكيف لها الاحتمال؟ كيف لها تحييا وأنا أموت؟ كيف لها أن تستعذب

الفراق و قلبي يتجمد بالغياب؟

: ياسين ، توقف عن فعل هذا بنفسك .

فألثفت إليه ، و قلبي يزداد ألمه

: هل حقا أصبحت بخير من دوني ! فلما أشعر بالانهيار دونها ! كيف تكون أفضل بغيابي ؟ و أحس الضياع بغيابها !

: اهدأ ، ستعود إليك .

: لو تعلم كم قلبي غاضب منها ! كيف لها أن تفعل هذا بي ؟ كيف تتركي أجن بعيدها ؟ منذ غابت عني وأنا أنهار وكل ما بي يغادري لأجلها !

فأمعن النظر بعيني و هو يشد على كتفي بكفه.....

: ستعود ، أنا متأكد أنها ستعود ، هي تحبك و لن تحتمل غيابك أكثر، و إن كبرت و منعت نفسها عنك سيعيدها كريم ، و لا تنسى هي تظل شريكتك ، كل طرقها ستنتهي عندك ، ليس لها سبيل غيرك !

: لم أعد أحتمل ، أني لك الاحتمال مُعذبتني !

: لما لا تتصل بها ؟

فهويت الى الأريكة فلم أعد أحتمل

: وعدتها أن أبتعد ، لا أستطيع أن أكسر وعدي !

فجلس قربي

: هي لازلت شريكتك ، و لا دخل لوعد العشق شأن بالعمل !

: لا أقدر أخشى أن أنهار أمامها ، و أعلم أنها الأقوى !

و بغضب يركض بين أحداقي و أنفاسي

: تلك العنيدة كم أرغب بأن أحطم كبريائها الذي يمنعها عني ، أحطم كل هذا العند الساكن بها ، هذا الذي يقف بيني وبينها هذا العند الذي يقويها لتحارب ظلها !

فشاكسني

: أعتقد أنك إن رأيتها لن تحطم شيء سوى ضلوعها ! و أنت تحتضنها بين ذراعيك ، فأنت غارق بها يا صديقي ، و

كل هذا الوجد الساكن بك لأنك تشتاقها !

: آه .. لو تعلم كم أشتاقها ؟ و أشتاق الغرق بعينيها ، و الترحال بابتسامتها ! كم أشتاق همسات صوتها ، حتى هذا العند الساكن رأسها ! فقلبي يشتاك كل ذرة بها ، آه .. لو تعلم تلك الحمقاء كم أموت اشتياق لأنفاسها !

حينها أمسك هاتفه

: أتعلم سأتصل أنا بها !

فاعتدلت من مفاجئته لي

: ماذا ؟

: أنت وعدتها ، أنا لا .

فأمسكت الهاتف بيده

: وماذا ستخبرها أنني أموت بغياها ! و هي من تحبها بفراقني ! أنني أحترق لها شوقا وهي تظل صامدة !

فسحب الهاتف من يدي و هو يفتش عن اسمك

: أنسيت أنها شريكتي ! سأتصل للاطمئنان عليها ، وسأفتح لك مكبر الصوت فتسمع صوتها فهذا قد يرضيك و يهدأ من لوعتك !

: يرضيني ! سيرضيني توفيق ، وهل بيدي أكثر ! أنا من قطع الوعد و أنا من يدفع الثمن ، أنا من يلتزم بعهدته فيجب أن أتحمل !

اتصل بك ، و وضع الهاتف على الطاولة بعد أن فتح مكبر الصوت ، و مع كل دقة ترسل لك عبر الهاتف كانت دقات قلبي تسري بين أثيره ، و حين أُجيب الهاتف هوت خيبة أملي فوق نبضي ، أبطئه حتى كاد يتوقف لم تكوني أنت

: السلام عليكم .

: و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته ، كيف حالك ايما ؟

فهمست له بصوت لا يكاد يخرج و أنا أشير له بإصبعي بضيق

: ليست هي ؟

فأشار لي أن أنتظر ، و جاءنا الصوت الاخر

: عفوا ، لست ايما

: أعتذر منك ، هل أستطيع محادثة مدام ايما ؟

: للأسف ، هي لن تستطيع التحدث إلى أحد !

فتوقف قلبي و اعتصرتني أنفاسي شعرت بضيق ، فنظر لي توفيق

: لماذا ؟

: عفوا ، هل لي أن أعلم من المتصل ؟

: أنا توفيق شريكها . لماذا لا يمكنها التحدث ؟

فجاءني ردها ليفزع قلبي و يزيد ضيق صدري ، و يؤكد حلمي

: للأسف ، هي مريضة و لا يمكنها التحدث بالوقت الحالي .

فوضعت رأسي بين كفي و قلبي يكاد ينشق عني ، فسألها توفيق و هو ينظر إيليا ...

: مريضة ماذا حدث لها ؟

: لا أحد يعلم ما بها تحديدا ، هي لا تستطيع الوقوف على قدميها ، و ليست بحالة جيدة فلا تقوى على مغادرة

الفرش !

فظللت على حالي و أنا أطقق الأرض بقدمي بحنق يطبر برأسي ، فسألها

: منذ متى و هي على تلك الحال ؟

: تقريبا منذ اسبوع الان ، يوم وصلت يوم غُشي عليها ولم تغادر الفرش من وقتها .

فرفعت رأسي فنظر ايليا و كأنه شعر بي

: ألا يمكنها التحدث ، أريد أن اطمئن عليها ؟

: أعتذر منك كثيرا ، هي متعبة لا يمكنها التحدث الان .

فهمت واقفا و لم أعد أحتمل أكثر ، فأهني المكالمة

: لا بأس ، بلغيتها تحياتي وتمنياي لها بالعافية .

: شكرا لك ، السلام عليكم .

أغلق الهاتف و نظر لي ثم بادرنى بنظرة زادت وجع قلبي

: يبدو أنك تحتمل أكثر ! يبدو يا صديقي أنك من صمد تلك المرة !

فالتقطت سترتي من فوق الكرسي و هممت خارجا فوقف أمامي

: ماذا تظن نفسك فاعلاً؟ إلى أين أنت ذاهب ؟

: أحقا تسأل ؟

فنظر الى الساعة

: أحقق أنت ؟ الوقت متأخر على الذهاب إلى أي مكان !

فانتبهت أن الوقت قد تأخر ، فتراجعت و جلست و قد ملأتني خيبة الأمل و الوجع يعتصر قلبي الملتاع عليك ،

فشاكسني و هو يعاود الجلوس

: ثم أنك لن تستطيع الذهاب ألم تعدها بالابتعاد عنها ؟

فصحت فيه

: هي من كسر الوعد ، هي مريضة لأنها ابتعدت عني لأنني تركتها ، و لم تكن تلك صفقتنا فليس عدلاً أن تخل هي

بوعدها وألتزم أنا بعهدي !

فابتسم بخبث أعلمه ، ثم نظر لي و هو يفرك لحيته

: أنت محق ليس من عدل في ذلك ، هي من أخل بشروط الاتفاق لنذهب لزيارتها معا بعد غداً !

: ماذا تقول أنت ؟ أكاد أجن لأنني لن أطمئن عليها الليلة ، و أنت تريدين أن أنتظر لبعء الغد !

فهم واقفاً ، و وضع كفه على كتفي

: فقط اهدأ ، و لا تنسى كريم ، ياسين فقط يوم واحد حتى لا يرتاب أحد

: بماذا ؟

فوضع كفه على مؤخرة رأسي و هو يجذب رأسي نحو رأسه

: بلهفتك تلك عليها ، يوم واحد فقط لتهدأ و تستعيد اتزانك و تحكّمك بذاتك يا صديقي .

صمت لحظة و بنظرة جادة ، رفع لي حاجبه و هو يعتصر بكفه الاخرى كتفي

: أقسم بمن خلقت إن لحك طفل الان و أنت على تلك الحالة ليقن أن هناك شيء يدور بينكما ، و هذا كريم من

نتحدث عنه ! يوم واحد ليس بنهاية العالم لكن إن ذهبت هكذا ، ستقع نهاية العالم على رأسيكما !

فاستقر حديثه برأسي و سكنت له عواصفي ، فتنهدت بضيق و عاودت جلوسي و مسحت وجهي بباطن كفي أحاول

عبور لحظاتي بين عقلاً يدرك كل ما قاله و قلباً ملتان لفراقك يكاد ينشق عني ليطمئن عليك فجلس بمقابلتي و هو

يقول

: و أيضا حتى نعرف عنوان خالتها تلك ! فأنت لا تعرفه أليس كذلك ؟

: أتعتقد ؟

فعلت ضحكته و شاكسني بخبثه

: يا الهي .. ألا تترك شيء يعبر من كفيك ؟ ألا يوجد شيء لا تعلمه ؟

: إن كان هذا الشيء يخصها فلن أتركه يعبر من يدي !

ضحك كثيراً ، وظل يُشاكسني حتى يلهيني عن التفكير بك ! جاريته و تظاهرت بأني هدأت ، غادر توفيق بعد أن بدا

له أنني هدأت !

فعدت و غلقت بشرفتك و عقلي قبل قلبي يعصف بي لأجلك ، أعلم أن توفيق محق لكن ما بيدي فقلبي كيف له أن يهدأ و يستكين و هو يعلم أنك تتألمين ! كيف يستقر نبضي و كلي ملتاع عليك ! فكل ما بي كان يئن خوفاً عليك ، و يستجدي اللحظات و الثواني كي تمر ليتمكنني أن أحظى بقربك ، كي تهدأ لوعة روحي لك ، سألني أن أنتظر يوماً فيراه بضع ساعات لن توقف العالم ! و أراه دهرًا أراه عمراً يحول بيننا أراه يقف بيني و بين نبضي الساكن ضلوعك ، يقف بيني و بين أنفاسي بصدرك !

فيا ربي أعيني على طغيان عشقها بقلبي !

كنت أعلم أنني بدأت أتخطي كل مراحل الجنون بعشقتك ، لكن ما بيدي و أنا الغارق بيحور الهوى في عينيك ، المتيم بكل حرف في قصيدة عشقتك ، لم أعد أستطيع منع روحي عنك ، كيف لي أن أعلم أنك مريضة ! و لا آتيك مهرولاً ! أثنائي عنك توفيق تلك الليلة بمعجزة ! لكن لم يستطع منعي بعدها و خوفاً من أن تصيبي إحدى نوبات جنوني في عشقتك ! آتى معي لزيارتك و قد اتصل هو بكريم و أخبره أننا سنذهب لزيارتك ، رحب كريم كثيراً بالزيارة لكنه اعتذر عن ملاقاتنا فلديه موعد هام !

ذهبت الى بيت خالتك كي أطمئن عليك ، و كنت قد وعدتك أن أبتعد عنك لكن أنت هي من كسر الوعد عني و عنها . و حين دلفنا أخبرها توفيق أننا أصدقاتك و شركاتك بالعمل ، لكنها حين دخلت إليك يبدو أنها لم تخبرك سوى أنه آتى أصدقاء لزيارتك ، و هذا بدا جلياً من الدهشة التي ارتسمت بمحياك حين رأيتني أمامك ! فبادرتني بدهشة عارمة

: ياسين ، ماذا تفعل هنا ؟

فأسرعت خالتك بالتقدم خطوة و من خلفها ميس فكانت هي الأخرى عندك ، و قالت و هي تنظر إليك بغيظ

: إيما منذ متى تفتكري إلى الأصول ؟ هل يقابل أحدا ضيوفه بتلك الطريقة ؟

ثم نظرت إلينا ، و هي تشير بالجلوس

: أعتذر منك بشدة فهي مريضة لا تعي ما تقول ، تفضلوا بالجلوس .

وقفت لحظات بمكانك تنظرين أرضاً و يبدو الارهاق و التعب جلياً على وجهك ، فابتسم توفيق إلى خالتك

: لا بأس فهي متعبة و ليست بحال جيدة .

فرددت ميس و هي تبسم و هم بالجلوس

: بالفعل هي كذلك ، يبدو أن تلك الحمى أثرت على كل ما بها !

فابتسمت لهما و أنا أنظر إليك و لازلتِ تنظرين أرضا

: لا مشكلة فما فائدة الأصدقاء و الأحباب ان لم يتحملونا وقت الشدة

لم أقل شيء اخر فكلي كان معلق بكِ تلك اللحظة كلي كان يتحرق شوقاً إليك ، لم يكن بخاطري تلك اللحظة التي

ارتويت فيها بكِ من جديد بعد كل هذا الغياب الذي طال بي دهور ، كل ما طاف بعقلي لحظتها كيف أتركك و لا

مجال لتعويض قلبي عنك ! فإن فقدتك فأكون فقدت روحي و عقلي ، إن خسرتك أكون خسرت أنفاسي و نبضي !

فلن أخسركِ ثانية ، لن أترك نُحري يجف و هو بين يداي !

فوقفت ميس و هي تسأل خالتك عن كرم الضيافة ، فهتم واقفة و أصرت أن تحضر لنا الطعام حاولنا التنصل إلا أن

اصرارها كان قاطع ، و اتجهت الى المطبخ فبعتها ميس ، ثم خرج توفيق إلى الشرفة بحجة اجراء مكاملة هامة ، فبقينا

وحدنا هممت واقفا تقدمت خطوات إليك و كلي معلق بكِ و لازلتِ تنظرين أرضا، فبادرتك

: كيف حالك الان ؟ أتمنى أن تكوني بخير .

: لقد وعدتني ياسين !

فأملت رأسي قليلا و بصوت متزن

: و أنتِ من أخلف وعده ! و ليس أنا !

: أنا !

فأملت رأسي قليلا باتجاهك و كلي يرتوي من أنفاسك

: وعدتك أن أبتعد ما دمتي بخير ! أبتعد لتصبحي أفضل حبيبتي !

: أنا بخير حال !

فابتسمت بسخرية

: هذا يبدو جلياً عليكِ ! يبدو أنكِ بأفضل ما يكون حقاً !

: ياسين .. أرجوكِ لقد قطعت لي عهداً !

: و أنتِ حبيبتي كسرتيه فلا تسألني المزيد ! أنتِ من أضاعت الفرصة حين واتتها ، و لم تلتزم باتفاقنا فلما تسأليني

الالتزام !

اتكأتِ إلى الطاولة والدموع بدأت تملأ عينيك

: أتعلم أنني أدعو الله كل ليلة أن تكون واهما بي ! أدعوه أنني أحلم و أنك لست هنا أنك وكل هذا العشق بيننا وهم !
حلم جميل سأفوق منه في الصباح !

أمسكت كفك الأيمن الصغير و وضعته على قلبي

: حبيبي لو تعلمي أن كل دمعة تسيل على جبينك هي جمره نار تُلقي بقلبي ، كل لحظة حزن تقرب صدرك تشعل
براكين بصدري ! فأنا هو من لا يحتمل أن يري هذا الحزن والألم يسكن قلبك !

: أحبك ياسين ، و لم أعد أحتمل كل هذا ! إذا كنت أنا معذبتك ! فإن عشقك يقتلني !

فرفعت أصابعي لأمسح عن جبينك دموعك

: أفعل أي شيء لأجل ان أرضيك ، إلا ابتعادك حبيبي فهذا يقتل كلانا ، فلا تُفجعي قلبي ثانية برحيلك عنه و عني !

فزادت بسمتك الدافئة ، و ضغطت قلبي بقوة بأناملك الرقيقة

: كل ما أرغبه أن يتوقف قلبي عنك ! أن يتوقف عن عشقك ! لا أطلب أن أكرهك ! لكن فقط يتوقف عن حبك !
فكيف له أن يزيدك كل يوما عشق ؟ كيف له أن يتعذب بكل لحظة في بعدك ومع هذا يزيدك كل يوما شوقا ؟ فقط
أريده أن يتوقف عنك ! لم أسأله ألا يحبك و لكن أسأله أن يتوقف عند هذا الحد ! أصبحت أنتفسك لا أرى سواك !

رفعت أناملك اليسرى لترحل بجيبي ، و ابتسامتك الدامعة تُكبلني كلي

: دائما ما تسألني أني لك الصمود بوجه عشقك ؟ لكنني لم أخبرك يوما أنني بعشقتك أضعف من وليد بين أحضان أمه
! أنني بعشقتك أضعف من ورقة شجر في مهب الريح ! من قطرة مطر تتلاطمها الأمواج ! لم أخبرك أن صمودي
بعشقتك هو هدنة يائسة تعلن قبل الاستسلام ! فلم أعد أقوى احتمال فيضان اشتياقي إليك ! لقد اغتالني الحنين
لعينيك وقضى على اخر أمل لي بالصمود في هواك !

يا الهي .. حبيبي حين تمامست لي شفتاك بما في قلبك ! كم تصبحين خلافة حين يتحدث قلبك ! حين تطلق العنان
لإحساسك ليحكى ما بداخلك ! كم تمتلكيني عشقا حين لا يتحكم عقلك بك ! حين تنفلت مشاعرك من قبضة
كبريائك ، كم تأسريني بصغيري بعفوية عينيك حين تثرثر لي بما يخفي عني فؤادك ! فماذا أفعل بك ؟ و هل بعد شغفي
بك شيء كي أصل له بعشقتك ؟ و هل بعد قلبي شيء أقدمه لك ليعبر عن امتناني بحبك ؟ و هل بعد ادماي و جنوبي
بك شيء قد يحدث لي من غرقي بحرك ؟ وجددتني أسرق قبلة من ثغرك ! أنا هو الذي أفرط بالشوق فثمل من شهد

لُقياكِ ! وجدتني أقبل عينين غرقت ببحورهم من نظرة بأسهم العشق رُميت ! أقبل جبيننا خطفني بابتسامة بلون الورد
رُسمت ! و وجدتك أنتِ الصامدة بالعشق أضعف ! وجدتكِ ببحور الهوى أكثر مني غرقاً ! كلما ارتويت منه زدت ظمأ
! لم أفق من ثملي إلا بأنفاسك تتهامس لي

: حبيبي .. ياسين توقف !

لم أدري حين تهاست بما أنفاسك ” حبيبي “ أفيق من عشقك ! أم أزيد فيك غرق !!

حاولت لملت ما بقي من عقلي الذائب فيك و اقتربت من أذنك و همست لك ...

: أقسم بمن رمى عشقك بقلبي ، أقسم بمن جملك و كملك بقلبي صوت و صورة ، بأن كل طريقا ستهرب إليه سينتهي
عندي ! كل سبيل بالكون ستخطينه سيبدأ و ينتهي بي ! فأنتِ نوري الذي أعشق الغرق فيه ! وهذا وعدي لك الذي
لن أكسره و لن أتركك تكسريه ! أخبرتكِ سابقاً و سأكررها حتى آخر أنفاسي أنتِ لي .. !

رفعت وجهي عن عنقك ، كانت عينيكِ و أنفاسك بعالم اخر ليس به أحدٌ سوانا ، و لم يعيدك سوى صوت ميس
المرتفع قادم من المطبخ لتنبهنا أن خالتك قادمة ، فهممت واقفة و جلست أنا إلى الكرسي و دلف توفيق من الشرفة ،
فبادرتي ميس و هي تضع أطباق الطعام إلى الطاولة

: هي فقط تتدلل تريد أن تعلم كم هي غالية كم هي مهمة ، أليس كذلك ؟

فابتسمت خالتك ، و بصوتها الهادئ

: أعتقد أنها محقة فلتكفي عن هذا الدلال ، و تكبري قليلاً طفلي !

فابتسم توفيق و هو ينظر إلى ميس

: أعتقد أنها إن قضت بضعة أيام بالمرعة وسط الطبيعة و الخضرة و روعة الخيل ستصبح بألف خير ، أليس كذلك
ميس ؟

فابتسمت ميس

: دون أدنى شك ، فالطبيعة لها تأثيرها الخاص .

ثم التفت إليكِ و شاكستك

: و أما الخيل فيبدو له مفعول السحر ! حتى أن وجهها أشرق منذ الان ! أليس كذلك خالتي ؟

فنظرت إليكِ خالتك

: ميس محقة أرى أن وجهك عادت له الحياة

فداعبكِ توفيق

: حسنا فلنعدي كل ما يخصك ايما لأننا سنختطفك ، و لا أعتقد أن كريم سيمانع بهذا ! لكن بعد الغداء لأن الرائحة شهية جداً .

صمت و جالت منك نظراتك ، فاستحسنتك ميس على القبول

: هيا ايما لا ترفضني سنقضي وقتنا ممتعا ، و ستتحسن صحتك أنا متأكدة من ذلك !
فأجبت بتردد ...

: لا أعلم ؟

فأجبتك و أنا أجلس إلى الطاولة بالكروسي المقابل لك

: لا تفكري لأننا لن نقبل برفضك و خاصة أنها مزروعاتك و نحن هم ضيوفك بها ، و كما أخبرك توفيق إن لم توافقني سنختطفك !

فابتسمت خالتك و هي تعود إلى المطبخ لتحضر شيئا

: هيا حبيبتي لا تكويني عنيده هذا سيفرح عنك و يريح أعصابك المهزقة .

فحدثتك بصوت منخفض بعد مغادرتها

: ارفضني ! و سأختطفك ! سأفعل أي شيء لأجل أن أرى ابتسامتك تعود لجبينك و أرى اشراقه عينيك من جديد ،
فلا أكثر سوى لسعادتك .

فأسبلي عينيك خجلا ، و ساد صمتنا لحظات فقطعته ميس بمشاكستي

: ياسين هناك سؤال ملح أريد أن أسألك إياه ؟

فوجهتي عيني نحوها

: ماذا تريدني أن تسألني ميس ؟

: ألا تفكر أمك بإنجاب أخ لك ؟

فابتسمت منها و بادرها توفيق و هو يبتسم

: ماذا ؟

: فقط أريد ان أتأكد لأنه إن كانت تفكر بالموضوع سأنتظرها لأحظى بأميري !

فضحك توفيق بشدة ، و نظرت إليها بغيظ

: هلا توقفت عن هذا ؟

: ماذا ألا يحق لي البحث عن مجنوني أنا الاخرى ؟

فعددت لها حاجبيك بغضب فصمتت ، فداعبني توفيق

: اذن ميس تبحث عن مجنونها ، و أنا وجدت مجنونتي ، فماذا تريد أنت يا ياسين ؟

فنظرت إليك

: أن أرى تلك الابتسامة الخاطفة لكل دقة من دقائق و هي تملأ وجهك الدافئ ، و هي تشرق ليلا طال ظلامه منذ
غبت عني !

فأسبلي جفنيك خجل و زادت حمرة جبينك ، فأمسكت ميس بذراعيك

: إما ان لم تنجب أمه غيره و لا تفكر ! ألا يمكنني استنساخه ؟

فانفجر توفيق بالضحك ، فأملت وجهك ناحيتها بتعجب ، فاسترسلت و هي تهر كنفها

: ماذا نسخة واحدة فقط ! و أقسم أنني سأعيده إليك !

فزادت بسمتي من مشاكستها ، فرفعت أنتِ حاجبكِ لها و بغيظ

: لماذا أعتقد أنني إن قتلتك الآن لن يلومني أحد !

فأشار إليك توفيق و هو لازال يضحك

: انتظري إما فأنا سألومك إن قتلتها !

فنظرت إلى توفيق بتعجب أم ميس فزادت بسمتها

: رأيت هناك من يهتم لأجلي !

: حقا إما سألومك إن قتلتها ، فلن يقتلها غيري !

فهزت رأسها بتعجب

: و لماذا ؟

: لأني أحتمل واحد منه بمعجزة من رب السماء ! و أنتِ تريدن واحد اخر ، اتركها لي إما فلن يقتلها غيري !

فخرجت منك ضحكة عفوية رن صداها بالكون حبيبي و زلزلت أرجائي ، و عادت على إثرها خالتك إلى الطاولة ، و
هي تردد

: ليتكم أتيتم منذ زمن حتى أسمع تلك الضحكة العذبة ثانية .

فنظرت إليها ، و قد زادت بسمتك التي عادت تُحبي قلبي من جديد ، و تنزع عنه تعاسته التي احتلته و احتلني منذ
غبت عني فدونك ماذا أكون ؟ غريب ضائع دون أهل دون وطن .

و بالنهاية رضخت لإلحاحنا عليك بالذهاب إلى المزرعة ، فاتصلت بكريم و بلغتيه برغبتك بالذهاب ، و بالطبع كان
مرحب جدا بالفكرة ، فهو الاخر يريد استعادتك الى جواره ، و هذا بالنسبة إليه كل ما يبغى أن تظلي جواره ! فهو لا
يستطيع سوى امتلاكك كما يمتلك سيارته أو منزله ، و لم يحلم يوم بأن يسكن قلبك أو يكون له به مكان !!! أما أنا
فكنت أسعد من بالكون لاستعادتك جواربي ، و امتلاك قلبك لأنك عدتِ إلى قلبي التائه دونك ، فقلبي هو عالمك و
قلبك هو وطني حيث أنتمي !

إن كان الغرام خرافة فأنت أجمل خرافات حياتي ؛ و إن كان العشق اثم
فأنت ذنب لا أجرؤ توبته ؛ و إن كان الهوى ضلال فلن أرتد عنك مهما
عصفت بي ذنوب الغرام

مسجون قلبي بفلك هواك ، يأتيني عشقك من كل اتجاه فأحس بك تجتاحيني بصحو و منامي من أعالي
و من خلفي ، فكلي غارق بين حنايا حضورك الطاغي بقلبي ، و كل ما بات ينقصني هو أن تكوني لي ! دون أن
يشاركني بك أحد ، لا أعتقد أنني سأحتمل أكثر ، و كلي أصبح محاصراً بك محصوراً بهواك ، فغيابك عني تلك الأيام
الماضية أشعل جحيم قلبي ، و جعل عقلي يشعر و كأنه يقع في فراغ يتلوه فراغ ! فكلي حوصر بين طيات الضياع
بغيابك ، فتوغل بي عشقك و لم يعد لقلبي مع عينيك سبيل ! فأحس هواك مُعتق بفؤادي من ألف عام ! فأنتِ هي
سعادتي التي ادخرتها لقلبي منذ خُلقت ، فكل أحلامي مُعلقة بين أناملك و ابتسامتك !

جاء كريم إلى مكتبي ، زيارة انتظرتها منذ وقت فقد بدأت تعثراته بالخروج عن سيطرته فقد استلم بالفعل مني الدفعة
الأولى لتنفيذ التوسعات كما هو المتفق عليه و قد بدأ العمل ، لكنه استغل جزء من المال خارج العمل ! غير أن الكثير
من مستشاريه الهندسيين بدأوا بالتمرد ! و ذلك لسوء ادارته و محاولات انفراده بالقرارات التي لا يفقه عنها شيء، و
صدقا لم يكن لي يد تلك المرة ، هذا لم يتطلب مني أي تدخل ، فهو جيد بما فيه الكفاية لإفساد الأمور من حوله .

: أهلا شريك ، كيف الحال ؟

بادرته بما بابتسامة هادئة حين دلف إلى مكتبي.....

: بخير حال ياسين . كيف هي أحوالك أنت ؟

: الحمد لله . لن يكون أفضل من هذا .

ابتسم و هو يتخذ مجلسه

: هذا جيد .

صمت لحظات ، فبادرته و أنا أستند إلى كرسي ...

: و سأكون أفضل و أفضل حين أستلم منك العنبر الأول بنهاية الأسبوع ، كما هو المتفق عليه .

فوضع يده اليسرى على المكتب و قد بدأ يتوتر

: أجل .. بهذا الشأن أعتقد —

ثم صمت لحظات ، فهمت واقفا و أنا أعلم ما هو قادم ، فتصنعت الجهل بما يحدث

: ماذا ؟ ماذا هناك يا شريك ؟

: بهذا الشأن أطلب أن تُمد تلك المهلة لأسبوعين آخرين .

فتصنعت الدهشة و تساءلت باهتمام

: ماذا تقول يا كريم ؟ لما تحتاج إلى اسبوعين ؟ أو ليس الاتفاق ينص على أن أستلم العنبر الاول بنهاية هذا الأسبوع ؟

إلا إن كنت مخطئ بحساباتي ؟

فهم واقفا و هو يحاول شرح موقفه

: كلا لست مخطئ هو الموعد المحدد ، لكن بالحقيقة هناك مشكلة بسيطة مع المقاولين ! أنت تعلم أن الأسعار كل يوم

بارتفاع لكن اطمئن فأنا مسيطر على كل شيء .

فجلست إلى الكرسي المقابل له ، و أشرت إليه بالجلوس بمقابلي

: لا تخبرني أنك أنفقت الدفعة الأولى بالكامل ، والان تحتاج إلى أموال أخرى لكي تواجه تلك الزيادة؟

: أعدك أنني سأصلح كل شيء قبل موعد تسليم العنبر الثاني .

: كريم هذا —

: لا تقلق يا ياسين أخبرني توفيق أنه يمكنني أن أقترض من البنك بضمان أرض إيما التي عليها المزرعة ، و حينها سيكون

لدي السيولة الكافية للتسليم قبل الموعد المحدد ، إن ساعدتني بالطبع أخبرني توفيق أن أكثر أعضاء مجلس ادارة البنك

أصدقائك .

فاتكأت بذقني إلى باطن كفي.....

: لكن —

: لكن ماذا ياسين ؟

: هل ستوافق زوجتك أن تقترض من البنك و تعطيك المال ؟

: أخبرتك سابقا هي بيدي و ستفعل ما أريده .

فرفعت له حاجي و بنبرة هادئة و جادة

: لكن أي كان القرض لن يكون مبلغ كبير لا تنسى هي لها نصف الأرض فقط ، و إن تعثرت و لم تستطع أن توفي بالتزاماتك معي لن تستطيع تسديد البنك ، حينها سيحق للبنك أن يستولي على نصيب زوجتك بالأرض و هذا سيكون سيء ، أليس كذلك حتى أنها قد تُسجن !

فاعتدل بمجلسه و دون أن يفكر

: كلا لن تصل إلى هذا حتى و ان خسرت الأرض لا يهم ، لا تفكر بهذا سأوفي لا تقلق المهم أنت موافق أن تؤجل الاستلام قليلا و تُساعدني بأمر القرض هذا ؟

فشردت منه لحظات ثم ابتسمت له و كل ما به يستحني أن أقبل

: حسنا موافق لكن سنكتب بعض الأوراق التي تقول بأنك واجهت بعض العثرات فأجلنا الاستلام لموعد اخر متفق عليه !

: و لماذا لا نفعليها بشكل ودي ؟

: أنت تعلم كل شيء يتم مراجعته ، و هناك مجلس ادارة هو من يُشرف على كل شيء ، و إن كان بالطبع اشراف صوري ! إلا أن كل شيء يجب أن يتم بشكل قانوني ! أنت تعلم هي فقط مجرد شكليات ليس أكثر ! لكن لا تقلق ليس لأحد حق التصرف غيري ، فلن يضرك شيء و أنت ستسلمني بالموعد الجديد أليس كذلك !

: بالتأكيد ستسلم العنبر الأول و الثاني معاً هذا وعد .

: اذن لا شيء تخشاه و هذا وعد مني لن يطالبك أحدا بشيء قبل موعد التسليم الثاني ، ماذا قلت ؟

لم يفكر !

: موافق سأوقع لك ما شئت . متى يمكنني الحصول على القرض ؟

: يومين فقط سأحدث إلى مجلس ادارة البنك ، و أنهى كل شيء أهذا يرضيك شريك !

فزادت بسمته

: أنت هو أفضل شريك .

: أعلم

ثم غادر مكتبي و هو يكاد يطير من السعادة ، و عقلي يكاد يُجن من حماقته ! فكيف له أن يأمل كثيرا بالقادم ؟ رغم أنه لا يقدم للحاضر شيء! فما الذي زرعه بالحاضر حتى يجني ثماره بالمستقبل ؟

و بالرغم من ذلك أعطيته كل ما طلب ! فأعلم أنه سيستمر بإفساد كل شيء ! لكن لا بأس فقد نجح توفيق بإقناعه بمسألة القرض كما طلبت إليه ! تلك ستكون أخر قشة يتعلق بها ، الان سيصبح كل ما تمتلك هي بعيدا عن يده ! و حين يطبق على نفسه المقصلة بإحكام لن يكون لديه منفذ اخر ، لن يكون لديه ما يتكأ إليه ، و هذا كل ما يهمني و ما أسعى إليه !

بكل يوم يمر أشعر أن طرقنا تتلاقى أكثر ، فكل يوم بات يقربني منك و من أحلامي بك و لك أكثر ، كل ما يفكر به عقلي هو كيف يغلق كل السبل أمامك و لا يبقى لك سوى سبيلي ! كل شيء يسري حسب ما أريد ، فقد حصل كريم على القرض الذي يريده ، و بالطبع حرصت على أن يتم هذا بأقل ما يمكن من قيمته و أعلى ما يمكن من فائدة ! فبالنهاية لم يحصل سوى على نصف المبلغ الذي كان يأمل به ! وقعت الأوراق للبنك على مضض منك لكن كما أرى و يرى الجميع و يتفاخر كريم كثيرا بهذا فأنت تخافيه كثيرا ، و تخشينه لحد يجعلني أتساءل دائما لما أنت خائفة منه إلى هذا الحد ؟ لما تلك الرهبة تملكك كلما رأيته أمامك ؟ لكن قدرتي لم يتركني بحيرتي كثيرا فعلمت لاحقا سر هذا الخوف منه ! لكن الأهم أنك عدلت عن فكرة الرحيل و الابتعاد عني ، حتى و ان كان لكريم النصيب الأوفر لعدولك عنها بعد درس يبدو قاسي لغيابك عن البيت و ذهابك إلى خالتك رغم رفضه ! و رفضه القاطع عودتك إنجلترا ، أو حتى مغادرة المنزل ثانية دون أوامره !

كنت قريبا من مزرعة الخيل فذهبت إلى هناك ، و لا أعلم حتى الان لما ذهبت إليها ذاك اليوم ! فحين وصلت كنت أنت هناك !! كنت تجلسين وحدك قريبا من الخيل هادئة صامتة ، يفوق جمال هدوئك و سكونك جمال ما خلق الله من خيل على ظهر الأرض ! فوقفتم أرقبك من قرب ليس بعيد لتمتلي روعي من فيض حضورك الملائكي ، و كأنك كائن سماوي خلق من نور و هبط من الخيال من الأحلام إلى واقعي ليخطف قلبي و يسرق عقلي ! لكنك بالبداية لم تشعري

وجودي ! فكنتِ هائمة بالنظر إلى الخيل و هي تجول بمربطها بدلال و سكينه ، و بعينيكِ بريق و ألق لافت يمتزج به سحر الهدوء و جموح الرقة بجمال أنوثة و عفوية تركض بثقة و عزة بين جفونك ، فأنتِ يا حبيبتي امرأة استثنائية تحملين كل التناقضات بين رحاك ! كل ما بك معذبتي يشعل القلب ويثير النبض ! فأنتِ المتمرده بطاعتها ! الثائرة بسكونها ! الجامحة بهدوئها ! الملكة ببساطتها ! و المستبده بعفويتها ! أنتِ هي المعتزة بتواضعها ! تستعمر قلوب برقتها ! امرأة خلقت ليدور الكون بين نبضها و رحاها ! امرأة خلقت من أجلي وحدي ! لتكويني و بدون منازع أنتِ ملكة عرشي و أكون العبد الراضي و الطامح لرضاك مولاتي ! و أنا من قبلك حطمت كل الملكات ! كيف لأجل هواك أهدم كل قصوري و أقبل بقصر من أحلام فوق سحاب و أذافع عنه و أحطم و بكل يقين ؟ فكيف لعينين بتلك الرقة أن تغزو و تدمر كل دفاعاتي و تحصين سنين ؟ لأعلن عصرك بداية للحرية فعبودية قلبي بعشقك لعقلي قبل قلبي أسمى معاني الحرية !!!

و بينما كان كلي غارق بحضرة وجودك مولاتي انتبهتِ إلى وجودي ، فنظرتِ نحوي و بسمتكِ الملائكية تغزوني ، فدعبتني

: أكاد أجزم بأنك كنت ترغب بأن تكون ضابط أو شيء من هذا القبيل !

فسألتك بتعجب و أنا أزداد بقربي منك

: و لماذا ؟

فزادت بسمتك ، و زاد معها انفراط عقد صبري في هواك

: أنت تعشق التلصص ياسين !

فعلت ضحكتي ، و أنا أجلس إلى الكرسي المقابل لك

: هذا فقط من تأثير اشتياقي إليك .

فوضعت يديك على الطاولة أمامك ، و لمعت بعينيكِ اشراقة

: لما أنا ؟ فلديك نساء كثيرات !

: لا أريد امرأة غيرك ، أنتِ كل ما أبغي .

فتعلقت عينيكِ بعيني

: سيفعلن أي شيء لأجلك !

: وأنا أطوي الكون لأجلك أنت .

فنظرت نحو الخيل ثم عاودت النظر إليها

: ليس لدي ما أعطيك !

: لديك قلبي ! يكفيني هذا و يزيد !

بنظرة أنثوية اخترقتني حتى نبضي

: لن تحتمل قريباً بلا وصال ! لن تصمد أمام عشق بلا أمل !

فلمست أناملك بأطراف أصابعي

: عينيك ستجعلني أحتمل ولأجل أنفاسك سأصمد ، لم أعود يوماً صبراً و لأحقق حلمي بقربك سيكون لدي جبالاً من صبر! سأنتظر بدال اليوم دهنراً فالموت بدفتر أحلامي على أمل لقائك ، يجعل من العلقم شهداً و من أشواك الصبر طريقاً للجنة، يجعلني أتصالح مع الانتظار لأجلك و أصادق كل الأيام لقربك!

فتألق سحر الشرق و الغرب برقة نظراتك و عذوبة همساتك

: اترك لي قليلاً من عقلي ألا يكفيك أن استحوذت نبضي و سرقت أنفاسي !

: من قال منك أكتفي أو بغيرك أرتضي أو ليس العدل أن نتعادل ! و قدر ما أخذتني تعطي !

فابتسمت بدهشة لمعت بين أحداقك

: لم أأخذ منك شيء !!

: الحق أن تقولي لم أترك منك لك شيء !

فزادت حمرة وجنتيك جمالك تألقا و زهو

: كيف لهم ألا يروا هذا الملاك الساكن روحك ؟

: لأنه لم يولد سوى يوم أن سكنت أنتِ روحي !

ففاض بي اشتياقي و قضى عليّ غزو عينيكِ

: يا ويلسي .. أي ذنباً ارتكبت أنا بك ..؟

: ملاكٍ مثلكِ لا يعرف لذنبٍ طريق فنقاء قلبكِ أكبر من أن يُمس بذنب .

فأغمضت عينيكِ

: توقف ياسين !

: أتوقف عن ماذا حبيبتني ؟

فوصل همسك جسراً يغزو أرضي و سمائي

: عن سحرك هذا الذي تُلقيني به عن تعويذة عشقك الذي يعبث بي ، توقف عن زلزلتي بأنفاسك ، عن كونك حليماً يشعل ليلي ويملاً كوني ، حليماً يشعر نبضي بأمان مات داخلي منذ سنوات ، توقف عن كونك أملاً يخطو بي فوق السحاب يعبرُ بي البحور و يضعني بين النجمات ، يضعني حيث لا أجرؤ أن أحلم يوماً أو حتى أتخيل ، توقف عن كونك لي حياة !!!!

فانفلت مني عقد دقاتي بين يديك نُحراً

: يا الهـي .. حبيبتني ، أأفعل بكِ كل هذا ؟

: هذا ما أجد كلمات تعبر عنه !

: لكنني أعتقد أن هذا جيد ، فلما تريدني أن أتوقف !!

: لأنه وهم ياسين و لن يكون يوماً واقع !

: سأحرصُ على أن أحوله واقعاً ! تأكدي من هذا .

: لم يغير أحداً القدر .

فأمسكت يدك بين يداي

: إذن سأحرص على أن أمحي هذا القدر لأسطر لكِ قدراً جديداً قدراً يجمعني بكِ يمنحني كل ذرة منك ، قدراً يجعلك ملكي !

فتبسمت ببحث أنثوي لمع بين أمواج عينيكِ

: عشق أم امتلاك ؟

: أعشقتكِ ، لكني لا أمتلككِ ، و حين أسطر قدري الجديد ستكوني عشقي و ملكتي و ملكي .

فزادت بسمتك

: الرجل الشرقي يظل شرقي مهما حدث !

: أهي وصمة عار يجب أن أتبرأ منها ؟

فزادت اشراقه عينيك

: على العكس ، فشرقتك تلك أكثر ما عشقت بك !

: تعشقينني أعلم .

فعبّر محياك ضحكة رقيقة عصفت بأشواقي ، ثم علا وجهك هدوء أقلقني

: ما بكِ حبيبي ؟

: أخاف كثيراً مما هو قادم يا ياسين !

: معي .. كيف لكي أن تخافي ..؟

بدأت عينك تملئ بالدموع

: حبيبي .. لما تلك الدموع التي أراها ؟

: لا شيء ! أنا بخير .

فاقتربت منك و أنا أحاول الإمساك بعينيك الهاربة مني

: كلا .. لست بخير ، ماذا يحدث ؟

: أخاف كثيراً ، و قلبي يؤلمني من شدة الخوف .

فشرد عقلي بسرك الصغير

: أهنأك شيء يجب أن أعلمه ؟ شيء تُداريه عني ؟

فانتفضت فجأة ...

: كلا ليس من شيء ؛ عن ماذا تتحدث ؟

أيقنت لحظتها أن بغرفتك المظلمة ما لا أعلمه لكنني تخطيتها و رفعت يديك لقمي و قبلت باطنها

: لا شيء فقط تأكدي حبيبي أنني لن أسمح أن يمسخ مكرهه لن أترك —

: أخاف عليك أنت .. أنت من أخشي أن يصاب بمكرهه ياسين !

: أكل هذا الخوف لأجلي ، كل تلك الدموع لي أنا ؟

: ياسين .. لن أحتمل أن يحدث لك شيء .

: يا الهى ... كم أنا سعيد حتى أن قلبي يكاد يطير من بين الضلوع !

: حقاً .. وما السبب ؟

فوضعت أناملك على فمي و روحت أتخسسها بشفاي

: كيف لي ألا أكون أسعد من خلق على تلك الأرض و ملكتي تخاف فراقي تخشي أن يمسخني مكرهه ، إن دموعك

الملائكية التي تهتز لها سمائي تسيل خوفا علي من أن يمسخني سوء !

: ياسين —

فأسكتك

: أجبك ؛ وأخبرتكَ سابقاً لا تخشى شيء ولا حتى عليّ أنا بخير ، لا أريد أن أرى تلك الدموع ثانية حتى و ان كانت
تسحربي و تأسريني بسماؤها خلاصة الجمال و حبات المطر تتساقط منها فقدر ما تأسريني بجمالها قدر ما تحرق قلبي ، فلا
أحتمل ما يؤذيكَ عشق عمري حتى و ان كانت لأجلي !

فأملتِ رأسك بالطاعة ، و هذا أسر قلبي و مس روحي فكم يزداد جمالك حين يخضع كبريائك و يُخضعني ذاك العنيد ،
بعدها غادرت حين أنت ميس ؛ و لا تعلمي حبيبي كم ارتجف قلبي سعادة حين هَامَسْتِ لي شفتاكِ بخوف قلبك لأجلي
، أحسست معني أن يكون لديك أحدا يخشى عليك ، يخشى لأجلك كم هو احساس رائع أن تشعر أن هناك من
يخاف فقدك يخشى الكون دونك ، يبكي خوفاً من أن يمسك مكروه .

بعد بضع ليالي استيقظنا جميعنا قرابة فجرها على طرق شديد على الباب ، و حين فتح الباب و كنت وصلت
منتصف الدرج ، كنت أنتِ من يقف بالباب فدلقتِ و أنتِ تعتذرين عن القدوم بهذا الوقت و الدموع تنهمر من
عينيك ، فأخذت أُمي و عمتي بتهدئتك....

: ما بك إيما ماذا حدث حبيبي ؟

: لا أعلم شيء شخص ما اتصل بي قال أنه طبيب بالمشفى و أن كريم هناك !

فتعجب الجميع ، و بادرك جدي

: ماذا حدث ؟

فنظرتِ إليبا

: قال أنه تعرض لحادث .

فسألتكِ أُمي ...

: أي حادث هذا ؟

: لا أعلم شيء هذا كل ما قاله ، و لا أعلم ماذا أفعل فأنا وحدي و لا —

و قبل أن تكلمي حدثك جدي بجدة

: أنت لست وحدك ، تحرك ياسين لما تقف هكذا !

حينها انتبهت فحقاً كنت غائباً بدهشتي

: خمس دقائق سأرتدي ثيابي .

و أشار لأمي....

: هيا أنت أيضا معها .

: أكيد يا عمي دون أن تطلب .

ارتديت ملابسني سريعا و كل ما بي مشنت ، دلفنا إلى السيارة جلست أُمي إلى جوارني و جلست بالخلف ، حضرت عمتي هي الأخرى و زوجها بسيارتهم . حين وصلنا إلى المشفى أخبرونا أنه بالدور العلوي ، كان لا يزال بغرفة العمليات لم يخبرنا أحد شيء ! جلس الجميع مبهمين كنت متوترة أخذت أُمي تربت على يدك ووقفت و زوج عمتي نتحدث نحاول أن نفهم ماذا يحدث لكن لم نجد من يجيبنا ، بعد دقائق كثيرة من الانتظار ، ظهر أحد أصدقاء كريم شخص كنت التقيته مرة أو اثنتين ، و معه ضابط للشرطة تقدم نحونا حينها أشار صديقه إليك و أخبر الضابط أنك زوجته تقدم خطوات ، و بعد أن ألقى التحية و اعتذاره عن ما حدث ، و اعتذاره عن كونه يريد أن يسألك بعض الأسئلة و يعلم أن الوقت غير ملائم الا أن هذا عمله سألك ...

: أنت هي زوجة السيد كريم ، مدام ايما أليس كذلك ؟

فأومأت له إيجابا صمت لحظة و بادرك بسؤال أسكت الجميع

: من تعتقدين أنه يريد قتل زوجك ؟

توقف الجميع بمكانه ، أم أنت فلم تحركي جفنا ، فبادره زوج عمتي

: قتل عن ماذا تتحدث ؟

: يبدو أنكم لا تعلمون شيئا !

فأجابته هو فظللت لحظات أملك نفسي من شدة المفاجأة

: كلا نحن لم نصل إلا منذ لحظات و لم يخبرنا أحدا أي شيء .

فالتفت إليك

: ما ورد إلينا أن السيد كريم تعرض لإطلاق النار عليه أثناء خروجه من أحد الملاهي الليلية و ليس لدينا شيء بعد !

حينها كنت بدأت ألملم نفسي و أتدارك ما يحدث فتخطيت الضابط و اتجهت إلى صديقه

: ماذا حدث ؟ ألم تكونوا معاً ؟

فهز كتفيه و هو ينقل النظر بيني و بين الضابط

: لا أعلم كما أخبرت الضابط منذ لحظات ... لقد أهبنا السهرة و ذهب كلا منا باتجاه سيارته ، حين أتت سيارة مسرعة قطعت الشارع فجأة و توقفت أمام سيارة كريم ، و خرج منها شخصين ملثمين و بدؤوا إطلاق النار باتجاه كريم ، حينها ركض كلنا منا يحمي خلف سيارته ، لكن إحدى الرصاصات قد استقرت به ثم فروا حينها أتيت به إلى هنا هذا كل ما حدث .

فاسترسل الضابط و هو ينظر إليّيا ...

: يبدو هذا شخصيا ، لأن صديقه هنا لم يطلق باتجاهه طلقة واحدة .

ثم نظر إليك و أستكمل حديثه

: فيبدو أن من حاول قتل زوجك كان يريد ه هو تحديداً لا أحد آخر ! فهل لديك أي فكرة أو شيء قد يفيد بهذا الشأن عن تعاملاته أو عدااء بينه و بين أحدا ما ؟

فعاودت صمتك و أومأت برأسك نفيا ، فأطال بك الضابط النظر

: مدام ايما صمتك هذا لن يفيد زوجك أو يفيدنا بشيء، أقل القليل منك سيكون جيد !

حينها وقفت أمامه

: أعتقد أنه ليس الوقت المناسب لذلك ، نطمئن عليه ثم من لديه شيء سيؤمّدك به فنحن أكثر من يهمه أن تجد من فعلها .

و قبل أن يقول شيء خرج الطبيب من غرفة العمليات أخبرنا بأنهم أخرجوا الرصاصة ، و أن إصابته بجانبه من الظهر و ليست بمكان خطر ، و أنه سيكون بخير فقط يحتاج إلى بعض الراحة و سيتم نقله إلى غرفة العناية المركزة للاهتمام به .

باليوم التالي لم أذهب إلى العمل لم أشأ أن أتركك بهذا وحدك ، جاء توفيق إلى المشفى حين علم بما حدث ، طلبت إلى أمي وعمتي الذهاب إلى البيت لينالوا بعض الراحة ، طلبت أمي إليك أن تذهبي معها لكنك رفضت ، و ذهب زوج عمتي إلى مديرية الأمن ليعلم كيف يسري سير التحقيق و إن كانوا توصلوا لشيء ما . طلبت إلى توفيق أن يحضر بعض الطعام فلم تأكلي منذ ما حدث ، فذهب ليأتي ببعض المعلبات حينها لم يبقى سوانا و حين أتيت إلى مجلسك لأطمئن عليك و كنت تضعين رأسك بين كفيك و تنظرين أرضا و قبل أن أقول شيء بادرتني بصوت غاضب

: أخبريني أن ليس لك علاقة بما حدث ؟

: ماذا ؟

فرفعتي رأسك إلى الأعلى و شهقاتك المتقطعة في صوتك

: أرجوك ، أخبريني أنه ليس أنت يا ياسين !

: عن ماذا تتحدثين ؟ أتعتقدين أنني من حاول قتله ؟

بدا بعينيك شك لم أراه من قبل ، و مسحت عينيك من الدموع و أنت تهمين واقفة

: لم أعد أعلم ماذا أعتقد و ها أنا أسألك وأعلم أنك لن تكذبني القول !

فجذبتك من ذراعك بقوة ودفعتك نحو الحائط خلفك ، كنت غاضب و زادت ثورتي بنظرات الشك بعينيك حتى أنني لا أعرف لماذا

: انظري بعيني و أخبريني أنت هل فعلتها ؟

صمتٍ لم تنفوهي بشيء

: أخبريني ، ماذا ترين حبيبتي أنا من فعلها ؟

كنتِ تنظرين إيليا كالمغيبة فأطبقت كفاي على ذراعيكِ و صحت فيكِ

: هل فعلتها أنا تكلمي إيما ؟

أومأتِ برأسكِ و شهقاتك تسابق صوتك

: كلا لم تفعلها مستحيل أن يكون أنت !

: و كيف لكي أن تعرفي ؟ قد أكون أنا من فعلها حبيبتي ؟

: ليس أنت فأنا لم أحب قاتل فأنت لست مثله ! فإن كنت أنت من فعلها فأين الفرق لم أكره شيطان لأعشق آخر !

أنت تلك العبارة لي مبهمة غير واضحة المعالم أو السبل ، فحينها لم تكوني بوعيكِ كنتِ تحت تأثير الصدمة لذلك تخطيتها و لم أقف عندها ، لكن فيما بعد فهمت ماذا كنتِ تعنين ! تجاهلتها و ترفقت بكِ و هدأت من ثورتي و أجلستكِ

: أقسم بمن خلقكِ و جعلني أعشق كل ما بكِ ليس لي يدا في هذا ، لا أنكر أنني قد أفعل أي شيء لتكوني لي ، لكنني أوقن أنكِ لن تكوني لي إن فعلتها ، أعلم أنكِ لست المرأة التي ستقبل برجل قتل زوجها و ان كانت تعشقه و تكره هذا الزوج ! ما منعتني سوى عشقي لكِ تأكدي من هذا حبيبتي .

فقبضتي بكفيك على يدي و تعلقت عينيكِ بي و قد تبخرت نظرات الشك بين أحداقك ، و وضعتِ رأسك على كتفي و أنتِ تجهشين من شدة البكاء، فقبلت رأسك و خاطبني عقلي (بريئة أنتِ يا صغيرتي تعتقدين أنني لا أرتكب الأخطاء و أنا هو جبل من الذنوب لكن هذا الذنب لم أرتكبه ! لأنني أعلم أنه سيحول بيننا أكثر من قدرنا ! لا أنكر أنني فكرت بحلول كثيرة لتكوني لي ، وقد يكون راودني بلحظات يأسٍ لكنني لم أفعلها لأنني أعلمك جيداً و أعلم أن هذا سيقف بيننا ، سيخلق سدا بيني و بينك فلست المرأة التي ستقبل بهذا الحل) و حين هممت لتذهبي إلى الحمام لتغسلي عن وجهك دموعك وجدت توفيق يقف إلى جوارنا و يبدو أنه سمع الحديث الذي دار بيننا ، فنهضت عن مكاني نظر إيليا بصمت و أطال التحديق بي ، فبادرته بضيق ...

: ماذا أنتعتقد أنت الآخر بأنني من فعلها ؟

: كلا فأنا أعلم أنك لم تفعلها ، بريئة إيما لا تعلم أنك لو أردته ميتا لكنت الآن ترتدي الأسود و تقرأ له الفاتحة .

: هذا مشجع جداً ، أعتقد أن معنوياتي وصلت عنان السماء الآن ، شكرا على الدعم يا صديقي !

فضحك بخبث اغتظت منه أكثر

: على الرحب و السعة ، بأي وقت أنا هنا لأجلك !

ثم استرسل بجدية ...

: لا تلمها يا صديقي هي فقط مجهدة و مشتتة التفكير فالصدمة لها كبيره ، و التوقيت هو ما وجه شكها إليك !

فأومأت له و رغم غضبي من نظرات شكك بي إلا أنني لم أكن ألومك ، حينها وصلت ميس كانت متوترة ، تلهث الأنفاس و بعينها الخوف

: هل لي بكلمة معك وحدنا ياسين ؟

: قولي ما شئت ، فتوفيق أخي .

: أنتم لديكم رجال للحراسة ، أليس كذلك ؟

أدهشني سؤالها كثيراً

: هذا طبيعي أن يكون لدينا رجال للحراسة ، لما تسألين ميس ؟

: لما لا تضع بعضا منهم هنا ليكونوا بجوار إيما

فتبادلنا و توفيق النظرات و الدهشة تملأ كلانا و قبل أن أقول شيء بادرني

: أقصد تحسبا لأي شيء قد يحدث !

فسألها توفيق بتعجب

: أي شيء تقصدين ميس ؟

: لا شيء محدد ، فقط أخشى أن من حاول قتله يحاول قتلها !

فعاود توفيق سؤالها

: و لما يحاول قتلها ؟ هل تعرف من حاول قتله ؟ و ما علاقتها بكل ذلك ؟

: هي ليس لها علاقة بشيء و لا تعرف شيء ! لكن حتى يمسكوا من فعلها فلنرفع احتياطات الأمان قليلا ، فلا أحد يدري من التالي !

حينها خرجت عن صمتي و أنا أحاول فهم ما يدور

: ماذا هناك ميس ؟ ماذا يحدث ؟

: لا شيء ، يبدو أنني متوترة أكثر من المفروض !

حينها أتيت فهمت لمقابلتك ، و قبل أن تتخطانا قالت بصوت خافت

: إن كنت تحبها لا تدعها تغب عن عينيك تلك الأيام !

الآن صارت دهشتي بجرأ ، نظرت إلى توفيق و أنا لا افهم شيء مما يحدث و أغرب مما قالته ميس ما حدث بالدقائق التالية !!!

حين التقت بك أمسكتك من يدك و جذبتك للوراء بضع خطوات ، حتى لا يترامى إلى مسامعنا شيء ثم تحدثت إليك كنت صامته فقط رددت كلمة واحدة بدا اسما و حينها بدا عليك الخوف تراجع للخلف و استندت للحائط و بدا الاضطراب جليا على وجهك ، كانت تتلفت كثيرا و كلما مر أحدا بجانبكما صمتت ثم تعود و تستكمل كلامها ، حينها حدثني توفيق بصوت يمتلأ قلق

: قلبي يُنبئني بأن شيء سيء يحدث !

حينها لم أحتمل ذهبت إليكما ، فتبعني توفيق و حين اقتربنا تعلقت عينيك بي و أشرت إليها فصمتت ، و حين اقتربت لمحت دمعة ورايتها عني

: ماذا يحدث إيما ؟

: لا شيء ؟

تقدمتي خطوة فتبعتك و توقف كلاهما

: ايما !!

لم تجيبي و زادت خطاك ، فعاودت نداءك و مددت يدي أمسك يدك كي أوقفك فالتفت و دفعتي يدي بعيداً ، و صحت بغضب

: ابتعد عني و ارحل من هنا ، لا أريدك هنا ، ارحل يا ياسين !

: ماذا ؟ ماذا تقولين حبيبي ؟

فنظرت بعيني ، و بحزم لم أراه بك قبل تلك اللحظة

: ابتعد يا ياسين.. ابتعد و لا تقرب مني ما حبيت لا أريدك هنا لا تأتي إلى هنا ثانية ، أنا لا أحبك !

صمت لحظة ثم عاودت بنبرة أكثر حدة و عينيك معلقة بعيني و الدموع لاحت بأحداقك

: لا أحبك ، ابتعد عني !

وقفت متسماً بمكاني ، حتى أكاد أجزم أنني حين سمعتها منك كاد قلبي يُعادرني و أنفاسي تتوقف ، فقد شقت صدري نصفين !

حينها اقترب توفيق أمسك بيدي و جذبني ناحيته ، قال شيء لكنني لم أسمع ! حينها لم أرى و لم أسمع غير صوتك و هو يشق صدري ” لا أحبك “ ثم أفقت هو يجذبني بشدة ، و يعيد بعض من رشدي الذي فقدته أمام حروفك التي سلخنتني من ذاتي بتلك اللحظة

: ياسين هيا الجميع يمعنون النظر بكما ، ياسين هيا .

أمسك بي توفيق و سحبني من يدي و اتجه بي بعيداً حتى وصل بي إلى السيارة ، فتح لي باب السيارة أدخلني و كنت لا أعني و لا أدرك شيء من حولي ، سكنت الأرض و جفت البحار و توقف الزمن بي عندها ! قاد توفيق السيارة أغمضت عيني و عبر بذهني كل ثانية من عمري منذ تلك الليلة التي رماني قدري بسهم هواك ، مرت كل لحظتنا معا أمام عيني فقد أخذتني غفوة بعشقتك غفوة بك ، أنت هي الحنون القاسية الباكية الباسمة الثائرة الطائعة ، كل ما مر بنا من لقاء و غياب من عشق و عناد ؛ المرة الأولى التي سمعت بها ضحكاتك ، تلك اللحظة حين تنفستك ، أول مرة سمعت قلبي تقولين أحبك ، حين ضممتك إلى صدري ، حين غرقت بثغرك ، خطواتك نظراتك همساتك ، كل ما بك

كان يدور برأسي دوامات تنهمر هائجة ما بين دهشة و غضب ؛ حتى وصلنا مزرعة الخيل هبطنا من السيارة وقفنا بالقرب من مربوط الخيل ساد الصمت طويلا حتى كسره توفيق

: لابد أنها متعبة هي لا تعني ما قالته !

ظللت صامت و نظري يجول بمربط الخيل و هي تنبش الأرض بأقدامها و ذكرياتك تنبش بقلبي ، أهيم في آفاق عشقنا تلاحقني ثورتك المفجأة ضدي و ألاحق عشقي لك ، فكلي أصبح مسجوناً فيك عقلي محصوراً داخل كونك ، كان غضبي يركض بقلبي أشعر به ماء يسيل بين ضلوعي لا يمكنني لملمته ، أرى قدرتي عاد يتلاعب بي لازال زماي يعبث بأحلامي بك ، ثم توقف كل شيء فجأة ولم يبق سوى عبارتك التي راحت تركض بعقلي حتى أنني رددتها بصوت مرتفع و أنا أهم واقفاً

: ” أنت لست مثله ! لم أكره شيطان لأعشق آخر “ !!!!

فاندهش توفيق من العبارة و سألني

: ماذا تعني بما قلته ؟

: قالتها لي ايما حين شكت بي ، هي اعتقدت أنني من حاول قتله ثم تراجع و قالت أنني لست مثله !

ثم التفت لتوفيق و أنا لا أزال أحاول ترتيب حروفك و ترتيب القطع بلغزك مُعذبتني

: و نحن نتحدث عن قتله ، فهذا يعني ؟

: أنك لست قاتل !

: هي قالت تحديداً ” لست مثله “ !!!!

فأمال توفيق رأسه بدهشة غزت ملامحه

: إذن ، فمن قتل هو ؟؟؟؟؟

: أعتقد أنني أعرف من لديه الإجابة !

أرسلت طلعت إلى المشفى كي يظل قريب منك حتى يطمئن قلبي و تهدأ لوعته ، غير أنني انتظرت أن يُهاتفني و يُبلغني حين تغادر ميس المشفى ! فهي من لديها حل لغزك حبيبي الذي آن أوانه كي تنفك عنه طلاسمة ! فهي من تعلم الطريق الى غرفتك المظلمة ! و قد اكتفيت من أسرارك و اكتفى قلبي من أمواج بحرك المتقلبة ! حان الوقت لنهني تلك اللعبة و تكويني لي للأبد !

و بعد يوم من انتظار ... أبلغني طلعت أنها غادرت المشفى عائدة الى منزلها لإحضار بعض الأشياء ، و بالفعل عادت ميس إلى شقتها ، و حين دلفت إليها و قفت دقائق مطرقة ، كانت عيناه المدهوشتان لا تحرك جفنا يكاد يُعشى عليها من هول المفاجأة ، فبادرها توفيق

: ما بك ميس هل رأيتِ شبحاً ؟

: كيف دخلتما إلى منزلي ؟

فابتسم توفيق و بنظرة زادت توجسها

: أنتِ أذكى من أن تسألني ميس ؟ و إن كان غير مرحب بنا فقط اطلبي الينا المغادرة ، و بالطبع سنغادر لكن بعد أن نتحدث قليلا !

فالتفت نحوي و التوجس و الرهبة يملئونها لم أقل شيء فقط تبادل و هي النظرات لبضع لحظات ، حتى أخرجنا توفيق من بحر صمتنا

: لما لا تجلسي ميس ؟

فنظرت إليه ثم التفتت ايليا و لازالت واقفة

: لما أنت هنا يا ياسين ؟

فاعتدلت بجلستي و رفعت ساق فوق الاخرى و بنبرة زادت توجسها

: ربما لأن لديك كل الإجابات التي أفتش عنها !

: عن أي إجابات تتحدث ! أعتقد أنك تطرق الباب الخطأ اذهب إليها و اسألها ما شئت ، أنا لا أعلم شيء !

فتقدم إليها توفيق خطوات و هو يشير نحوي

: أعتقد أنه لا يصدقك ، و لكن منصفين فهو محق !

فتراجعت و القلق و الرهبة اعتلت محياها ، و ببسمة ساخرة منه

: كل شيء كان يسير بأفضل ما يكون حتى ظهرت أنتِ بالمشفى ، ثم انقلب الوضع كله رأسا على عقب ! بداية من رفع احتياطات الأمان ! نهاية بانقلابها ضده ، بعد أن كانت تحتمي بين ذراعيه دفعته بعيدا عنها ! و الان تخبريه أنك لا تعلمي شيئا ! حاولي مجددا لكن تلك المرة بجهد أكبر !

ثم نظر إيليا و عاود النظر إليها و همس بأذنها بصوت مسموع لي

: فصدقا لا أعلم إلى متى يمكنني السيطرة على غضبه ! و أعتقد أنك لازلت تأملني بالحياة ميس ! أم أن الليلة سيكون السطر الأخير بقصة حياتك !

فوصلت أنفاسها إلى مجلسي ، و طفى العرق بكل أرجائها فتخطت توفيق و أوصالها تنتفض خوفا ، و تركتنا خلف ظهرها و بتلعثم رعبها

: أخبرتكما لا أعلم شيء ، و ليس لدى ما أقوله .

فهمت من مجلسي و اتجهت نحوها

: حسنا هناك شيء تخفيه إيما عني ، و أنتِ تعلميه و ستخبريني به الان !

: أخبرتك .. لا أعرف عن ماذا تتحدث يا ياسين !

فأمسكتها من ذراعها و غضبي يركض بصدري نحوها

: ماذا تفعل يا ياسين ؟

اقتربت منها و بنبرة وعيد انخلع لها قلبها ، و أنا أطبق على ذراعها بقوة تأوهت لها

: دعيني أخبرك أنني سأفعل أي شيء بالكون لتكون إيما لي ! و سأحطم كل ما يقف بيني و بينها ، فلا تدعيني أضعك برأس القائمة !

ثم دفعتها الى الاريقة بقوة تأملت لها و اندفعت نحوها بغضبي و لويت بعض من خصلات شعرها حول معصمي فعلى صوت تأوهاها و تعلقت عيناها بتوفيق تستجير به ، فرفع كفيه في الهواء باستسلام

: أنتِ هي من تريد استنساخه ! هيا تفضلي انسخي منه ما شئتِ !

فجذبت شعرها بجنق فتحولت عينيها إيليا و علت تأوهاكما و انفرطت دموع ألمها ، فصحت فيها بغضب انتفضت له

: لما لا تبدئي بإخباري ما أريد ! لأنني سأعرفه بأي طريقة كانت ! فلما لا تختاري الطريقة الاسهل ، لأنك لم تري الأصبعب بعد !

: لا أعرف شيء، أقسم لك لا أعلم أي شيء

فالتفت خلف الأريكة ، و جذبت شعرها بمعصمي للخلف بغضب أعتى

: لماذا جميعكن يفضلن الطريق الأصبعب !

فصفعني ما صرخت به صفعني سرك الصغير معذبتني زلزل كل أرجائي مثلما زلزلها عشقك ، حتى أن سرك أفقدني النطق لحظات و أفقدني التوازن ، أخرجني من الزمان و تعدى بي حدود الواقع و الخيال تماما كهواك ، فرعني حين صرخت به بألم و وجع

: ايما تزوجت مرة من قبل ، كريم ليس زوجها الأول !

صفعني ما قالته ! أوقفني دون حراك انعقد لساني عن الكلام ، شعرت بأن عقلي توقف عن التفكير شعرت به يسقط في الفراغ و اعتدل توفيق بمجلسه و الدهشة تملئه ، ساد الصمت الفادح بنا جميعا لحظات تخلله صوت تأوهاكما و هي تتحسس رأسها المتألم بعد أن تركت شعرها من يدي ، ثم تساءل توفيق و كأنه لم يسمع

: هل قلتي تزوجت من قبله ؟

: نعم تزوجت حتى تُقلت من قبضته إلا أنها لم تغلح ، فعاد و أطبق عليها !

فتقدمت و جلست الى الكرسي المقابل لها أحاول ملمة ما بقي من عقلي الذي تبدد بين طياتك و ألغازك حبيبتني ألغازك التي لا تنتهي ، أحقق أنا اعتقدت أنني لو فككت طلاسم لغزك سننتهي حيرتي إلا أن الاجابة ألقنتني باليم ! ألقنتني ببحر ليس له قاع و لا يبدو له شط ، فقد سحبتني من سماء التيه و ألقنتني بشاطئ الحيرة! لم يخرجني من تقلبات دوامات الأفكار بي سوى ما تساءل به توفيق

: ما معنى أنها تزوجت لتهرب منه و أعادها ؟ لما لا توضحي كلامك ميس ؟

فاعتدلت و رفعت رأسها للأعلى و لازالت شهقات الألم و الدموع بنبرتها

: قبل ظهور كريم في حياتها بفترة قصيرة تعرفت الى شاب عربي لم يكن مصريا لكني لا أذكر من أي أصل هو ، عدنان ، حين رآها بإحدى المقاهي التي يتردد عليها العرب فُتن بها بدأ يتودد إليها ، بالبداية كانت تصده ثم بعد ذلك تعلقت به ، و حين ظهر كريم بالصورة و بدأ ملاحقتها و بدأ عمها بالضغط عليها للزواج بكريم حتى يخرج من ضائقته المادية و هدد بأنه سيجبرها الزواج منه ! أقنعها عدنان بالزواج كي لا يجبرها الزواج من كريم ، بالبداية رفضت لكن مع تهديدات عمها و ملاحقة كريم وافقت ، و بالفعل تزوجها عدنان دون ان يعلم عمها ، ثم أخبرته بعد ذلك .

فسألتها و لازلت أحاول لملمتي من صفعتي

: اذن كيف انتهت مراكبها بشواطئ كريم مرة اخرى ؟

فصفتني بإجابتها الثانية

: قُتل عدنان بعد اسبوع من زواجهما !

فاعتراني فزع مفاجئ من صدمتي الثانية و انتفض توفيق هو الاخر من مجلسه و بادرها

: ماذا ؟ قُتل !

فرفعت عينها نحوه و بصوت بدا هادئ على عكس كلانا

: نعم ، قُتل ! فقد صدمته سيارة أثناء سيره على الرصيف ! قالوا أن السائق كان مسرِفاً بالخمير فخرج عن مساره و أغلقت القضية ! و لم يمسكوا بالقاتل حتى الان ! و لا أعتقد أنهم سيمسكون به !

ثم التفت نحوي

: ثم تزوجها كريم بأخر يوم بعدتها و لم يعلم أحدا أي شيء عن مسألة عدنان من بدايتها إلى نهايتها !

حينها ترامى إلى عقلي ما فعل كريم و ماذا كانت تعني سابقا بأني لست مثله ، فتساءل توفيق بغباء و كأنه لم يفهم بعد

: هل تقصدين أن كريم من فعلها ؟

فابتسمت ميس بسخرية من سؤاله

: حسنا لنقل أن الصدفة كثيرة بهذا العالم ، و الشخص الوحيد الذي وقف الى جانبها و حاول أن يحميها من كريم ، تصدمه سيارة و هو يسير فوق الرصيف ! و لم يرى أحد شيء أو يقبض عليه ! لا أعتقد أن القدر سخى معه إلى هذا الحد !

فعاد و سأها توفيق و لازلت على صمتي

: ربما هي صدفة ! هل من دليل على أنه من فعلها ؟

: هل أنت أحق توفيق ! أعتقد أن كريم سيترك لهم دليل يدينه !

ثم صمتت لحظة و عاودت النظر إيليا

: بعد زواجهما بفترة قصيرة عاد ذات ليلة منتشي فتشاجرا و طلبت منه ايما الطلاق ، فذكرها بأنه يخشى أن يحدث لها أو أحد تهتم له مثلما حدث لعدنان ، و هددتها بأنها لن تكون لغيره و لن يقربها سواه فهي ملكه حياً أو ميتاً !

حينها بدر إلى ذهني سبب خوفها الشديد منه لحظتها فقط أيقنت سر ثقته بأنها ملك قبضته ، لما يتحكم بها كما يشاء فخرجت عن صمتي و سألتها

: هذا سبب خوفها منه و تلبية كل ما يريده ؟

فأملت رأسها ايجاباً

: و لذات السبب تبعدك عنها بكل الطرق ! هذا سبب محاولاتها ابعادك عنها ، فهي تخشى عليك منه إن علم بما في قلبيكما أن يمسك بسوء ، فهي لم تسامح نفسها على ما حدث لعدنان ، و تخشى أن يحدث لك ما حدث له ! لذلك حتى و ان تركت كريم فلن تكون لك فأنت لا تعلم كم تحبك ! و إن حدث لك مكروه لن تحتمل ! ما بالك ان كان هذا المكروه بسببها !!!

حينها دار بعقلي بأن هناك شيء مفقود ، هناك شيء لم تخبرني به بعد

: و ما الذي حدث بالمشفى تحديداً ؟ لما انقلبت ضدي ؟

فصمتت و هي تُقلب نظراتها بيني و بين توفيق ، فصرخت فيه

: ميس !

فانتفضت من مجلسها فرعة

: حسناً ، لنقل أن بعض من أصدقائنا المقربين بإنجلترا أخبروني أنهم سمعوا بأن إخوة عدنان كانوا يحتفلون أمس بأحد الملاهي الليلية لأنهم انتقموا لموت أخيهم !

فهم توفيق واقفا ، و هو يتساءل

: تقصدين أنهم من حاولوا قتل كريم ؟

: أخبريني أنت ؟ هم يحتفلون بنفس توقيت محاولة قتل كريم! ألا ترى توفيق أنك تؤمن كثيراً بالصدف؟

فهممت واقفاً

: لذلك طلبت إيليا حمايتها خوفاً من أن يحاولوا قتلها ؟

: لست متأكدة ، لا أحد يعلم بما يفكرون ؟ ربما يعتقدون أنها السبب ؟ فيحاولون قتلها هي الاخرى ! غير أن لا أحد يعلم كيف سيكون رد فعلهم عندما يعلموا أن كريم لم يميت !

صمتت لحظة

: لذلك أبعثتك عنها اليوم ؛ فلا تريدك أن تتأذى ، لا أحد يعلم ماذا سيحدث ؟ لا تريدك أن تتورط بهذا فالوضع أصبح الآن أسوأ كريم من ناحية و إخوة عدنان من ناحية ، تخشى أن تُصاب بمكروه وسط دوامة لا قارب لك بها أو شرع !

فتقدمت نحوها خطوة

: إن كانت هي وسط تلك الدوامة ، فكل قواربي بها !

و بعد أن التفت لتوفيق عُدت و التفت إليها و رفعت لها حاجبي بحزم

: سأخمن أن لا شيء آخر لا أعرفه أو تواريه أنتِ أو هي عني ؟

: كلا أقسم لك لا شيء آخر ، هذا كل ما أعلمه !

: لا أريدها أن تعلم أنني كنت هنا أو أنكِ أخبرتني شيء ! فتقدم توفيق نحوي

: حسنا لك ما تريد .

فسألني توفيق

: ما الذي تنوي فعله الآن ؟

: سأخبرك في الطريق .

غادرنا منزل ميس و قد انكشفت أمام عيني حقائق كثيرة كنت أجهلها ، انكشف أمامي كل ما كنتي تواريه عني ، أخذت تجري بي أفكاري بكل مضمار تارة ، عقلي مشتت يحاول ترتيب كل جزء بجوار الاخر ، قلبي مفزوع ينتابه الخوف و القلق عليك ، تولاني الهم و الحزن خوفاً مما هو قادم ، ظللت غارقا بدوامتي إلى أن التقطني منها توفيق

: أتعتقد حقا أن كريم هو من قتله ؟ أنا أعلم أنه أحمق و قد يفعل أي شيء لكن القتل ليس أي شيء ! أتعتقد أن كريم يفعلها ؟

: كلا لا أعتقد ! أنا متأكد أنه فعلها . أنت لا تعلم كم تخافه و إلى أي حد تخشاه ، إن رأيت الرعب الذي يملئها منه كنت أيقنت أنه فعلها ! كنت أعلم أن هناك شيء يجعله يتحكم بها لكن لم يصل بي شيطاني إلى القتل !

فنظر توفيق نحوي بقلق

: ما الذي تنوي فعله الان ؟

: لديك الكثير من المعارف بإنجلترا أليس كذلك ؟

: نعم ، فلدينا الكثير من المعارف الذين تجمعهم بعض الأعمال بأدهم ، لكن لماذا تسأل ؟ بماذا تفكر يا ياسين ؟ و ماذا تريد ؟

فتوقفت بالسيارة إلى جانب الطريق ، و التفت نحوه

: كل شيء ، أريد أن أعلم كل شيء ابتداءً مما قالت ميس عن زواجها بعدنان حتى حادثة قتله ، و الأهم هو كل شيء عن إخوته و كيفية الوصول إليهم !

فانتفض بمجلسه و هو ينظر إيليا و القلق يعتره

: الوصول إلي ، إيلام تخطط يا صديقي ؟

: ستعلم فيما بعد .

: ليس من بعد ياسين ؛ ستخبرني الان ما تنويه !

فنظرت له بضيق

: توفيق —

فقاطعي و هو يضع كفه على كتفي

: أنا أخاف عليك يا صديقي نحن نتحدث عن القتل هو قتل و هم يحاولون قتله كل الحسابات اختلفت الان ؛ وإن تغاضينا عن إخوة عدنان فليس لهم بك شأن ! فماذا عن كريم إن علم أنك تسعى خلفها ؟ إن كان فعلها مرة فلن يتوانى عن فعلها ثانية ! أرى أن اйма محقة بقرارها ابتعد عنها لا تُلقي بنفسك بدوامه سيسقط كل من يخطو داخلها !

فصحت فيه بضيق ملاً صدري

: لن أتركها توفيق لن أتركها ، و هذا ليس قرارها ليس من حقها أن تُملي على قلبي ما يفعله ! لا يحق لها أن تقرر عني ! لا يحق لها أن تُملك قلبي بجها و الان تُهلكه بغياها ! كيف يحق لها أن تدفعني عنها خوفا عليا ؟ و لا يحق لي خوفي عليها ! و كيف لي أن أجن بها عشق و أتخلي عنها ؟ أي عشق هذا الذي يجعل قلبي يقف يرقبها و هي تُمس بأذى و لا يحرك ساكنا ؟

فخفض عينه و هو يحرك رأسه باستسلام

: أعلم أنني لن أستطيع أن أُنثيك عن ما تريده ! سأقوم ببعض الاتصالات و سنرى إلى أين سنصل ! لكن عدني أنك لن تفعل شيء قبل أن تُخبرني به أولا !

فعدت و انطلقت بالسيارة بعد أن وعدته بما أراده ، فوعدي بأن أخبره لن يوقفني عن فعل ما أريده ! لم أذهب إلى المشفى يومين متتاليين متعللٍ ببعض الاجتماعات و الأعمال الهامة ، و لم أستطع ترك طلعت هو الآخر حتى لا يلفت الأنظار بوجوده الدائم ! خاصة بعد أن اتصل بي و أبلغني أنك طلبت إليه الرحيل و أصررت على هذا ! فأمدني توفيق بأحد أفراد الحراسة الذين يعملون لديه و يثق به ؛ فليس أمامي إلا أن أروضخ أمام ما تبتغيه ، فقلبي يُليي لك كل ما ترغب في دون تفكير ، فأنتِ هي العنيدة التي أتعني ضعفي أمامها و خنوع روحي لها !

باليوم الرابع ذهبت إلى المشفى مع جدي للاطمئنان على صحة كريم ، أراد جدي الذهاب إلى حجرة الطبيب للتحدث عن حالته الصحية قبل الدخول إليه، حينها ذهبت وحدي إلى غرفة كريم لم أراك بالممر و كان باب الغرفة موارب قليلا ، و قبل أن أدق الباب لدخول عليه سمعت صوته منزعجا ! وحين اختلست نظرة من بين طيات بابه كان يرقد إلى السرير نصف مستلقي ذراعه اليسرى معلقة إلى رقبته و بيده اليمنى يمسك بمؤخرة عنقك بإحكام و يُقربك إليه عنوة ، و هو يصرخ بوجهك بحدة مكظومة حتى لا يسمع أحدا إلا أنها تسللت إلى أذني

: حمقى يعتقدون أنني من قتله ! لكن بالحقيقة أنك من قتلته حبيبي ! أنت من قاده إلى هلاكه ! إن لم تحتمي به لكان حي يُرزق ! رأيت أنتِ هي من وصل بنا جميعا إلى هذا الوضع !

حاولت الإفلات من يده لكنك لم تستطيع ، فسابقت دموعك تأوهاتك المكظومة ، فاسترسل

: و تلك ستكون الحال لكل من يقربك عشقي ! لا تعتقدي أنك ستفلتين من يدي إما ! فأنتِ لي ! و لا تفكري بأنك تستطيع الهروب مني كما حاولت السفر دون رغبي ! هذا يثير غضبي و أنتِ لا ترغبين بهذا حبيبي ؟

فأومأت له برأسك و أنتِ تُجيبين بصوت متألم

: كلا لا أريد اغضابك .

حينها دفعك بقوة حتى أنك اصطدمت بالحائط خلفك ، اعتلاني الضيق و رغبة جامحة بفتح الباب و الاجهاز عليه فلا يحتمل قلبي رؤيتك تتألمين ؛ إلا أنني تمسكت بما بقي لدي من عقل تراجعت خطوات للخلف حين ظهر جدي بالأفق و هو يسير بجوار طبيبه ، فأمسكت هاتفها متظاهرا بأنني أنني مكالمة ، حينها دلف الطبيب و تبعه جدي ثم تبعتهما ،

لحظتها كنت تهمين بالخروج من حمام الغرفة ، ألقىت التحية إلى جدي و أنت تغتصين بسمه على وجهك للجميع ، تجاهل كلانا النظر إلى الآخر ! اطمئن الطبيب عليه ثم غادر ، فتبعته متعللة بإحضار بعض الطعام الذي صرح به الطبيب ، فسأله جدي عن ان كان يعلم شيئا عن من حاول قتله ؟ لكنه بالطبع نفى أي فكرة لديه عن من فعلها وأقر بأن ليس لديه خصومات مع أي شخص قد تصل إلى القتل ! حاول التطرق إلى العمل لكن جدي نهاه عن التفكير بشيء أهم من صحته ، أما أنا فلم أقل شيئا كنت صامتاً طوال جلستنا إلا من بعض الإيماءات و الابتسامات المصطنعة ، إلى أن أتى جدي اتصال يخص العمل لكنه لم يرغب بتلقيه فطلب إيليا الرد بدلا عنه فخرجت من الغرفة لتلقي الاتصال ، و بعد أن أنهيته حين التفت بالجهة الأخرى وجدتك تقفين بنهاية الممر أمام النافذة و كعادتي سبقتني خُطاي إليك

: ألم أخبرك سابقاً أنني لا أريد أن أراك تبكين ! حتى و ان كان دمك ساحراً إلا أنه يؤلم قلبي !

فانتفضت يبدو أنك كنت غائبة بعالم آخر وكفك يسبقك ليمسح دموع عينيك التي حاولت أن تواربها....

: ياسين ، ماذا تفعل هنا ؟

: اطمئن على شريكتي و صديقتي و حبيبتي و قلبي و -

: ياسين ، توقف ع-

فوضعت أصابعي على فمك و أنا أداعبك

: دعيني أخبرك سرا فأعلم كم تعشقين الأسرار !

فتنهدت فطارت أنفاسك تُحبي صدري بغيرها

: أحبك هذا قرار قلبي و اختياره و قدره ، أنت هي ادماني و لن تمنعيني ادماني بك ! أنت هي أنفاس قلبي و لا يملك أحداً بالكون أن يوقف أنفاسي ، فهي بيد من خلقها و من خلقها هو من أتى بك إلى عالمي ، فقدري يُريدني أن أتنفسك فما بيدي ؟

فابتسمت و دموعك تتراقص بأحداقك فمازحتك

: فمن أنت لتعترضني على قدرتي ؟ أو تُقرري لقلبي ألا يتنفس ؟

: لا أحد !

فرفعت حاجبي و زدت مشاكستك

: أخبرته الأحمق بذلك ! لكنه لم يستمع ؛ و عن الغرق ببحور الغرام لم يمتنع !

تعجبت ملامحك بابتسامه ، فأجبتك دون سؤال

: أقصد عقلي الأحمق ، لكن أتعلمي بماذا أجابني ؟

فهزرتِ كتفيكِ بحيرة و زادت بسمه عينيكِ ، فعدت و استحثثتك الحديث

: هيا خمني ايما ؟ تعتقدين بماذا أجابني الأحمق ؟

فتنهدت مستسلمة و لازلت صامتة ، فبادرتك

: حسنا قال لي أنت هو الاحمق ! فهي نبضك و أنفاس روحك ، جوهر ذاتك و ما يجري بشرايينك ، هي ما يُبقيك على قيد الحياة قمر ينير دروبك يخشاه ظلام لياليك ، هي الشك و طريق اليقين ، الواقع و أوهام الخيال ، هي الحقيقة و بحور السراب ، الارض و حدود السماء ، هي الرشد و الضلال ، الممكن و درب المستحيل ، هي البداية حلم ليس له نهاية ، فشمسك تشرق من عينيها و تغرب بكفيها ، و روحك تدور برحاها ! هي من صار اشتهاك لقربا أشد من رغبتك بالحياة ! هي تُحرك !

فصمت لحظة ، و قد غرقت عينيكِ ببحري ، و اقتربت خطوة منك

: حمقاء حبيبتك إن اعتقدت أنك قد تبعد عنها فمن يعشق لا يملك خيار الابتعاد ، فالفراق رفاهية لا يمتلكها العشاق ! قرار ليس بيدك و لا بيدها ! كأس لم يحتمل كلاكما مرارته سابقاً فلما ستحتملون الان؟

: ياسين -

فأسكتك بحركة من أناملي على فمك

: أُحبك ايما و مهما فعلتِ و مهما حاولتِ لن أتخلى عنكِ ، ليس الان و ليس لاحقا و لا بعد ألف عمر على عمري ، أنا هنا و لن أُغادر إلى أي مكان و لن يمسك مكروه ما حييت ، هذا وعد قلبي لكِ و لن تُثنييني عنه أو عنكِ مهما حدث و مهما فعلتِ فأنتِ لي مُعذبتني !

: تقول عني بأنني هي العنيدة ! فماذا تكون أنت ؟ ملك العند بالكون ! ألا تعلم للاستسلام سبيل !

فرفعت لك حاجبي و باعتزاز قلبي بعشقتك و امتنانه لحبك و غروره بهواك

: أنا فقط أحبك ! وإن كنت ملكاً فلأنك حبيبي و قلبك لي وطن ! و استسلامي أعلنته و أقررت به دون قيد أو شرط أمام عينيك بأول نظرة ألقيتني بها بسهم هواك الذي أصاب القلب و سلب العقل و امتلك الروح فصرت أسير هواك ! و كلي أقسم لك بالحب والغرام فسلسلتي شيطاني وأجلسه عشقتك على بساط الأدب و الطاعة ! فما عاد يري غيرك و لا يسمع سواك ! فرفقاً بأسيرك في الهوى مولاتي ! فترفقي بي في العشق و في الغرام ، فلم أخطو قبلك في عشق الملكات دروب ! و زيدي ترفقا بالقلب في الهجر و ليالي الغياب فنبضي أسير قلبك لا يحتمل آلام الفراق ! فترفقي ملكتي فمن شيم الملوك في الغرام و الملكات الرفق بأسير وقف بمصافهم ملك ما أحنى قلبه سوى سحر عينك !

فهمست لي بلمعة دمعاتك بين جفونك

: لا أجد ما أقوله بعشقي لك ، فأحبك لا تكفي قطرة من أنهار غرامك بداخلي ! ما من شيء يصف طغيان هواك بقلبي ! يصف جحيم قلبي بغيابك ! لكن يمكنني احتمال كل هذا ! يمكنني تحمل عشق بيننا بلا أمل ! يمكنني تحمل أن تكون أمام قلبي و لا يجرؤ اقترابك ! يمكنني تحمل استبداد اشتياقي إليك ! لكن ما لن يحتمله قلبي أن تُمس بأذى ! فلن أحتمل أن يمسك مكروه بسـ

: الحياة و الموت بيد من خلقهم فقط ، لا يملك أحد أن يعطيهم أو يسلبهم غير من وهبهم حبيبي ، فلن يمسي شيئاً إلا حين يأذن له ربي بأن يمسي ، و هو لن يكون ذنبك بل هو قضاء ربي و مشيئته !

: و نعم بالله . لكـ

وضعت اصبعي على فمك فصمتي باستسلام ، ابتسمت لك و قلبي ذائب بنظراتك الرائقة التي تبددت بسماؤها غيوم الدموع ، فأغرقتني بعدوبتها و سحرها الدافئ بليل شتوي عاصف دفاء نبضاتي و سكنت له عواصف روحي ! فامتدت أصابعي تمسح عنك دموعك ، حين فاجئني جدي بندائه لي ! فانتفضت و تراجعت خطوات للخلف و عينيك تبدد صفائها و ملاًها الخوف ! فأشرت إليك بأن تظلي بموضعك و لا تتحركي ، ثم التفت إليه و تقدمت نحوه متصنعا الهدوء و بابتسامة هادئة اقتربت منه وتساءلت ...

: هل انتهيت يا جدي ؟

فشاكسني

: هل انتهيت أنت ؟

فالتفت نحوك بنظرة خاطفة متصنعا عدم المبالاة

: هو ليس بالحديث الهام هو عن العمل و المزرعة ، غير أنني حاولت معرفة إن كان أخبرها كريم أي شيء عن من حاول قتله ؟

: و هل أخبرتك شيء ؟

: كلا ، قالت كما قال هو بالداخل ، لا يعلم !

فابتسم جدي و هو يدب بعصاه الارض

: لندعو الله أنما انتهت إلى هذا الحد ، فبدأت أخشى من عودته ، أشعر أنه لم يعود وحيدا !

فنظرت إلى جدي بتعجب و دون أن أسأل أجابني

: يبدو أن الأحمق عاد و لديه من المتاعب ما سيوصله الى قبره !

فسألته باهتمام و كنا قد وصلنا إلى السيارة

: أنت لم تصدق أنه لا يعلم من حاول قتله ؟

: جميعنا لدينا أعداء ، فعالم المال و الأعمال هو أفضل مكان لتكتسب أعداء و تخسر الأصدقاء ! لكنها تظل بالنهاية عداوة و لا تخرج عن اطار الصراع على الصفقات ، تظل حربا لأجل المال حربا تُزهق بها المبادئ و المثل ! ضحاياها الأخلاق و الضمائر ! لكن لا تُزهق فيها الأرواح ! و حين يحدث هذا فاعلم أنك تخطيت الحدود ! اعلم أنك وضعت قدمك ببداية نهايتك، والأمر ليس بمعضلة أو أزمة كونية فحدود القتل تظل معلومة فلا يُطالب بالدم إلا من سُفك له دم ! و لا يسعى خلف القتل إلا من قُتل ! لا يهم الطريقة فالقتل بالنهاية واحد ! و لا أعتقد أن ازهاق الأرواح ذنب قد يتوه عنه صاحبه! فكل نفس تعلم بما أثمت يداها ! فقد ينسى العبد خير فعله أو يتوه عن طاعة أقدم عليها ! لكنه لا يتوه عن وزر ارتكبه أو خطيئة اقترفها مهما صغرت! فما بالك بالكبيرة التي قد تدفع صاحبها للسعي خلف انتقام طريقه الدم !

ثم التفت إليبا و هو يتكأ بباطن كفه على عصاه

: الأحمق يعلم من حاول قتله ! و مادام هو صامت فقلبي يُنبئني أنه يستحق ! فصدري يوسوس لي بأنه اقترف ما يستحق عليه ما حدث له ! فتلك هي الحياة ” كما تدين بما تدان “ فربك ليس غافل عن ما يفعله عباده ! لكن لكل منا موعده ، كُتب له وقت معلوم سيُحاسب فيه على ما اقترفه من ذنوب ! فلا يغرنك بالدنيا خدائنها و لا تستبطن جرائك ربك فيها ! فكلنا منا ستأتيه ساعة حسابه و سيُجازى بما قدمته يداه فلا مهرب له و لا مفر !

هذا هو جدي بحكمته و فطنته! فبجلسة واحدة معه و بضع لحظات اكتشف ما يواريه !

بعد بضعة أيام خرج كريم من المشفى و عاد إلى المنزل ، و لم يستغرق الكثير من الوقت حتى عاد إلى ما كان عليه! فقد عاد إلى السهر و الافراط في الشراب و كأن ما حدث لم يكن ! توالت الأسابيع التالية ثقيلة فكلني متخوفاً مما هو قادم أخاف أن يمسك مكروه ! حتى أخبرتني ميس أن أزواج أختيه بإنجلترا تحدثوا إلى اخوة عدنان و بالطبع حاولوا التنصل من قتل كريم لأخيهم ، فليس لديهم دليل على أنه من قتله ! لكنهم بالطبع لم يصدقوا ! فهم يوقنون بأن كريم من فعلها . و هذا زاد تخوفي و توجس قلبي مما هو قادم ، حتى هدأت لوعتي عليكِ حبيبتي و ذلك بعدما تأكدت بأنهم أخرجوك خارج دائرة انتقامهم ! رفعوا أيديهم عن كريم بالوقت الحالي ، و ذلك بعد اتفاق بيني و بينهم !!!!

فقد نجحت بمقابلتهم ، بعد أن قام توفيق بترتيب لقاء بيني و بينهم بلبنان دون معرفة أحد ، أو هكذا اعتقدت ! فقد حرصت ألا يعلم أحدا عن هذا اللقاء أو حتى مغادرتي إلى لبنان من البداية ، و بالطبع لم يتزكني توفيق فقد صاحبي نصف عقلي بتلك الرحلة الخاطفة ، لكن كان هناك شخص آخر يعلم ! و أيضا تلاعب بإخوة عدنان و جعلهم يعدلون عن عنادهم ! لكن ما يهمني أن هذا انتهى لصالحني ! فكل ما همني و حرصت عليه هو أن يكون أمانك حبيبتي قبل أي شيء ، أن تظلي بخير خارج أي صراع هو النقطة الفاصلة التي لن أقبل بها نقاش أو مفاوضة ! فلن أقبل أن يمسك مكروه في دوامة لم ترحلي إليها بل أُجبرت على الدخول بها ، فانصب كل حديثي معهم حول ابعادك عن دائرة حنقهم و غضبهم دائرة انتقامهم تلك الدائرة المفرغة التي لن تقف عند حد ! فالانتقام لا يصل بأحد إلى أي مكان هو فقط أن تقف وسط اللا شيء أن تغرق في الفراغ ! و لن يقبل قلبي بأن تسقطي بينهم صريعة قدر ألقى بكِ وسط بحر ليس لكِ به ملاذ ! أما فيما يخص أمان كريم فهذا أمر كان له اتفاق اخر !!!!!!!!!!!!!

حوصر قلبي بهواكِ و ضاع بغيوم العشق ؛ فأبحر ببهور الغرام دون قارب
دون شرع مُعتد بفرور الأوهام ؛ فانقلب عليه نهر الغرام ؛ و أضحي غريقك
في الهوى ؛ أسير عينيكِ بسلاسل الأشواق

توالت الايام هادئة بعد صخب الفترة السابقة بكل ما حملته بين طياتها من ألم و تخوف من المجهول ، زاد توغل العشق بي و كلي ممتنا لهواك مستبشرا بعينيك ، أراك على فترات متقطعة قد تخلو كافة لقائنا الخاطفة من الحديث ! و الذي قد يكون متعمداً منك ، إلا أن رؤيتك كل ليلة تلصصاً من غرفة المكتب تُهدأ لوعتي و تُزيح الكثير عن قلبي ، كل شيء يسري حسبما أريد ، أحوال كريم المادية تزداد كل يوم سوء ، زادت خسارته على طاولات القمار زادت عثراته مع المقاولين و المورددين و التي قد يكون لي بعض الشأن بها ! زادت تقلبات مهندسيه ضده ! حتى أن بعضهم قد انسحب من مكتبه الهندسي لسوء ادارته ، حاول اقحام نفسه ببعض الاعمال الاخرى و بعض المناقصات الهندسية التي لا يعلم عنها شيء ! مما زاد من سوء أوضاعه ؛ أتى إلى مكنتي و سألتني أن أعطيه الدفعة الثانية من أموال الاتفاق المستحق بيننا قبل موعدها المتفق عليه ! و رغم أنني أعلم أنه يريدني ليغطي بها خسارته بطاولات القمار! إلا أنني أعطيته و بالطبع وقع الأوراق التي تفيد استلامه لتلك الاموال مني بغرض الاسراع بتسليم العنابر الثلاثة و التي لم يبدأ حتى بالأول منهم ! فحقيقة كنت أعتقد أن افساد أموره سيتطلب مني مجهود إلا أنه يقوم بالعمل الشاق وحده ! فأعلم أنه جيد بإفساد أموره لكن صدقا لم أعتقد أنه بارع إلى هذا الحد بتدمير كل شيء ! لكن العقبة الوحيدة بالنسبة لي كانت الوقت ! و بالرغم من انفلات عقلي و قلبي بهواك إلا أن توفيق كان يسيطر على هذا الجانب مني قدر الإمكان ، فدائماً يُذكرني بأن كل شيء يجب أن يأخذ مسار طبيعي حتى لا يشك أحدا بشيء ! حتى تلك الليلة لم أراك بالصباح كعادتك مُعذبتني ! و حين عُدت من العمل و جلسنا جميعاً إلى المائدة سألت أمي لي لي عنك ! تحديداً عن صحتك ! حينها تساءلت سحر عن ما بك ؟ فأجبت لي لي بأنك سقطي و تورم وجهك ! حينها ألني قلبي و انسحبت من العشاء متعللاً بأنني أكلت مسبقاً ، حتى لا تُلح أمي بتناول الطعام . دلفت إلى حجرة المكتب و كلي معلق بشرفتك يغزوني القلق لأجلك فأمسكت هاتفني حاولت الاتصال بك لكن هاتفك كان مغلق ، حاولت مرارا و تكرارا و بكل مرة تكون الاجابة واحدة هاتفك مغلق فبدأ يسري بقلبي الشك و يزداد القلق به ، توجست بي الأفكار فهاتفت ميس أتساءل عنك فأجابتنني بأنها لا تعلم سوى أنك سقطي و هي لم تراك ، ركض بي جنون عقلي بالذهاب إلى لي لي و السؤال عنك و بعد أن هممت للخروج و سؤاها عدت و تمسكت ببعض من عقل يغادرني خوفا عليك ، و بعد بضع ساعات مضت ثقيلة و أنا أنتظر بالنافذة لعلني أراك لكنني لم أظفر بطيفك ! فراد توجس قلبي خوفاً ، و بعد منتصف الليل بقليل و بعد أن خلد الجميع إلى النوم و لازلت أنتظر بالنافذة ! و لازلت عني تمتنعين ! قرر قلبي أن تعتريه نوبة جنون لعله يحظى برؤياك و الاطمئنان عليك !

قادي شوقي إليك ، قادي إلى بابك ! فوجدتني أدق بابك بعد منتصف الليل ! مجنون ! أعلم لكن ما بيدي و الشوق إليك يُعميني ! فما عُدت أرى أو أسمع و ما غيرك بالكون يعينني !

وقفت أمام بابك يتهمني كل ما بي بالجنون ، فوضعت اصبعي على الجرس و رفعتنه مرتين توقفت لحظة ! فخاطبني لسان حالي و عن تخطي الجنون في عشقك يُحاكيني ! فاستمعت له و التفت مغادرا ! فأوقفني قلبي و هو يُخاطبني عن شوقا إليك يُؤلم صدري و يكونيني ! فعدت و التفت إلى بابك و دققت الجرس ! و خاطبتهما قائلا : جنون العقل أحتمله أم جنون قلبي فيكوييني ! و بعد أن انتظرت دقائق ولازلت أدق الجرس جاءني صوتك من خلف الباب ليُحييني

: من بالباب ؟

فانتفض موضع خفقايني مع همساتك

: هذا أنا حبيبتني !

: ياسين !

: نعم ياسين ، من يموت شوقا و اشتياقا و خوفاً عليك !

فاستندت بكفائي إلى الباب و شعرت بكفائك تلاصق رحاي من خلف الباب

: أجننت ؟ ماذا تفعل هنا الان ؟ فكريم ليس هنا !

فابتسمت

: يبدو أن الجميع يعلم بجنوني الليلة إلا أنا !

صمت لكن أنفاسك وصلتني من خلف الباب الواقف بيننا

: أعلم أنه ليس هنا ، و أوقن أنه لن يأتي الان .

كسرت صمتك بصوت متقطع بدا لي باكيا

: ماذا تريد الان ؟

: فقط أن أراك ، أخبرتني لي لي أنك سقطي يريد قلبي أن يطمئن عليك !

فحاول صوتك اسكات دمك

: الحمد لله أنا بخير .

فابتسمت و لازالت رحاي معلقة ببابك

: هذا كل ما أرغبه أن تكوني دائما بخير !

: هلا ترحل الآن ؟ أرجوك لأجلي ياسين ارحل !

: ألا يمكنني أن أرتوي بنظرة واحدة إليك كي يهدأ قلبي ! فلو تعلمي أنه سيُجن خوفاً عليكِ و لا يمكنني منعه حببتي !

صمت لحظة ثم عاد يغزوني صوتك الباكي

: ارحل ياسين أرجوك !

: نظرة واحدة فقط حتى أستطيع السكنة و النوم !

: صدقني أنت لا ترغب بتلك النظرة على الأقل ليس الليلة !

فتراجعت خطوة للخلف و قد طار جنون خوفي عليكِ بصدري

: اذن لن أرحل ايما !

: ياسين ، أرجوك —

: لن أرحل سأظل ببابك حتى أراك ، أو يأتي هو ! فحقاً لم أعد أكثرث ، أو تعلمي شيئاً أقسم أنك إن لم تفتحي الان

أنا هو من سيخبره بكل هذا العشق بيننا !

: أخبرتك سابقاً أنك مجنون ، كنت مُحطئة ، فأنت هو الجنون بحد ذاته !

فعدت و تشبثت يداي ببابك

: أقسم لكِ حبيبتي أنني في عشقك أتشبث بكل ذرة في عقلي ! فإن انفلت مني عقد صبري و تعقلي معك و في هواك

قد أقتل كلانا !

لم تنفوهي بشيء ، فصمت لحظات ثم عُدت و استرسلت لكِ و أن أقبض بكفي على بابك ، و أسند جبهتي إليه هذا

الذي يحول بين قلبي و بين عينيكِ

: افتحي حبيبي ، كل ما يريد قلبه أن يراك ! لماذا تفعل هذا بي ؟ يُغادرنى قلبى لأجلك سيُجن خوفاً عليك ، كل ما أريده أن أطمئن عليكِ ترفقي بي مُعذبتى فقلبي يؤلمني حبيبتى !

: لا أريدك أن تراني هكذا !

: حبيبتى هذا يُزيد من قلق قلبى عليكِ ! غير أنى أُحبك و لا أكثرث لكيف تبدين ؟ فأنتِ محفورة بقلبي أجمل نساء الكون ، ايما أرجوكِ حبيبتى لا تفعلني هذا بي !

و بعد لحظات بدت لي دهرا تتسلل فيها اليأس إلى صدري ، و بعد أن بدأت أفقد الأمل بأني سأحظى برؤياك فأعلم كم أنتِ عنيدة ، سمعت قفل الباب يُدار ، كاد قلبي يُغادرنى فرحاً لأنى سأنعم بلحظات يطمئن فيها قلبي الملتاع عليكِ . حين فُتح الباب كنتِ تتوارين خلفه أطللتِ بنصف وجهك فقط ! و أسدلتِ شعرك على نصفه الاخر ! غير أنكِ تواريتِ بجانبك خلف الباب الموارب ! حين تلاقت عيني و عينك ابتسمت لي ابتسامة قلبك الصافي و أنتِ تمسحين عن عينك الدموع

: ايما ! حبيبتى .

زادت بسمتك و أنتِ تمسكين الباب بيدك و تتوارين خلفه

: أنتِ مجنون ، و يجب أن تتوقف عن هذا الجنون ، أخبرني أنكِ تتعاطى شيئاً !

: بالطبع أتعاطكِ أنتِ مُعذبتى !

: ياسين .. لا بد لهذا أن ينتهي ! يجب أن نتوقف عن هذا !

قلتيها و أنتِ تهزين رأسك بعفوية ، و حينها تحركت خصلات شعرك التي توارين بها نصف وجهك عني ، و لمحت ما تحاولين أن تُداريه عني فتنهدت بألم اجتاح صدري ، فوجدتني أمد يدي إليكِ و أرفع عن عينيكِ و وجهك شعركِ المتدلي عليها ، مددتِ يدك لتمنعيني ! فنظرت إليكِ بنظرة صارمة أن تتركِ يدي ، فأمسكتِ يدي بقوة و عينيكِ عادت تطفو بها الدموع من جديد

: ياسين .. أرجوكِ لا تفعل !

فزاد فضولي أن أرى ما تواربه عني ؟ و لماذا ؟ فرفعت عن وجهك كل خصلاتك حينها اقتلعتني الدهشة و الألم لما وجدت وجهك عليه ! فقد كان لونه أزرق و متورم بشكل كبير ، و عينك تكاد تكون مغلقة من شدة تورمه ، و شعرت بكِ الألم حين لمست أصابعي جبينك ، فسألتك و قلبي يكاد ينشق عن صدري

: ماذا حدث ؟ ما الذي فعل بكِ هذا ؟

أغمضتِ عينيكِ و أنتِ تعودين للخلف بظهرك حتى استندتِ بظهرك للحائط

: لا شيء ، فقط سقط !

فعاودت النظر بوجهك و التأمل به و لا أعلم لما لم أصدقك ! فلم أصدق أن كل هذا التورم كل هذا الذي بوجهك كل هذا الألم و الوجع فقط مجرد أنكِ سقطتِ

: كيف سقطتِ ايما ؟

: فقط سقط ، سقط ياسين !

: هو من فعل بكِ هذا ؟

: كلا .. أنا من فعل هذا بي ! أنا فقط سقطت ليس أكثر !

حينها زاد غضبي ، فكل ما بداخلي ينبني أنكِ تكذبين و أنني محق

: اذن أخبريني كيف وقعتِ ايما ؟

: كنت نائمة ، و ذهبت لأشرب فتعثرت و سقطت على وجهي !

فابتسمت بسخرية و أنا أمسك بذقنك و أرفع وجهك لأعلى

: أخبرتك من قبل أنكِ كاذبة سيئة أليس كذلك أضيفي إليها أنكِ أنتِ هي الأسوأ على الإطلاق حبيبتي !

: لقد وقعت —

و قبل أن تكلمي رفعت عينيكِ إليا فأعلم أنكِ لن تكذبي و أنتِ تنظرين بعيني

: حسنا لنرى الان ، انظري بعيني حبيبتي و أخبريني أنكِ وقعتِ !

حينها غمرت الدموع عينيك و تعالت شهقاتك و ارتقيتِ بين ذراعي ، و تلك كانت المرة الأولى التي تندسين فيها بأحضانني! كنت تبكين من الخوف و الألم ، كنت أشعر بقلبك و هو ينتفض بين ضلوعي ! شعرت بكِ تحببتين داخلي ، طوقتك بذراعي بقوة أذابتكِ بين ضلوعي ، و بصدري بركان غضب كم أود الان لو أقتلع رأسه ، و بعد قليل بدأت نوبة ذعرك تحبو ، سألتكِ و لازلتِ بين أضلعي

: ماذا حدث لما فعل هذا بك ؟

: لم يكن واعيا ، فقد أفرط في احتساء الخمر ، فقد زاد اسرافه بكل شيء و زادت نوبات غضبه !

فضممتكِ إلى صدري و أنا أهمس لكِ بحنق

: أنتِ مُحقة لا بد لهذا أن ينتهي !

: ياسيـ

وضعت يدي على فمكِ ، و لمست جبينك المتورم بحنو إلا أنه آلمكِ

: حين يعود أخبريه أنني أتيت إلى هنا !

: ماذا ؟ ماذا تقول يا ياسين ؟

فرفعت خصلاتكِ إلى خلف أذنيكِ و أنا أغوص بعينيكِ

: افعلي ما أقوله أخبريه أنني أتيت إلى هنا و أريده غدا يأتي إلى مكتبي بالمصنع هل هذا مفهوم حبيبتني!

: ياسين .. ما الذي تنوي فعله ؟

فزادت بسمتي و أنا أداعب ذقنكِ بأصابعي

: فقط افعلي ما طلبته إليك ! اتفقنا حبيبتني !

فأومأت برأسكِ لي ايجابا و لم تقولي شيئا فبدا أنكِ غرقتِ ببحور الدهشة و الحيرة ، فعدت و ضممتكِ إلى قلبي

: أعدكِ أن كل هذا العذاب سينتهي قريباً!

ثم قبلتك في جيبك و ذهبت ، عُدت إلى غرفتي استلقيت بالفراش و كلي تائر لما فعله بك ، فيكفيني صبرا على كل هذا إلى الان ، أعتقد أن وقت التعقل قد انتهى !

باليوم التالي أتى كريم إلى المصنع ، طلبت إلى طلعت أن يجعله ينتظر بالاستقبال بعض الوقت ثم بعد أن بدأ يفقد أعصابه و يتوتر دلف إلى مكتي . كنت لا أزال منشغلا بمراجعة أحد الملفات أمامي ، فرفعت وجهي نحوه بصمت و أشرت له بالجلوس ثم عدت إلى النظر بالملف و بعد لحظات من صمتنا بادرنى هو

: ماذا يحدث يا شريك ؟ أخبرني ايما أنك سألت عني بالأمس ؟

: أجل كنت أريد التحدث إليك بموضوع هام ، لكنني لم أجدك .

فابتسم بتوتر

: موضوع هام ! أقلقني يا شريك .

فاتكأت إلى المكتب بساعدي

: إن لم أكن مخطأ بحساباتي ، فقد مر أكثر من اسبوعين بعد الموعد المتفق عليه بيننا لاستلام العنبرين الأول و الثاني !

فوضع كفه على المكتب و هو يطقق بإصبعه بتوتر

: أمهلني أسبوع واحد و مُدني ببعض المال و سأنجز كل شيء .

فابتسمت بسخرية و أنا أهم واقفا ، و ألتفت للجلوس بالكروسي المقابل له

: أعتقد أنني أمهلتك الكثير قبل الحادثة و بعدها ، أما بالنسبة للمال فقد دفعت لك بالفعل الدفعة الاولى و

ساعدتك بالحصول على القرض و أيضا أعطيتك الدفعة الثانية قبل موعدها على أمل أن أستلم ثلاث عنابر غير أنني لم

أستلم شيئا !

: ياسين أنت تعلم

فقاطعته بحزم

: ما أراه أنني أمهلت الكثير و دفعت الكثير و لم أحصل على شيء ! فالبناء متوقف بشكل تام بالفعل منذ عدة أيام ، غير أن ما تم انجازه لا يتعدى بعض أعمال الحفر و الأساسيات البسيطة بالعنبر الأول ! فلا أرى أي شيء على أرض الواقع قد يجعلني أعطيك المزيد !

فاعتدل و هو يحرك يديه بتوتر ، و العرق يطفو بتقاسيم وجهه القلق

: أخبرني المقاول أنه تأخر من المورد ، غير أنه رفع السعر أكثر من مرة ! و لا أستطيع مجابهة تلك الزيادة ! فماذا يجب أن أفعل ؟

: أعتقد أنه نمي إلى علمي أن هذا المقاول لم يستلم دفعاته من أمواله التي لديك ، حتى أن أغلب مستشاريك الهندسيين لم يحصلوا على دفعاتهم هم الاخرين !

فانتفض من مجلسه و هم واقفا و هو يتلعثم

: ماذا تقول يا شريك هذا كذب و افتراء أعطيتهم كل أموالهم ، إنها شائعات !

: و الشائعات أيضا تقول أنك خسرت الكثير من الاموال على طاولات القمار !

: هذا لم يحدث يا شريك ، هناك من يحاول تدمير صداقتنا يا ياسين

فابتسمت و أنا أهم واقف

: جيد أنها شائعات ، متى سأتسلم العنابر ؟

: دعني أعدل أموري يا شريك !

: كريم لا دخل لي بأمورك ! بيننا اتفاق و مواعيد للتسليم ! فمتى ستسلمني ؟

: لما لا تدعني أتحدث الى جدك ! لأعفيك من أي حرج أمامه !

: لن أخبرك أن لا شأن لجدي بهذا ! و لن أخبرك أن هناك مجلس ادارة للمصنع و جدي لا يحق له التدخل بشيء!
لكنني سأخبرك بأن جدي هو من ثارت ثورته لأجل هذا التأخير! و أنا من يمنعه عنك!

فعلت وجهه الدهشة و علامات التعجب الممزوجة بخيبة الأمل فبادرته

: استمع يا كريم كل يوم يتوقف فيه العمل بتلك العنابر أخسر أموال كثيرة ! فلا تنسى أن المصنع يعمل بنصف طاقته
لأجل تلك التوسعات ، و أنا أيضا لدي التزامات يجب أن أوفي بها ! فلما لا تلتزم بجانبك كما التزمت أنا ! فلا أتذكر
أنني قصرت بشيء معك يا شريك ! فذكريني إن كنت قصرت بشيء!

فانتبه من شروده ، و أجبني بتلغثم

: كلا ، لكن يا ياسيـ

: اذن فلنلتزم بما يخصك من الاتفاق ؛ و لا تنسى بأن هناك شروط جزائية إن أخل أحدنا بالعقود ! هل أنا واضح لك
... يا شريك !

فتقدم خطوة نحوي و هو يشير بيده فتخطيته إلى مكثي

: ياسين -

وقبل أن يكمل رفعت سماعة الهاتف و طلبت من طلعت أن يأتي إلى مكثي ثم رفعت وجهي نحوه

: أعتقد أن تلك المقابلة قد انتهت ، سأنتظر أن أستلم العنبر الأول بنهاية هذا الأسبوع ، و أكون بذلك فعلت أكثر
مما يمكن فعله معك ! و لا تلم بعدها سوى نفسك هل أنا واضح بما فيه الكفاية لك !

: هذا لا يمكن ياسين .. نهاية الاسبوع ! هذا مستحيل ياسيـ

: انتهى الحديث !

ثم وجهت نظري نحو طلعت الذي دلف لحظتها و بنبرة أكثر غضب و حدة

: أوصل كريم بك الى سيارته !

فرمقني بنظرة غاضبة ، تمنى لو هدم المكتب فوق رأسي ، إلا أنه غادر و كل ما به يشتعل غضباً ، حتى أنه دفع طلعت
من أمامه أثناء مروره بالباب !

و كما توقعت فإنه غادر مكنتي متوجها إلى جدي ! ليتحدث معه و يطلب إليه تأجيل الاستلام متعلل بما مر به من عثرات صحية و بعض العثرات المادية ، لكن جدي أخبره أن لا شأن له بالعمل فأنا هو المسؤول عن كل شيء و ليس له حق التدخل لكنه سيحاول التحدث معي ، لكن لم يعطيه وعدا بشيء ! و في نفس الوقت طالبه بتسديد جانبه من الاتفاق ، غير أنه أخبره بشكل غير مباشر أنني كنت متساهلا معه لأقصى درجة ، و أن هذا يُعد خطأ في ادارة العمل ! و هذا قد صدم كريم كثيراً ، فكان رد فعل جدي صادم له تماما كما حرصت أن يكون ! فصدقا لم يكن هذا رد فعل جدي حين تحدثنا بصباح ذلك اليوم فجدي كان لازال متأملاً فيه خيرا ! حتى أنه طلب إيليا التمهل و اعطائه فرصة أخرى ، لكنني حرصت أن يُغير جدي وجهة نظره تلك حين أخبرته أن عثراته المادية التي يتحدث عنها بسبب خسارته على طاولات القمار ! حينها اختلفت نظرة جدي لكل شيء و أصر هو على انتهاء تلك الحماقة كما وصفها ، حتى أنه لام نفسه كثيراً لأنه توقع من كريم أن ينجح بهذا ، فقد خابت توقعاته بأن يعيد بناء نفسه و ملمة خيباته المتتالية و بداية حياة أفضل !

ذهب كريم إلى البنك محاولا الحصول على قرض آخر ، إلا أنهم رفضوا لأنه لم يقيم بتسديد القرض الأول حتى أنه تأخر عن دفع الأقساط الأولى له ، قام بالعديد من المحاولات معهم إلا أنني أيضا قمت بمكالمة هاتفية لهم و أخبرتهم أنه لا يملك تسديد القرض الأول و ليس لديه ما يقدمه للقرض الثاني ! و لديه الكثير من الأزمات المالية لذلك رفضوا اعطائه القرض و طالبوه بتسديد القرض الأول أو سيستولي البنك على الأرض و بيعها بالمزاد العلني ، و ان لم توفي السداد سيلجئون إلى المحكمة لكنه لم يهتم كثيرا لتهديدات البنك فلا شيء باسمه !

أخبرتني ميس أنه حاول الاقتراض من أخته و أمه إلا أن أزواجهم رفضوا التدخل بأي من مشاكله ، خاصة أن الأمر تخطى العقود التي بيننا أو الشرط الجزائي بها فأصبحت تلك أقل مشكلاته ! بعد أن طالبه مهندسيه بمستحقاقهم التي لم يحصلوا عليها و أيضا المقاولين التي تعاقدهم معهم ، غير ظهور بعض الشيكات التي يدين بها على طاولات القمار ، و هدد الجميع باللجوء إلى النيابة للحصول على أموالهم ؛ حينها زادت أزماته و كثرت الأبواب المفتوحة ضده ! و قد حرصت ألا تُغلق تلك الأبواب رغم محاولاته المستميتة للخروج من أزماته ، أو حتى تأجيل بعضها ببعض الوعود التي لم يعد يمتلك غيرها ! حتى أن يأسه دفعه بالذهاب إلى توفيق و طلب منه شراء حصتك بالمرزعة ، فوافق توفيق لكنه عرض سعر أقل من قيمة حصتك إلا أنه وافق و قام ببيع مقر مكتبه الهندسي ، لكن المبلغ الذي جمعه لم يكفي سوى لتسديد أحد الشيكات التي وقعها على طاولات القمار !

نستيقظ بكل يوم و لا نعلم تحديدا ما يجنبه لنا القدر ، و إن كان بكل يوم نحيا هناك دائما ترتيب جديد و خطة جديدة قد أعتها لنا ، هناك ما نجعله و لا نعلم عنه و الأسوأ من جهلك به أنك لا تعلم إن كانت تلاعبات القدر بك هي لصالحك أم أنها ضدك ، فحين يُفاجئك بأشياء لا تعرفها فلا يمكنك الجزم إن كانت معك أو ضدك ، فكما فاجئني بكِ و ألقى بكِ في طريقي كان لازال بجعبته بعض المفاجآت المدوية لأجلي !

فبعد ليلة صاحبة بيني و بين سحر تشاجرنا بما لإصراري رفض زواج أخيها بلي لي ، استيقظت مؤرق منها و من اشتياقي إليك ، حين أفقت من نومي لم تكن بالغرفة ذهبت الى الحمام كي أغتسل ، فكم كنت محتاج إلى حمام بارد كي يعيد ايليا قليلا من عقلي الذي أفقده بينك و بينها و بين العمل و العائلة !

أنهيت حمامي ، و لأنني كنت شاردا بكِ و عقلي غارق بما هو قادم مع كريم لتنفك عنك قبضته ! حين التقطت المنشفة سقطت من يدي فابتلت تلفت حولي لم أجد غيرها ! فاتجهت إلى خزانة المناشف الموجودة بالحمام و انتزعت واحدة غيرها ، فسقطت أكثر من واحدة على الارض و حين هممت لالتقاطهم سقط من إحداهما شيئا ! فوضعتهم إلى الرف و انخبت لألتقط ما سقط ، و كانت تلك صاعقتي التي أعتها لي قدرتي ! و حينها فقدت صوابي و كل قدرة لي على التمهل أخذت ما وجدته ، و ارتديت ما طالته يداي من خزانة الملابس ، و ركضت خارج الحجرة كنت أصرخ بأرجاء القصر الذي اهتز كل ما به من فرط غضبي ، فانتفضت أُمي مسرعة على صرخاتي و دخلت عمتي من الحديقة ، كان جدي يجلس ببهو القصر و لي لي و أنتِ ! إلا أنني لم أراك حينها ! فكنت تلك اللحظة لا أرى و لا أسمع سوى صفة قدرتي لي ! فانتفض الجميع من مجلسه على صراخي

: سحر ، سحر

فقابلتني أُمي أولا كانت تقف أمام السلم و قد وصلت آخر درجاته

: ماذا بك ؟ ماذا حدث ياسين ؟ لما تصرخ هكذا ؟

: أين هي ؟

فتساءلت أُمي

: سحر ؟

: أين هي ؟

: بالحديقة ، ما الذي حدث ؟ ماذا فعلت ؟

لم أجبها و قبل أن أتجه نحو الحديقة ، و بينما جدي يسألني بدهشة

: ماذا حدث ؟ لما تصرخ هكذا ؟ ما الذي فعلته ؟

دخلت هي منزعجة على صوت صياحي و بينما كانت تتقدم نحوي

: ما بك ؟ لما تصرخ هكذا ؟

و حين وقفت أمامي ، لم أشعر بذاتي إلا و أنا أصفعها على وجهها بقوة طرحتها أرضا ، فسقطت تحت قدم جدي ، و سألت الدماء من فمها و أنفها ، فسكن الجميع من الصدمة حتى أنك انتفضت من المفاجأة ! و اندفعت نحوي عمتي لتقف أمامي و تمنعني عنها ، و صرخت بي أمي و هي تنحني عليها

: أجننت ماذا تفعل ؟

جدي لم ينطق حرفا واحدا ، فقد اقتلعتة الدهشة و أخرسته فتلك مرتي الاولى التي أفعلاها و تمتد يدي إليها ، فبالرغم من كل حماقاتها و ما تفعله بي إلا أنني لم أضربها سابقاً فصرخت عمتي بوجهي

: ما هذا يا ياسين ؟ هل فقدت عقلك ؟

أم أنت و لي لي فلم تحرك أي منكما ساكنا ، و هي فقدت كانت تنظر إيليا بعينين مدهوشتين و الدماء تسيل منها و أمي تمسحها عنها فألقيت بما وجدته بالخزانة بوجهها و أنا أصرخ بها

: هلا تُخبريني ما هذا ؟

فانحنت عمتي و أخذته و حين نظرت إليه صمتت ، فانحيت إليها و انتزعتها من يد أمي و أمسكتها من شعرها بحنق كدت أقتلع رأسها به

: هلا تخبريني يا سليلة العائلة العريقة ما هذا ؟

فصرخ جدي بوجه عمتي

: ما هذا ؟

فلم تجب عمتي فأعاد السؤال بغضب فأجابته بتلعثم

: إنه دواء يا أبي !

فسألته أُمي بعد أن همت واقفة لترى ما بيد عمتي

: لما فعلتي هذا ؟

فجُن جدي و صاح في غضب

: حقا أنت مجنون ، أتضربها لأجل دواء !

فابتسمت بحنق ملاً صدري ، و جذبت شعرها بقوة فتأوهت

: فلتخبري جدك لأي غرض هذا الدواء !

فصمتت و هي تُجهش بالبكاء فعدت و صرخت بوجهها

: هيا أخبريه يا ابنة الحسب و النسب ! أخبريه لأي غرض هو ؟

فصرخ جدي بالجميع

: ما هذا الدواء ؟ فليخبرني أحد ماذا يفعل هذا الدواء !

فأجابته عمتي

: إنه دواء لمنع حدوث الحمل يا أبي !

سقط جدي بمقعده دون أن يتفوه بشيء ، و كأن الصدمة كانت أكبر من احتمالها هو الاخر! فسألته و الجنون يكاد

يخرج من أحداقي

: منذ متى ؟ منذ متى و أنتِ تحدييني ؟

فصرخت بألم ، و هي تجهش بالبكاء

: منذ تزوجنا .

حينها فقدت كل قدرة لي على التمسك بعقلي فزاد جنوني ، و أخذت أدفع رأسها بالأرض دون وعي مني ! حاولت أمي و عمتي انتزاعها من يدي ، لكن لم يستطع أحد أم جدي فلم يُحرك ساكناً ، فنزلت أرضاً و أمسكت بي من ذراعي بقوة و أنتِ تصرخين بي

: اتركها ياسين .. ستقتلها .. اتركها ارجوك .

إلا أنني لم أتركها فكنت كالمغيب ، و لم يستردني من جنوني ، إلا حين صرخت فيّ بقوة و أنتِ تدفعيني بعيداً عنها و تحولي بينها و بيني

: اتركها ياسين .. اتركها لأجلي .. اتركها ستموت بيدك !

فتركتها ضممتها إلى صدرك ، و أنتِ تمسحين الدم عن وجهها ، جلست مكاني أرضاً وضعت رأسي بين كفاي و شعرت بأن كلي قد سقط مني فكانت تلك الصفحة أقوى من كل ما سبقها ، شعرت بغصة بقلبي ، فنزلت أمي و لي لي قربي ، فوضعت أمي يدها على كتفي و الحزن قد ملئها ، كم تمنيت تلك اللحظة أن أرتمي بين ذراعيها و أفرط في البكاء و لا أتوقف حتى يغشى علياً بأحضانها ، إلا أن كبريائي منعني من فعلها ! عم الصمت بضع دقائق ثقيلة تأتي المضي فسكن كل شيء بالقصر حتى أوراق الشجر كفت عن الحركة و هدأت الأغصان عن الحياة ، و تحول المكان إلى قبر ليس به سوى صمت يتلوه صمت ، بعدها حاولت ملمة ذاتي حاولت تمالك نفسي ، و حين هممت للنهوض شعرت بأني لا أستطيع ! فاتكأت إلى ساعد الكرسي حتى استطعت الوقوف ، كان جدي ينظر ايليا و بعينه حسرة شعرت بها في نظراته و أنفاسه ! فهو من أصر على تلك الزيجة من البداية رغم رفضي لها ! إلا أنه أصر على زوجي منها ، و قفت على قدمي كان الجميع ينظر ايليا و كنت أنظر إليها ، ثم ناديتها

: سحر

فرفعت وجهها نحوي ، و لازالت تبكي بأحضانك ، و كانت مغطاة بالدماء ، ثم رفعت عينيك نحوي ، و بعد أن ارتحلت عيني بينك و بينها ! نطقت بكلمتين فقط ! انتفض لهما الجميع و أنتِ أولهم ، و أوقفوا جدي في مجلسه

: أنتِ طالق

و قبل أن أُلقي يميني الثاني

: أنتِ طالق

زاد انزعاجي جدي و جال غضبه و هو يصيح بي

: ياسين .. و لا حرف اخر !

فنظرت إليه ثم عاودت النظر إيلها

: أنتِ طالق

و قبل الثالثة صرخ جدي و هو يدب بعصاه الأرض

: أقسم بمن رمى حبك دون الكون بقلبي إن تفوهت بحرف آخر فلن يقتلع رأسك قبل رأسها غيري !

فنظرت له و كأنني لا أراه ! عاودت النظر إيلها و قبل أن أنطق حرف اخر و لازالت أنوي الثالثة ، لم يكن لدي نية بالتراجع عما عقدت عزمي لحظتها عن فعله ، و تصحيح خطأ طال أمده ! فدق بعصاه الأرض ثانية لكن تلك المرة بغضب أكبر و قد قرأها بعيني فهو يعلمني خير من نفسي ! و صرخ بحزم و عينين أعرفهما جيدا و هو يتقدم نحوي وقف أمامي و صرخ فيّ

: اياك أن تفعلها ، اياك يا ياسين أن تجرؤ و تتحداني !

فهتمت أمي بوضع يدها على فمي ، و عيناها ترجوني ألا أنطق بشيء ، و جذبتني عمتي من ذراعي و هي تدفعني بعيدا عنه ، فانزعمت سترتي و قبل أن ألتف خارجا وقفت هي على قدماء و كانت قبالة جدي فنظرت له و هي تجهش بالبكاء و بقايا الدم على وجهها فأدار وجهه عنها لكنها نادته بصوت باكي

: جدي أنا —

و قبل أن تكمل صفعها على جبينها الثاني فارقت على الأريكة فأمسكت به لي لي ، فصرخ بوجهها

: تلك غلطتي أنا ! فأنا من أجبره زواجك ، و قد فعلتي فعلتك دون اعتبار لي ، أنا هو من أهنته بتصرفاتك ، و كما أجبرته زواجك سابقاً سأجبره أن يُعيدك مرة أخرى لأنه أحمق يعتقد أن طلاقك عقاب كافٍ لكِ كلاً فالعقاب الذي تستحقينه أنه كما أجبرته عليكِ سأزوجه غيرك ! فأنا من سيأتي له بأخرى ، و ستظلين زوجته هذا هو ما تستحقينه ! حينها تعلقت عيني بك ، ثم خرجت و تركت الجميع خلفي .

غادرت البيت و كلي يحتدم بالصراع ، تتقاذفي الأفكار يكاد عقلي يغادرني من هول صدمتي، طُفت بسيارتي لساعات على غير هدى لا أعلم أين أذهب و ماذا أفعل فكلي مشنت ، لم يلتقطني من دواماتي سوى عينيك ، فوجدتني أعود بالسيارة مرة أخرى إلى البيت ، لكنني لم أصل إليه فقط وقفت بالسيارة بالشارع الخلفي للقصر و اتصلت بكِ على هاتفك ، فأجبتني بالمرّة الأولى

: ياسين . هل أنت بخير ؟

: أريد أن أراكِ الان ايما !

: لا يمكنني يا ياسين

حينها صرخت بكِ دون أن أفكر

: الان ايما ، فأقسم لكِ أن كل ما رأيتِ أو سمعتِ عن سيناتي ليس بحرف في كتاب ! فأنتِ لم تدقي الباب بعد ! فلا تختبري صبري الليلة لأنني أفرغته حتى آخر قطرة !

: ياسين

: خمس دقائق أنتظرك بالشارع خلف القصر ، و أقسم بمن ألقاني بعشقتك إن لم تأتي سأتيكِ أنا الان و أمام الجميع ، و كم أسأل الله الليلة أن تثبتِ على عنادك حبيبي و لا تأتي !

ثم أغلقت الهاتف و لم أنتظر رد ، و كان كلي يثور بي حتى أنني أخذت أرفع مؤخرة رأسي بالكرسي خلفي ، فكانت تهبج بصدري رياح الحنق و الغضب من كلاكما ، حتى أنني أقسمت إن لم تأتي أن آتيكِ أمام الجميع فحينها كان غضبي يُععبني عن كل شيء ، فتوغل بي السخط على كل شيء ! و ما أوقفني سوى أنكِ أتيتي !

حين رأيتكِ تقتربي من بعيد سكنت روعي و هدأت عواصفي كلما تقدمتِ نحوي ، كنتِ متوترة و تلتفتين عن يمينك و يساركِ حتى وصلتِ إلى السيارة ، وقفتِ أمام الباب فنظرت إليكِ و لم أتفوه بشيء و بعد لحظات من تردد دلفتِ إلى السيارة ، جلستِ لحظات صامتة و قبل أن تقولي شيء أدت محرك السيارة

: ماذا تفعل يا ياسين ؟

لم أجيب فاسترسلتِ بقلق و تخبط و أنتِ تنقلين عينكِ بيني و بين الطريق خلفنا

: ماذا تفعل يا ياسين ؟ إلى أين نحن ذاهبون ؟

لم أجب و زدت من السرعة حينها صحت في بخوف ملاً صوتك....

: ماذا تفعل إن عاد كريم الان -

: لا تقلقي هو لن يعود الليلة

صمت لحظة ثم ابتسمت بسخرية أغضبتك.....

: لديه الليلة من هي أهم منك ! لا تخبريني أن صورهم لم تصلك بعد! فقد أرسلتها بنفسي !

فأغمضت عينيك و الغضب المكظوم يملك.....

: أريد العودة الان !

: ستعودين حين أريدك أن تعودني !

فسكنت و لم تتفوهي بكلمة و ظللت مطرقة طوال الدقائق التالية و عينيك معلقة بالطريق و لكنها لا ترى شيء ، حتى دخلنا بالسيارة إلى موقف السيارات بأحد البنائيات ، حينها عادت و اعتلتك الدهشة لكنك لم تتفوهي شيء حتى أوقفت السيارة و طلبت إليك النزول ، لكنك لم تُجبي و حين أعدتها عليك رفضت النزول و طلبت إيليا أن أعيدك إلى الفيلا مرة أخرى فخرجت أولاً ثم اتجهت إلى بابك و فتحتة و بنبرة قاطعة و نظرة غاضبة

: الان !

و بعد نظرة طالت بيننا من خوفك و من غضبي ! خرجت دلفنا إلى المصعد و كان كل ما بك ينتفض ، وقفت خلفي لم ألتفت إليك ، خرجت من المصعد و أشرت إليك بالخروج ، بالبداية وقفت مكانك لا تتحركي ، لكن بعد نظرة صارمة مني خرجت تبعت خطاي بالممر ، إلى أن وصلنا إلى باب شقة بأخر الممر ، أخرجت المفاتيح و فتحت الباب ثم أشرت إليك أن تدخلني ، لكنك تسمرت مكانك شبكتي ذراعيك و أنت تنظرين أرضا و أحسست برجفة تعتيك ، فتراجعت عنك خطوة حتى أصبحت خلفك و ملت إلى أذنك.....

: الآن حبيبي ، لا يجب أن يخرج أحدا و يرانا هكذا !

لكنك ظللت مطرقة فأعدتها بحزم.....

: الان .. ايما !

فانتفضت ، ثم دلفت إلى الشقة كنتِ ترتجفين و كلك غارق ببحر من الخوف و القلق ! و تسحين أكمامك حتى اندثرت أصابعك داخلها ، كنتِ تحاولين السيطرة على توترك الواضح ؛ فتجاهلت خوفك ! و دلفت خلفك أغلقت الباب ثم تقدمت خطوات حتى وصلت الى الاستقبال ، و بعد توقفك لحظات استسلمت و تبعني بخطوات مترنحة خطوات مترددة و قد وضعتي يديك بجيبك و عينيك تائهة بكل ركن و زاوية ، فتقدمت و جلست إلى الأريكة و أنا أنظر إليك و لازلت على حالة التيه التي تجتاحك ! جلست صامتة أخرجت علبة السجائر و أشعلت واحدة ، فتقدمت نحووي و جلستني إلى الكرسي المقابل إيليا و بعد صمت طال بيننا

: ما الذي يحدث يا ياسين ؟

نظرت إليك لكنني لم أجيبك بشيء ، فسألتني

: هل أنت بخير ؟

لم أجيب بشيء فقط أملت رأسي بحيرة ، فحقاً لم أكن أعلم هل أنا بخير أم لا

: بعد مغادرتك تعالت الأصوات بالقصر ، وأخبرتني لي لي أن هناك عاصفة قادمة !

فوقفت و قد زاد الضيق بصدري

: لا أريد الحديث عن هذا الأمر !

: آسفة لم أقصد ، على كل حال كما تشاء .

و بعد أن صمتي لحظة عُدتي و سألتني بتلعثم

: لما أتينا إلى هنا ؟

فنظرت إليك و أنا أنحني لأطفئ بقايا سيجارتي ، و أنتِ تهمين واقفة

: لأنني أريد أن أكون معك دون أن أتخلص ! فقد تعبت من سرقة لحظاتي بقربك ، و تعبت أكثر من كل هذا الوضع

! فلم أعد أحتمل أن أراك معه !

: أخبرتك سابقاً أنك لن تحتمل !

: و أخبرتك أنني أحتمل ، لكن أعتقد أنه يكفي كاللنا احتمال إلى هذا الحد! فلسنا من حديد ! حتى أن الحديد إن أكثر من الضغط عليه يلين ! و تأجج نار الغيرة بصدري تكفي ليلين لها الصخر فرفعت كفيك في الهواء مستسلمة

: ماذا تريدني أن أفعل ؟

: حين يعود أخبريه أنك تريدني الانفصال عنه !

فتخطيتني ، و قد زاد قلقك

: الأمر ليس بتلك البساطة ياسين

: لما لا أنت لا تريديه ! فقد أرغمتك زواجه و يخونك ! و بينه و بين القضبان خطوة واحدة و هذا حقلك بأن تنفصلي عنه !

: لا يمكنني -

و قبل أن تكملني شيء جذبتك من ذراعك نحوي بغضب....

: أتجيبني أم لا ؟ تريدينني أم لا ؟ أجيبني إيما !

فصرخت بدموعك

: أحبك ، أقسم أنني لم أحب يوماً سواك .

: و أنا لم أعشق امرأة غيرك ، و لم أعد أحتمل أكثر حين يعود تطليبي الانفصال عنه .

: لا أستطيع ! لا يمكنني ! ياسين أنت لا تفهم

فصحت فيك بغضب

: لقد اكتفيت ! لا أريد أن أفهم سوى شيء واحد فقط لما تخشينه إلى هذا الحد ؟ لما كل هذا الرعب يملك منه ؟

صمت لم تجيبني بشيء ، فدفعتك إلى الأريكة خلفك ، و انحنيت نحوك

: أخبريني إيما لما تخافيه ؟

: أنا أخشى عليك ، إن علم كريم أنني أحبك !

ثم صمت و قد فاض الدمع بعينيك ، فبادرتك بما اهترت له أوصالك.....

: تخافي أن يقتلني كما قتل عدنان !

فتعلقت عينيك بي ، و قد حاصرهم أمواج الدهشة و الحيرة ، و غزتهم أسئلة كثيرة لم تُسأل ، طاف بنا الصمت دقائق ، ثم كسرتيه بنبرة متخوفة

: أنت تعلم ؟

فجلست إلى الأريكة قريب و أنا أهنر رأسي بضيق ، فوضعت يدك على كتفي

: ياسين ، أنا أحبك و لن أحتمل أن يمكسك مكروه ، لن يتركك كريم إن عد

فصحت فيك

: لما لا تحاولي فتح عينيك ! كريم انتهى ! لم يعد يستطيع أن يفعل شيء ! فهو عاجز عن انقاذ نفسه ، فكيف له أن يمسيني بمكروه !

ثم هممت واقفا و بنبرة حادة

: الليلة ستطلبين الانفصال عنه !

فوقفت خلفي و أنت تحاولين تهدئة حدي

: ياسين -

فصرخت في وجهك بغضب و دفعتك إلى الحائط خلفك و ضربت الحائط من حولك

: ايما تقدمي خطوة واحدة كي أعلم أنك تريدني كما أريدك ، أنا أقدم كل الخطوات كي أصل إليك و لا أريد منك سوى خطوة واحدة ، افعلي شيئاً واحد يقول أنك تحبيني فقط شيئاً واحد ألا أستحق منك بعد كل هذا العشق بعد كل هذا الجحيم خطوة واحدة لأعلم أنك تتمسكين بي ، و أنني لا أطارد سراب وحدي أنني لا أطبق كفي على الماء ! لما لا تثورين ضده كما تثورين ضدي ؟ فبعد كل ما أعانيه منك و لأجلك الا أستحقها ؟ أنت لا تعين كم أحتاج منك تلك الدفعة إنني أهت أنفاسي الأخيرة فلا تتركي يدي تشبني بي كما أتشبت بك !

فغمر الدمع عينيك كنت تترجفين و أنت تهزين رأسك إيجاباً ، و لم يلتقطني من حدي و غضبي سوى صوتك الباكي

.....

: أحبك ياسين ، و لا أريد بالكون سواك أفعل أي شيء لأظل جوارك ، و إن كنت أخشاه فلأنني أخشى عليك و سأفعل كل ما تريد كل ما ستطلبه سأنفذه لك ، هل هذا يرضيك حتى يهدأ قلبك ؟

انتزعت بها عني الغضب و الضيق ، و بسمة عينيك الباكيتين كانت كفييلة بأن تمسح عن رأسي كل أوجاعي ، و تُخرجني من بحر غربتي و تهدأ لوعة قلبي و عقلي الغارقين بحرك بين لوعة غيابك و لوعة احتراقي بنار غيرتي في عشقك لثمطر صدري بالسكينة و الراحة و تُحييني بعد موتي ، فغرقت ببحر أنفاسك بين ضلوعي ، فوجدتني أزيد اقتراي منك و رفعت يدي اليسرى لأمسح بها دمعانك من فوق جبينك ، ثم أرخيتها حول كتفك الأيمن حتى و صلت خصرك فالتفت به و عينيك تحملي على أجنحة الحب بسماء العشق ليخبلني الغرام بصدى نبضاتك التي لامست صدري ، فأحنيت وجهي على كتفك الأيسر و شفتاي المشتاقتان لك تمران على عنقك بلهفة قلبي الملتاع من غيابك ، لتسافرا بي في صحراء الاشتياق و الحنين لعشقتك و قربك ، و تطفئ من جحيم عقل طارت به مراكب الغيرة لتلقي به بشواطئ الشك العذاب كلما اقترب منك أحدا! كل ما أردته تلك اللحظة أن أشعر الأمان بين يديك ، فلم أرغب بك تلك اللحظة سوى لتهدئي خوفي و تقتلعي التيه التي سكنت بي ، كل ما أراده قلبي أن يستعصم بك من غربته أن يعود بك إلى رشده ، أن يوقن بأنك له وحده و لا يشاركني بك أحد ، و بعد أن زدت بضمك إلى صدري حتى أنني اعتصرت دقاتك بضلوعي ، فنداركت ذاتك التي هربت إليا و سبحت بشراييني و ذاب كلك بين أوصالي ، فأبعدت يدي عن خصرك و أنت تحاولين تمالك ذاتك ، و تنظرين أرضا

: ياسين

فتراجعت خطوة إلى الخلف و أنا أُللم ذاتي من سكرتي بعشقتك ، و ابتسمت

: اطمئي حبيبي ، فأنت تفاحتي المحرمة التي لن أتذوقها إلا برغبتها ! و الأهم حين تكون لي ! فأنا رجل لم يقبل بالمشاركة في امرأة رغبها ! فما بالك بامرأة يعشقها !

ثم أمسكت بذقنك و رفعت وجهك نحوي و بنبرة صارمة

: و من الليلة لن يشاركني بك أحدا ! ليس بقلبك و لا بعقلك و لا بجسدك هل أنا واضح ! من الليلة و من تلك اللحظة لن يقربك أهذا مفهوم حبيبي ؟

فأسبلت جفنيك و أملت وجهك إلى الأمام دون أن تقولي شيء ، و بعدها أعدتك ثانية إلى الفيلا و حرصت على ألا يرانا أحدا ، ثم عاودت الرجوع إلى الشقة فلم أعود إلى البيت .

قضيت بضعة أيام بعيدا عن البيت فلم أكن أرغب العودة في تلك الفترة حاولت أمي و لي لي الاتصال بي لكنني كنت أغلق هاتفي طوال الوقت ، و لم أذهب إلى العمل أيضا ، فكنت غارق ببحر صراعاتي ، أحاول ملممة شتاتي و اعادة ترتيب أوراقتي ، كنت أحتاج إلى اعادة التفكير بكل شيء من حولي إلا أنت ! كنت أتابع العمل مع طلعت بالهاتف و إن أراد شيء مُلح كان يأتي إلييا ، كنت أمكث بشقتي الخاصة ، شقة كنت قد اشتريتها بغرض التجارة و لا يعلم عنها أحدا إلا طلعت و أنت و توفيق بالطبع ، فهو الآخر أراد مني المكوث لديه فلم يكن يرغب بتركي وحدي و أنا على تلك الحالة ، إلا إنني رفضت فكنت أعلم أنه أول مكان سيبحث به جدي و أمي ! و لم أكن أريد التحدث إلى أحد ، و على كل حال فلم أكن لحالي تماما ! فتوفيق كان يقضي أغلب الوقت معي ، و أيضا طلعت حين يفرغ من العمل كان يأتيني بأخبار الشركة و تطورات ما يحدث مع كريم !

أخبرني توفيق أن جدي يفتش عني بكل مكان ، و أمي متلهفة شوقاً و خوفاً لأجلي ، ألح توفيق كثيراً بأن يطمئن لي لي لأنها ستشتت خوفاً عليا ، إلا إنني رفضت و أقسمت له إن فعلها فلن يقرب لي لي ما حبيت ولا حتى بعد وفاتي فامتنع ، لكن أكثر ما كان يجزني من حزن أمي و جدي هو جنا فأخبرني أنها لم تكف عن البكاء منذ رحلت ، و رغم ان هذا وحده كان يعتصريني و يؤلم قلبي ، فطفلي الصغيرة هي كل ما كان يؤرقني أثناء غيابي إلا أنني لم أكن مستعدا بعد للعودة . أتاني توفيق ليقتضي بعض الوقت معي و حاول اقناعي بالعودة فأسبوع بعيدا عن البيت كافي و خاصة أن جدي يكاد يُجن و هو يُفتش عني بكل مكان

: ألا ترى أنك أخذت ما يكفي من الوقت للتفكير ؟

بادرني بها توفيق بعد أن دلف إلى شقتي و قبل أن يجلس ، فابتسمت منه

: لما لا تجلس أولاً ، ثم تبدأ بإعادة تلك الاسطوانة

: وماذا ستخسر أنت ، أنت هنا تنعم بالهدوء و الراحة و العالم بالخارج مُنقلب رأسا على عقب لأجل اختفاء سيادتكم !

فجلست و قد علت ضحكتي

: لما أشعر ببعض الحسد بصوتك ، ربما لأن لأحد يكثرث لأحمق مثلك !

: أتضحك أعلم أن موتي سيكون على يدك !

: و ماذا فعلت أنا لك الان ؟

فزادت نظرات الغيظ بعينيه و هو يجلس بالكروسي المقابل لي

: ماذا فعلت ! أتسأل حقاً ! أنت لا تعلم ماذا ستفعل بي أختك إن علمت أنني أعلم مكانك و لم أخبرها ، ستقتلني يا ياسين ، أنت لا تعلم ما الذي فعلته بي حين علمت أنك كنت تعلم بشأننا و لم أخبرها ، و هي على كل حال لم تُصدقني حين أخبرتها أنني لا أعلم مكانك

فزدت في الضحك من نظراته المتخوفة منها ، و زدت مشاكسته

: ذكرني أن أخبرها أنك من أقنعي بالاختباء، و أنك منعتني من محادثتها وطمأنتها !

فقفز من فوق الكروسي

: من أنا ! كلا لم يحدث ، ستقتلني لي لي ، أخبرتك موتي سيكون على يديك ! ياسين لا تمزح بهذا الشأن فأختك مجنونة و ستصدق أي شيء ستخبرها به

: أيضا ذكرني أن أخبرها أنك وصفتها بالمجنونة

فجلس و هو يتصنع الجدية

: لما لا تتوقف عن المزاح و أخبرني متى ستعود أمك تكاد تُجن ، ألا يكفيك كل هذا الوقت للتفكير !

فغابت البسمة عن وجهي و نظرت إليه بصمت ، فعاد و خاطبني بجدية

: اسمع يا صديقي ، الان أو بعد عام بالنهاية ستعود ، و أعتقد أنك أخذت ما يكفي من الوقت للتفكير بكل شيء ،

غير أن ابتعادك بالوقت الحالي سيفسد كل ما تخطط إليه بشأن كريم

فأسندت ساعدي إلى ساعد الكروسي و اتكأت بجبهتي إلى باطن كفي ، فاسترسل لي ...

: غير أنني لا أفهم لما أنت حزين كل هذا الحزن ؟ إن ما حدث كان لصالحك فقد تخلصت من عقبة وجود سحر في حياتك و إلى الابد !

: سحر خدعتني ، تلاعبت بي من البداية لقد خانتني توفيق ، حرمتني من حقي بأن يكون لدي أطفال! دون أن تترك لي الخيار بأن أرفض أو أقبل !

: أعتقد أنه من حسن حظك أنها فعلت ذلك! الان و بعد طلاقك لسحر أصبح الطريق مفتوح أمامك للوصول لايماء، فخطتك بإزاحة كريم من طريقك اكتملت و أوشكت على الانتهاء !

: و إن لم تكن ايماء بجياي ؟

: لم تكن سحر لتخدعك !

فاعلتني الدهشة و نظرت نحوه بتعجب ، فبادرني

: ألم تسمع من قبل بأنه إن سافرنا إلى الماضي و غيرنا به شيء ، يتغير الحاضر و المستقبل ، فإن تغير ماضيك و لم تستوطنه ايماء ! ما كان ليصبح هذا مستقبلك مع سحر ! فالأقدار مترابطة فإن تغير أحدهما تغير الآخر ! انظر لنصف الممتلئ يا صديقي الان لن يلومك أحدا إن تزوجت ألف امرأة ، غير أن عمك سيد لن يجروء على ازعاجك بعد ما فعلته ابنته بك ، و حين تعلن على الجميع رغبتك في الزواج من ايماء لن يعارض أحد و أولهم جدك ، و الأهم بنظري أنك تخلصت من سحر !

فابتسمت بسخرية و أنا أهم واقفا

: و ما يُدريك أنني تخلصت منها !

: ألم تُطلقها ؟

: و سأعيدها مرة أخرى !

: ياسين صديقي أفقدت عقلك !

: لكي أحظى بايماء فسأعيد سحر إلى عصمتي !

: يا الهى .. أنت لا تمزح ! أنت جاد بما تقوله !

: أنت لا تعلم جدي ، هل تعتقد أنه سيتركني أطلق حفيدته و أتزوج بغيرها و لن يحرك ساكن !

: أنت بالفعل طلقته يا ياسين !

فعدت و جلست إلى الكرسي

: إلى أن تنتهي عدتها هي لازالت زوجتي ! غير أنني لم أرمي يميني الثالث ، و يمكنني أن أعيدها حتى بعد انتهاء عدتها !

: بعد كل ما حدث سيعيدها إليك ! و أنت ستقبل و تعيدها !

: هو سيعيدها إليا لأنها بالرغم من كل ما فعلته تبقى حفيدته ، و لا يمكنه التخلي عنها بالرغم من كل أفعالها و أخطائها ! و حقيقةً أنا لا ألومه على هذا و لا يمكنني الغضب منه ، فأنا مثله أب و لا يمكنني أن أتخلي عن ابنتي مهما أخطأت أو فعلت ، لأنها جزء مني قد أعقابها لكن لا يمكنني أن أدير لها ظهري فهي تظل بالرغم من أي شيء دمي ، و هذا ما سيفعله جدي !

فتساءل

: هذا ما سيجعل جدك يُعيدها إليك ، لكن ما الذي يُجبرك أن تقبل ؟

: سببين ، الثاني ، لأجل ايما فكما قلت أنت الان إن تزوجت ألف فلن يمنعني أحد ! و أولهما جدي حتى بعد أن أعيدها ! لن يحق له أن يمنعني من الزواج خاصة أنه يعلم و يوقن أنني سأعيدها فقط لأجله و لن تكون زوجة لي كما كانت بالسابق ! فلن يقبل جدي زواجي بايما بسهولة فهي ستكون طليقة كريم و هذا سيعقد الأمور لكن حين أعيد سحر لن يمتلك الخيار ليرفض ، و هذا سبب غيابي عن البيت حتى الان ، فيجب أن يصل جدي لمرحلة اليقين بأنه فقدني إلى الأبد و حفيدته هي السبب ! فحين أعود لن يتوانى جدي عن قبول أي شيء سيعيدني إليه ، و سيقبل بما أريده حتى إن كان يرفضه ، فأنا من سيضع شروطه تلك المرة و جدي سيقبل ، و حينها سأفوز بايما بمباركة جدي ، و من خلفه الجميع !

فعاد بظهره إلى ظهر الكرسي

: هذا السبب الثاني ، اذن ما هو السبب الأول ؟

فهمت واقفا ، و بضيق ملأ صدري

: الأول ، و هو الأهم لي سواء أكان بوجود إما أو لا ، أنني لن أتركها تُفُلت من يدي بفعلتها ! فكما قال جدي أنني كنت أحمق حين طلقته ! فقد طلقته بلحظة جنون و وقوع عقلي بصدمة ما فعلته بي ، لكن هذا لا يكفي و لا يريح قلبي مما فعلته بي الان و بعد أن هدأت و استعدت توازني علمت أن طلاقها لا يطفى ناري منها لا يكفي عقاب لها على خداعها لي ، سأردها إيليا و حينها سأفعل بها ما أشاء و لن يمنعني عنها أحد و لا حتى جدي فهي زوجتي ! سأنتقم من كل ما فعلته بي الان و سابقا و ستنمى لو أنها ما جرئت على التفكير بالتلاعب بي !

: أخبرتك سابقا ذكرني أن أخاف منك !

فرفعت له حاجبي بابتسامة ، جلس بعدها قليلا ثم رحل ، و ظللت عاقد العزم على عدم العودة قبل بضعة أيام أخرى ، حتى يصل جدي إلى اليأس الذي أرغبه ، فأعلم أن ضميره يؤلمه لأنه هو سبب تعاسي ، إلا أنني عدت باليوم التالي بسبب ما حدث لاحقا !

باليوم التالي دق جرس الباب ، اعتقدت بالبداية أنه طلعت أو توفيق لكن حين فتحت الباب توقف قلبي بموضعه ! شعرت بقلبي يذوب بين حنايا صدري ماء يجري بين ضلوعي حين وجدتك تقفين أمامي ، فكنت أنت من يقف باي حينها تخدر كلي ، وجدتك حاضرة أمامي توقفت لحظات و قد كفت الارض عن الدوران و سكنت أمواج البحور ، كنت تنظرين ايليا و كل ما بك ينتفض برقة و عذوبة خدرت أوصالي و حركت الدماء بعروقي ، و على وجهك البسام ارتسمت ابتسامة اقتلعتني من ذاتي ، ثم التفت على صوت المصعد و توترت ، فانتبهت أنك لازلت تقفين بالباب و لا يجب أن يراك أحدا ، ففتحيت جانبا فدخلت

: كيف حالك ياسين ؟

بدرتني بها و خطواتك تقف قبالي ، فابتسمت لك

: اعتقدت أنني غادرت الحياة ! أما الان فقد رُدت ايليا روحي !

ابتسمت بنجل ملاً محياك و أسبلي له جفنيك ، و تقدمت خطواتك برقة أذابتني ! فأغلقت الباب خلفك ، فتقدمتك خطوات و اصطحبتك إلى غرفة الاستقبال ، ثم توقفت بالوسط و جالت عينيك بالمكان ، تُعمن النظر بالأثاث و التصميمات من حولك و بابتسامتك الساحرة

: إن ذوقها رفيع المستوى ، بسيطة بجمال و أناقة مميزة

فابتسمت و أنا أميل برأسي نحوك و غازلتك

: هذا فقط لأنك خطوتي بها !

فاحمرت وجنتيك كزهرة ربيعية ، ثم رفعت عينك نحوي بنظرة مشاكسة

: أتحدث بجدية إن ذوقك لا بأس به !

: في الحقيقة إن ذوقي خلاب و ساحر لن تجدي له بالكون مثيل !

: مغرور !

اتجهت نحوك و أنا أضع يداي بجبي و أغرق بعينيك

: ليس غرور بل حقيقة و إن لم تكوني تصدقيني فانظري بالمرآة و ستري أن ذوقي لم يخلق بالكون مثله ! فأنت هي

دليلي على أن ذوقي فاق الحلم و الخيال !

فطالت النظرة بيننا و علت أنفاسك حتى وصلت نبض قلبي و كلي غارق بعينيك ، و العشق يطفو بكل تفاصيلك ،

فحاولت تمالك ذاتك و احكام أوتاد قلبك فغيرت مجرى الحديث ، بعد أن عُدت تدورين بنظراتك بكل مكان

: أرى أنك تعشق المساحات الواسعة ، و النوافذ الكبيرة ، بمكتبك و هنا!

: أعتقد أنه كلما كان المكان به متسع و اطلالته واسعة هذا يكون مريح للعين و الأعصاب ، يساعد على الاسترخاء و

الهدوء

ثم اقتربت من النافذة و نظرتي للأسفل و بابتساماة سحرتي و كبلتني بعينيك

: و أيضا يبدو أنك تعشق المرتفعات !

: و يبدو أنك تخافها !

فزادت بسمتك الطفولية

: قليلا ، و بما أنني الأسوأ في الكذب ، فحقيقة أنا أخشى المرتفعات كثيراً

فابتسمت منك أكثر ، و سألتني بنظرة حانية خطفت نبضي و سرقت تفكيري

: هل أنت أفضل الان ؟ لقد كنت قلقة عليك كثيرا ، خشيت أن يكون مسك مكروه تلك الأيام الماضية ، فأنت لم تعود حتى الان !

: اطمئني حبيبي ، فحمدا لله الان و بعد أن رأيتك أصبحت أفضل حالا

و اقتربت أكثر منك ، و أمسكت يداك بين يداي

: فليس بالكون بتلك اللحظة من هو أسعد مني و أنت هنا إلى جوارني

ثم رفعت يداك و قبلت باطن رحك ، ففرت دمعة هاربة من عينيك فاعتلتني الدهشة و رفعت يدي أمسحها عن جبينك

: خفت كثيراً أن يكون مسك مكروه ! فأنت كنت بحالة سيئة لم أراك عليها يوم !

: لا تخافي حبيبي ، فلن يمسي شيء بإذن الله

ثم ابتسمت بسعادة ملئت صدري فنظرت لي بتعجب ، فأجبتك دون سؤال

: إن قلبي يكاد يطير من بين ضلوعي فرحاً لأنك هنا ، و لأن تلك الدمعة تنزل لأجلي ، تنزل خوفاً عليا ، لأنني إن فارقت الحياء

وضعت أناملك على فمي و بنظرة دامعة بدت غاضبة

: اياك أن تنطقها ، و إن تهاست بها ثانية سأغضب منك إلى الابد !

فأمسكت أصابعك و قبلتها

: إلا غضبك فإنه كافي لقتلي !

فضغط بأناملك شفتاي برقة

: اياك ياسين

فعدت و لقمتم أناملك بشفائي فتنهدت بشوق أفقدني ذاتي و فتك بي ، و اقتربت منك لأقبلك فوضعتي أناملك اليمنى بين ثغري و ثغرك و أسكنت جبهتك بجبهتي ، و أصابعك اليسرى راحت ترتحل بلحيتي و ابتسمت و أنفاسك تسبح بشراييني ...

: تلك المرة الأولى التي أرى بها لحيتك !

فابتسمت و التفت يدي اليسرى بخصرك و يدي اليمنى تُسافر بخصلات شعرك و من بين أناملك اليمنى التي لازالت تلامس شفتاي همست

: لأن تلك أول مرة أطلقها لكنها ليست بهذا السوء ، على كل حال كنت سأحلقها !

فداعتها أناملك اليسرى الرقيقة لتشعني و تشعل قلبي لك اشتهاا

: على العكس إنها ساحرة فهي تزيد وسامتك و تليق بك و بشرقتك هي فقط تحتاج بعض التهذيب !

فابتسمت و أمسكت أصابعك و هي ترتحل بلحيتي و كلي سقط غريق بهواك ، فأنت هي من تغويني دون اغواء

: اذا كان هذا ما تريدنيه فسأطلقها و افعلي بها و بي ما تشائين فكلي ملك يداك ، اقتلعي من جذوري أو بين ضلوعك ازرعيني ! اصعدي بي بين السحاب أو بموج البحور اطرحيني ! اجمعي أجزائي أو نصفين اشطريني ! لملي شتاتي أو حولك انثريني ! قلبي صفحة بيضاء فسطري بي ما تشائي ! اطلقي لي العنان أو احكمي أوتادي ! ما دام بيداك فلا أبالي ! فبكل ما تفعلين بي قلبي خاضع و راضي !

فتخدرت أوصالك و سرت بكِ رعشة عشق انتفض لها نبضي و ضاع معها عقلي و فاض بركاني ! فزدت قربي و روحت أرتوي من ثغرك و راحت تشتعل دمائي ، كادت تغزوك يدي المرتحلة بظهرك كما يغزوني شهد أنفاسك و هو يداعب أنفاسي و يُشعلها شوقاً و اشتهاً ، و قبل أن أطلق العنان لاشتياق قلبي لهواك

جاءني صوت هاتفك ليُعيدني من غرقى بسكرة عشقك ! فقد أفاق كلانا على رنين الهاتف ، فأخبرتك ألا تُجيبني ؟ فأجبتني بهدوء من المتصل ! و أنتِ تلملمي ذاتك و براءة كدت أقتلك بسببها

: لا بد أنها ميس ستصعد الان !

فاعتلنتي الدهشة و لازلت بسكرة هواك

: ميس ! تصعد أين !

فأجبتني بحدوء أثار غيظي منك و أنت تعضين شفتك السفلى بحركة طفولية

: هي أت معي حبيبي !

فعدت خطوة للخلف و سألتك و أنا أحاول لملمة ذاتي التي ذابت بين يديك

: و لماذا أت معك ؟

فصمت و اقتربت مني خطوة و قبلتني في جيبني ، و رفعت حاجبك بابتسامة لاحت بها و بأحداقك نظرة أنثوية خبيثة ، حينها بدأت أتدرك الأمر فوضعت يداي بخصري و سألتك بغيظ

: ألا تثقين بي لذلك أتيتي و معك حارسك الشخصي !

فضحكت كثيرا و تمايلت مع ضحكك العفوية للأمام و الخلف ، و هذا زاد غيظي منك فعقدت حاجبي بغضب ، فتوقفت عن الضحك و اقتربت مني و وضعت يديك حول عنقي و أنت تُداعبين لحيتي

: هي ليست حارستي الشخصية هي صديقتي ، و أنت معي تخوفا من أن يرايني أحدا أدخل أو أخرج وحدي ! غير أنها انتظرتني بالأسفل و لم تصعد معي من البداية ، فأردت أن أراك أولا وحدنا دونها !

ثم قبلتني على جيبني بعدوبة خدرتني و سرقت أنفاسي ، و أنت تقولي

: و إن تحدثنا عن الثقة فأنت مخطئ ! إن كنت لا أثق بأحدنا فلن يكون أنت ! أنت الوحيد بهذا الكون الذي أثق به و أعشقه حتى أنني لا أفكر و أنا معك ، و إلا ما كنت هنا الان معك وحدنا !

و رغم غيظي الذي ملأ صدري منك و منها لحظتها إلا إن ما قولتيها هدأ غضبي

: فماذا أقول أنا الان ! ماذا أفعل أمام عينيك التي تسحرني و تجعل قلبي يلبي لها أي ما ترغب ، و مهما فعلت لا أملك أن أغضب منك !

حينها دقت ميس الجرس فذهبت لتفتحي لها الباب ، فجلست إلى الأريكة دخلت ميس كانت تتحدث بهاتفها ، و ذهبت إلى الشرفة لتكمل حديثها ، فجلست قربي

: ألن تعود إلى البيت ؟ ألا يكفي كل هذا الغياب ؟

: ليس الان

فتعلقت عينك بعيني

: إن لم يرق قلبك لحزن أمك التي تكاد تُجن لأجلك التي لم تكف عن البكاء لرحيلك ، ولا يرق لجدك الذي حالته تسوء يوم بعد يوم ! لقد رأيته بالأمس و حين تحدثنا أشفقت عليه كثيراً أنت لا تعلم كم هو مُلتاع عليك كيف يسكنه الحزن لغيابك عنه؟ و إن لم يرق قلبك لأجل لي لي التي ليس لها بالكون أحدا سواك

فاستندت بظهري إلى ظهر الأريكة و قلبي يعتصرني لأجلهم ، استرسلت ...

: إن لم يشفق قلبك عليهم جميعا ! فليرق لجنا فهي لم تكف عن البكاء ياسين ! أشفق على قلب أميرتك الصغيرة من الحزن ، حتى أنها لما تأكل منذ يومين !

حينها اعتلاني الضيق و غمر صدري الهم و الحزن فاقتربت مني أكثر و وضعت يدك على كتفي

: ألا يرق قلبك لحالي !

: هل فعلت ما طلبته إليك ؟ هل طلبت منه الانفصال ؟

: أنت تعلم أنه واقع بمشاكل كثيرة الان ، و لا يمكنـ

فهمت واقفا و زاد غضبي و صحت فيك بجدة

: ايما

: حسنا لا تغضب ! إن عدت اليوم إلى البيت سأطلب إليه الانفصال الليلة

: و لما لم تفعلني سابقاً كما طلبت إليك ؟

فنظرت بعيني و بنظرة دامعة

: لأنني أخافه ياسين! و بُعدك تلك الأيام الماضية زاد خوفي ، قربك مني هو ما يقويني إن كنت قريب سأعلم أنك ستكون موجود لأجلي ، لا أشعر الخوف و أنت حولي !

حينها ضممتك إلى قلبي

: سأعود الليلة و ستطلبين الانفصال عنه الليلة أهذا مفهوم ؟

فهزئت رأسك بصدري بالموافقة ، ثم ابعدتك عني حين سمعت صوت خطوات ميس يقترب ، جلستما بعض الوقت ، زادت ميس في مشاكستي لأنني أطلقت لحياتي ! ثم عادت إلى الجدبة و أبدت تخوفها من غضب كريم حين تطلي إليه الطلاق ! إلا أنها أكدت على أنها خطوة لا يمكن التراجع عنها أو تأجيلها حتى تنفلت عنك قبضته ، و أشارت إلى أن هذا هو أفضل توقيت لفعل هذا ، وسط دوامة صراعاته و عدم قدرته على تحمل كل الضربات المتتالية من كل اتجاه ، و طلبت إليك الذهاب إلى منزلها بعد طلب الطلاق من كريم مهما كانت تهديداته حتى يعلم أنك جادة ، و أنك لن تتراجعي تلك المرة ، لم تتحدثي فقط كنت تستمعين إليها و عينك المرتعبة معلقة بي ، و كأنك كنت تعلمين ما فعله بك لاحقاً تلك الليلة و الذي لم يمكنني مغفرته له و لا حتى لنفسي حتى الان ! و ما عجل بنهاية كل شيء! فكانت عينيك الغارقة بعيني تُخبرني بما سيفعله بك ! إلا أن عقلي الأحمق لم يستمع !

ثم بعد جلسة طويلة غادرتما على اتفاق بيننا بعودتي بنفس اليوم و بالمقابل تخطين تلك الخطوة الفاصلة بكل شيء ! و بعدها غادرت أنا الاخر لكن أولاً إلى المصنع ثم عدت مساء إلى القصر مستعدة لمعركتي مع جدي !

قبل عشقك لم أكن أنا كان غيري يسكنني ! و بعد عشقك صرتُ أنا و كلي
بات يعرفني ! فدونك أنا الغريب دون وطن ! أنا الطريد دون سكن ! أنا
الغريق دون أمل !

دلفت إلى القصر بموعدي المعتاد حين رأني أُمي أخطو إلى داخل البيت انتفضت من مجلسها و أقبلت نحوي
بوجهها الباسم و دمعة لاحت بعينها إلا أنها تماكنتها ، احتضنتني و هي تُعاتبني على غيابي تلك الأيام عن البيت ، و

قبل أن أقول شيء سمعت صوت لي لي يأتي من أعالي و هي تنادي جنا بصوت عالي لتخبرها بعودتي ، هبطت السلام مسرعة و ألفت نفسها بين ذراعي و قد تعلق ذراعها بعنقي حينها خرجت عمي مسرعة من المطبخ على صوت صياحها و دلف جدي هو الآخر من الحديقة بخطوات مسرعة سبقته بها جنا و هي تركض نحوي فأنخيت إليها و حملتها و ضممتها بشوق إلى صدري و أنا أقبلها بلهفة قلبي على صغيرتي التي اشتقت إليها كثيرا و لم يورقني شيء قدر ما أرقني بعدها عني ! و قالت لي بصوتها الحاني و هي تُحکم ذراعها الصغيرتين حول عنقي

: اشتقت إليك كثيرا أبي

: و أنا اشتقت إليك شوق يغرق العالم بأسره

فرفعت وجهها عن عنقي و نظرت إليا و قد عقدت حاجبها بغضب

: لكنني غاضبة منك لأنك سمرت دون أن تُخبرني أو تُعطيني قبلة

: أعتقد أنني أخطأت بتلك ، فهذا ذنب أستحق لأجله العقاب لكن لما لا تدعيني أكفر عن ذنبي و أُلبي أي شيء تطلبه أميرتي الصغيرة

فرفعت اصبعها الصغير و هي تتصنع التكفير وسط ضحكات الجميع

: ستفعل أي شيء أطلبه ؟

: أي شيء لك مولاتي !

فشاكستني لي لي ، و هي تنظر إلي جنا

: هيا اطلبي شيء يستحق و سنتقاسمه معا

فصاحت جنا و هي تحتضني

: كلا ما أريده لن يقاسمني أحدا به

: اطلبي ما شئت و لن يقاسمك به أحد ، ماذا ترغب أميرتي الصغيرة ؟

فعادت و طوقتني بذراعها و همست لي بأذني

: أن أنام الليلة بأحضانك أبي فكنت خائفة كثيرا و أنت غائب عني

فزدت في احتضانها

: لا أريدك أن تخافي شيء ، فأنا هنا و جوارك دائما و أعدك أنني لن أغيب ثانية و إن غبت سأصحبك معي ، هل هذا يرضي مولاتي !

: أحبك أبي ، هل ستتركني أنام إلى جوارك الليلة ؟

: و هل يمكنني رفض النوم بين أحضان أميرتي بالجنة

حينها خرج جدي عن صمته

: هيا جنا يكفي هذا ، اذهبي مع عمته لتكملي بناء لعبتك بالحديقة ، فأريد التحدث إلى والدك وحدنا !

فقبلتها بجمبتها وكانت تأبي الذهاب فأخبرتها أنني سأنتهي الحديث مع جدي وألحق بها لنلعب معا فرضخت فأشرت إلى لي لي بأخذها إلى الحديقة ، فوضعت عمتي يدها على كتفي و هي تنظر إلى جدي

: اتركه يرتاح يا أبي فيبدو عليه الارهاق و التعب لما لا تؤجل الحديث إلى الغد !

فتجاهلها و نظر إيليا و هو يتجه نحو حجرة المكتب و أشار إيليا بأن أتبعه ، و حين همت أمي و عمتي لتقدم نحو المكتب قال بصوت غاضب دون أن يلتفت

: أريده وحده ! فلا أريد أحدا غيره

فوضعت أمي يدها على كتفي و عينها متلهفة قلقة فابتسمت لها و أمسكت يدها و قبلتها و أملت لها رأسي بأن تطمئن ، فدنت مني عمتي و هي تربت على صدري

: تمالك غضبك يا ولدي ، فلا تعلم كم كان قلق عليك ، و كاد صدره ينشق خوفاً عليك

فابتسمت لها و تبعته نحو المكتب حينها اصطدمت عيني بسحر تقف بأعلى درجات السلم ، تقف بقدمها بأعلى السلم مترددة بين النزول و الصعود ، فتوقفت لحظة بمكاني و أطلت النظر بها فأحنت وجهها ، فتقدمت أمي نحوي و ربتت على كتفي و أشرت لي بعينها للحاق بجدي ، فتبعته إلى المكتب و أغلقت الباب خلفي ، كان يجلس إلى

الكرسي بجوار المكتب كعادته و هو يتكأ بذقنه إلى عصاه فتقدمت نحوه و سحبت كرسي و وضعته قبالته و جلست إليه ظل مُطرق الفكر لحظات ، ثم قال لي بصوته الهادئ المتزن

: أتذكر حين مات أبوك كنت أجلس هنا و بنفس المكان و كنت تجلس إلى جوارى ، و رغم ضيق صدري و انخلاع قلبي حزنا على رحيل ولدي ، إلا إنني حين نظرت إليك عُدت و تماسكت و شعرت أن الله لم يأخذ مني ابنا قبل أن يُعطيني آخر حتى أنك بقلبي غير الجميع و أنت تعلم ذلك ، و لم أشعر أن ولدي فارقي يوم إلا حين رأيتك تُغادر حين تركتني و رحلت ، لحظتها شعرت بأن ولدي تركني لأول مرة -

: جدي -

و قبل أنا أكمل حرفا ، رفع عينه نحوي و دق بعصاه الارض مرتين بغضب

: إن فعلتها ثانية سأقتلع رأسك بيدي أتفهم !

فأملت رأسي له ايجابا فعاد و أسند ذقنه إلى عصاه و بنبرة قاطعة

: ما الذي يرضيك و يرد إليك كرامتك و يجعلك تُعيدها إلى عصمتك ثانية ؟

ثم نظر بعيني و بنظرة صارمة

: فأنت ستردها ثانية هذا لا جدال فيه ! و ما يرد إليك كرامتك و يريح كبريائك و يهدأ ثورتك سأقبل به و سيقبله الجميع ! فما الذي ترغب به ؟

: إن كنت بمكاني فما الذي يرد إليك كرامتك و يُعيد إليك كبريائك أمام الجميع ؟

فوضع كفه على عصاه و ربت بكفه الاخرى فوقها و بعد لحظات

: فلتختار أمك و عمته لك امرأة لتزوجها

ثم رفع طرف عينه نحوي بنظرة اخترقتني حتى النبض

: أو لا داعي لأملك و عمته إن كانت هناك امرأة محددة تريدها دون نساء الكون ، لترد بها كرامتك و كبريائك !

ثم صمت لحظة و أمال رأسه نحوي

: و الأهم أن ترد إليك قلبك المفتقد منك بغربة ليها الطويل الذي ألقنتك به ! و تعيد إليك عقلك الغارق بموجتها
التي سلبتك روحك ! و تُعيد ملممة ما نثرته يداها من شتاتك بين الارض و السماء !

فصمت لحظات و بسمتي تزداد على جيبني ، ثم هممت واقفا

: أنا بالحديقة مع جنا حين يأتي عمي بالمأذون فليعطيني أحدا خبر

ثم اتجهت نحو الباب و قبل أن أضع يدي على المقبض سألني

: أكنت تعتقد حقاً أنني لن أعرف ما يحدث بينكما ؟

: على العكس

: أتعتقد أنني لا أعلم أنك من خطط له كل هذا ؟

فتنهدت و أنا ألتفت إليه

: لكن منصفين هو قام بالعمل الشاق وحده و أنت توقن أنني لم أوقع به ، بل هو من أوقع بنفسه أنا فقط وضعت
الوثاق ليس أكثر و هو من أحكم لفه حول عنقه !

فهم واقفا و هو يُشير بعصاه نحوي

: أيها الماكر أقسم أنك كنت تعلم أنني أعلم منذ البداية !

: كنت أوقن بأنك تعلم من أول يوم ! أو بالأحرى من أول ليلة !

فتساءل بدهشة

: فلماذا لم تتحدث معي ؟ لماذا تعمدت لعب دور الأحمق أمامي ؟

: لم أشأ أن أفسد عليك الاستمتاع باللعبة !

و زادت بسمتي

: لم أشأ أن أفسد عليك لذة أن تكون المتفرج الوحيد الذي يرى و يسمع كل شيء من دُون أن يُرى ، يستمتع
بالمشاهدة من خلف ستار خفي ، و لا مانع إن تلاعب ببعض الأشياء من خلف ستاره !

فرقع عينه نحوي بدهشة أكبر فأملت رأسي و أنا أتقدم نحوه

: أعتقد أنني لا أعلم من هي اليد الخفية التي أجبرت إخوة عدنان على قبول العرض الذي قدمته لهم ! تلك اليد التي أجبرتهم على الالتزام باتفاقنا و اجبارهم على ترك كريم !

فهز رأسه لي و هو يبتسم و يدق عصاه الأرض

: هذا لا يعني أنني راضيا عن ما فعلته و ما تُخطط له أو أنني موافق به !

فاقتربت منه أكثر

: أعلم و لكنك متقبله لأنك تعلم أنه ليس بيدي و لا بيدها ، و تعلم أن كلانا حاول كل شيء ليبتعد و لم يستطع ، و الأهم أنك تعلم أنه لا يستحقها و يستحق كل ما وصل إليه لا تنسى ' تلك هي الحياة و كما تدين تُدان ' ، إن كان أحدنا سرقها و أخذ ما ليس حقه فليس أنا !

ثم عُدت و التفت خارجا

: غير أنك من داخلك لا تلومني على ما أفعله و الأهم أنك لن تمنعني !

توقفت مكاني لحظة و التفت إليه و رفعت له حاجبي و شاكسته

: و إلا ما كنت أرسلتها إلييا اليوم لتُعيدني !!!!!!!!!!!!!!!

فارتسمت الدهشة الممزوجة بالبسمة على وجهه و هم يجلس على كرسيه وضع عصاه بجانبه ، و اتكأ بظهره لظهر الكرسي ، و رفع كفيه في الهواء مستسلما

: أيها الماكر .. كيف عرفت تلك أيضا ؟

: يمكنك القول بأنه لدي معلم جيد !

فعلت وجهه نظرة ضاحكة مغتظة

: كنت أنا المعلم و أصبحت أنت الان المدرسة بأكملها

فعلت ضحكتي و خرجت من الحجرة فابتسمت عمي حين رأني أضحك و داعبتني أمي مبتسمة

: و أنا من كانت تخشى عليك من غضبه !

فزادت بسمه عمتي

: غضب من على من ؟ أي يغضب من ياسين أو عليه ! حمقاء أنت ! إنه ابن جده ، فقد يغضب على الجميع إلا ابنك

حينها خرج جدي و هو يدق الأرض بعصاه و ينظر إلى أمي

: لا تخافي على ابنك بل خافي منه

حينها رفعت كفي في الهواء مستسلما و تركتهم جميعا خلفي يتشاكسون ، و ذهبت للعب مع جنا بالحديقة ، كنت أعب معها لكن عقلي كان يُعيد كل ما دار بيني و بين جدي ، فكنت منذ تلك القصة عن الليل و الموجة و كلي يكاد يوقن بأنه يعلم بما يدور بيننا ! لكن ما جعلني أقطع الشك باليقين هو ما حدث بيني و بين اخوة عدنان فبالمرّة الأولى من لقائنا رفضوا مجرد الحديث عن ما يخص كريم و قتله أخيهم ! لكن باللقاء الثاني اختلف الوضع كثيراً و تقبلوا خروجك من دائرة انتقامهم كان على مريض إلا أنهم تقبلوه ! غير أنهم وافقوا على ايجاد حل يرضيني و يرضيهم بالوقت الحالي بما يخص كريم ! و لم يكن من الصعب ببعض البحث الدقيق أنا أعلم من هو صاحب اليد الخفية بذلك ! معرفة ما السبب الذي جعلهم يغيروا موقفهم تجاه الأمر برمته ! ما هو إلا لسبب قوي و ما أقوى من تهديدات و وعيد رجل بثقل جدي فهو تلاعب بكل شيء لكن الذي لا يعلمه جدي أن ما جعلهم يقبلوا بتهديداته هو ما وعدتهم أنا به
!!!!!!

أما كيف عرفت أنه من أرسلك ! فحين أخبرتني أنه جلس معك بالأمس في الحديقة ، و كان قلبه ملتانع لأجلي و يعتليه الحزن والهّم لفراقي علمت أنه استحثك بحبه لي و بكاء جنا لأجلي كي تطلبي إيليا العودة دون أن يطلب ! فهو من جعلك تأتيني حتى دون أن تعلمي أنه من أرسلك و يعلم أنني لن أرفض !

و بينما كنت مستغرقا بين اللعب مع جنا و استحواذ أفكاري برشدي ، لمحت عيوني عينيك تنظر إيليا من الشرفة فكنت تجلسين بها فأملت لك رأسي بابتسامة أستحثك بها على اتمام جانبك من الاتفاق و يا ليتني ما فعلت !!

انقضت الليلة بعد أن أتى المأذون و أعدتها إلى عصمتي وسط دهشة الجميع و أولهم عمي ، الذي أشفقت عليه حين رأيته و لم يستطع قول شيء لي أو حتى النظر بعيني ، حاولت أمي التحدث معي إلا أنني رفضت التحدث عن أي شيء و اكتفيت بإخبارها أنني أعدتها نزولا على رغبتني جدي ، ثم ذهبت إلى غرفة جنا استلقيت إلى جوارها بالسرير و أنا أضمتها إلى صدري ، و كل ما بي يكاد يُغادرني ترقبا لما سيأتي به الغد ، فقد اقتلعت منك وعدا بطلب الانفصال إليه

بتلك الليلة ، ظل عقلي يجري بي بكل مضمار تارة ، حاولت كثيراً تخطي قلقي من ردة فعله نحوك إلا أنني لم أتخيل أو يعبر ببالي ما فعله ، و استيقظت عليه بفجر اليوم التالي !!!

بفجر اليوم التالي كنت مستغرقاً بطيفك حين أيقظتني لي لي ، حين فتحت عيني وجدتها أمامي كنت أعتقد أنه الصباح ، لكن حين اعتدلت قليلاً و تداركت نفسي بعد لحظات لم تكن الشمس أشرقت بعد ! فنظرت إليها و كانت متوترة و يبدو عليها الاضطراب فسألته و أنا أحاول النهوض

: كم الساعة الان ؟

: انها الرابعة فجرا

: فاعتدلت و قد ضاق صدري و سألتها بتوجس

: ماذا هناك ؟

: انها إيما

: و قبل أن تكمل انتفضت من مخدعي و سألتها و قد زاد توجسي و خوفي

: ما بها ؟

: أعتقد أنني سمعت صرختها !

: فتجمد الدم بعروقي و شعرت نبضات تتباعد و روحي تثقل على صدري و سألتها بخوف ملاً صوتي

: ماذا ؟

: كنت مستيقظة بالشرفة أتحدث إلى توفيق و أقسم أنني سمعت صرختها عالية ثم رأيت كريم يركض خارجاً !

: فركضت خارج الغرفة ، حاولت لي لي أن تستمهلني لكنني لم أكن أشعر بنفسي ، هبطت السلالم مسرعا و هي تتبعني ، حينها أفاق جدي على صوت خطواتنا المسرعة ، فهم خارجا من غرفته و هو يتساءل ما الذي يحدث ؟ لم ألتفت إليه

فلم أكن أعي و لا أرى شيء أمامي ، ركضت خارج القصر و حين وصلت الفيلا كان الباب مفتوحا ، زاد التوجس و لوعة القلق بصدري دلفت على خطى متمهلة و كلي متعجلا ! و بعد أن تقدمت خطوات ببهو الفيلا ولا شيء مختلف كل شيء بموضعه المعتاد و الصمت المفزع يسود المكان ! فالتفت ناحية الاستقبال و السلم إلى الدور العلوي ، لحظتها انخلع قلبي من موضعه و شعرت النار تهتاج بصدري و رياح الخوف و الألم تعصف بي تسمرت لحظة بموضعي ، شعرت بأنفاسي تهدأ بصدري حتى كادت تتوقف و شعرت بكلي يسقط بفراغ يتلوه فراغ ، و لا تُحسُّ قدمي أرضا فقط يحملني خوفا ليسقط بي بجحيم رغب قلبي مما رأته عليك عيني لحظتها ! و لم أفق من صعقتي إلا على صرخات لي لي و أمي حين دلفوا خلفي على هول ما رأوك عليه ، فعدت إلى بعضاً من رُشدي و ركضت نحوك ! فقد كنت ملقاة على ظهرك بآخر السلم غارقة ببخيرة من الدماء التي تسيل منك ، كل ما بك كان مضرج بالدماء و كل ذرة بك ساكنة حتى أنفاسك سكنت عنك ! رفعتك إلى صدري ، حاولت سماع أنفاسك التي كانت تُغادرك ! كنت تمسكين السلسلة التي أهديتك إياه بين أصابعك ! فحملتك بين ذراعي و ركضت بك إلى السيارة ، جلست أمي بالمقعد الخلفي و وضعت رأسك على صدرها كانت تُحاول إفاقتك ، جلست عمتي إلى جواربي لا أعلم كيف وصلت المشفى بأقل من عشر دقائق لكنني أتذكر صياحي عمتي بي ' هداً من السرعة ستقتلني جميعا يا ياسين ' إلا أنني لم أكن أستمع سوى لصوت أنفاسك و هو تُغادر صدري ، حين وصلنا حملتك إلى داخل المشفى هرع إلينا بعض الأطباء و كانت الدماء لاتزال تسيل منك ، ذهبوا بك إلى غرفة العمليات بالدور العلوي ، تركت يدك من يدي و هم يضعونك على السرير النقل و تركت بها السلسلة ! جلست و كانت أمي إلى جواربي ، جلست عمتي و لي لي بمقابلتي و جدي و عمي شوكت و سحر بالجهة الأخرى فقد كان الجميع حاضرا ، ظهر توفيق هو الآخر بالمشفى فقد كان يُحدث لي لي حينها و اتصل بعدها ليطمئن فأخبرته بما حدث و لحق بنا إلى المشفى ، جلس بجواربي وضع يده على كتفي كان كلي يرتجف و سرت بباطني رعشة من الرهبة و الخوف من أن أفقدك ، تعلقت عيني بجدي و كان القلق و الخوف يسكن أحداقه هو الآخر ، مر الوقت و أنت بغرفة العمليات ثقيل كتتحريك جبل من موضعه لا يأبي الحركة ، حاولت الوقوف لكنني لم أستطع وضعت رأسي بين كفاي و أنا أقبض على سلسلتك و هي ملطخة بدمائك بكفي و قد أحكم الخوف قبضته بقلبي ! بعد ساعة خرج أحد الأطباء يتساءل عن فصيلة دم تناسبك فقد فقدت الكثير و لم يكن لديهم ما يكفي من فصيلتك فذهبت معه و توفيق لنى أي منا سيتوافق معك ، لم تناسبك فصيلة توفيق لكننا توافقنا معاً ! و كيف لا و أنت هي ما يُكملني ! أنت هي ما يُيقيني أنفوس و يجري عشقها بكل ذرة داخلي ، فكيف لا تتوافق دماننا و قد توافقنا أرواحنا ! حاولت أن أسأله عن ما يجري بغرفة العمليات لكنه لم يُجبرني شيئا ، مرت بعدها ساعة أخرى لكن تلك المرة لم أستطع الجلوس خاصة حين سألت أمي و عمتي ما الذي حدث ؟ فأخبرتهم لي لي ما أخبرتني حين أيقظتني ، فتعجبت عمتي و هي لا تصدق أنه قد يكون فعل بك هذا ، فكان كل ما بي ينتفض خوفا عليك و كرها له ، فلم أفكر لحظتها سوى بأنني من سيقنتله ! اقترب مني توفيق و طلب إيليا الجلوس و الهدوء قليلا لأن عيون الجميع معلقة بي ، لكنني لم أكن

أكثر وقتها لشيء فما عاد يُهمني أن يلاحظ أحداً أو يعرف ما بقلبي لك ، كل ما كان يريد قلمي الملتاع هو أن يطمئن عليك و تهدأ عواصف خوفه التي هاجت بصدري ، و بعد جبال الزمن التي لم تكن تأتي المرور ، خرج الطبيب من غرفة العمليات ، فهم الجميع واقفاً ، و سألته

: كيف حالها الان ؟

فأمال رأسه بقلق زاد له خوفاً

: لست متأكداً ، للأسف هي نزلت كثيراً تلك السقطة كانت شديدة و لامرأة بوضعها كانت قاتلة !

فسألته أمي بتخوف

: ماذا تعني بوضعها ؟

فصمت لحظات و هو ينظر باتجاهي

: آسف أن أخبركم أن زوجتك كانت حامل

حينها وقف الجميع مطرقين و توقف كلي بموضعه و سكنت أنفاسي من هول المفاجأة ، و لم يستعدني من صدمتي سوى صيحت سحر به

: هي ليست زوجته

: عفوا لم أقصد لكن هذا ما اعتقدته

حينها تساءلت عمي و كنت لا أزال مأخوذاً بصدمتي

: ماذا تعني بكانت ؟

: للأسف لم نستطع ابقاء الجنين ، فقد أخبرتكم أنها وصلت بحالة حرجة و نزلها الشديد و قوة السقطة كل هذا أدي الى اجهاض الجنين

فتساءلت لي لي

: الأهم كيف حالها الان ؟

: لن نستطيع الجزم بأي شيء بالوقت الحالي ، سننتظر إلى أن تستقر حالتها ثم نأمل بالقدام ، فليكن الله معنا

ثم صمت لحظة و قال و هو ينظر بيني و بين زوج عمتي

: سنضطر إلى اخبار الشرطة !

فسأله زوج عمتي

: لماذا ؟

: لأن تلك السقطة لم تكن من اختلال توازن بل إنها نتيجة دفعة قوية ، هناك من دفعها بقوة من مكان مرتفع ، و هذا

أدى إلى سقوطها و بتلك الحالة هذا يُعد بشروع بقتل

و يجب أن أبلغ فهذا واجبي و عملي !

فقال عمتي

: لكن -

و قبل أن تُكمل قاطعها بحزم

: أعتذر منكم ، لكن أنا أقوم بعملتي و هذا شروع بقتل و لنتمنى أن لا يصبح القتل قتيلين !

ثم انسحب من المكان و انسحبت مع كلمته روعي ' القتل قتيلين ' التي ظلت تترد بأذني فشعرتُ بما تُؤلم قلبي و تسرق أنفاسي من بين ضلوعي ، طلب جدي من الجميع المغادرة و تبقى أمي معك ، فرضخ الجميع له ، لكنني جلست بمكاني و حين طلبت أمي إيليا المغادرة رفضت ، فتعجب الجميع من اصراري إلا أنني لم أهتم ، و ما زاد دهشتهم هو رد فعل جدي الذي أخبرهم بأنني لن أرحل إلى أي مكان ! و لكن بالنهاية رحل الجميع و لم يبق معي سوى أمي و توفيق ، أشرقت الشمس و أن أسأل الله أن يُعيدك إيليا فلن يحتمل قلبي أن يفقدك ، لن يحتمل أن تغيب شمسك عن حياتي ، تعلقت عين أمي بي و الدهشة و الحيرة تملأ كل ما بها إلا أنها لم تقل شيئا لعلها كانت تُكذب نفسها و لعلها كانت تعلم أنه ليس بالوقت المناسب لتطرح شكوكها و شكوك الجميع بالسطح و كلي غارق بقاع الخوف ، أشعر قلبي ينزوي بصدري يحاول التمسك بك يخشى أن تخبو شعبة ضيائك التي أشرقت ليله الحزين و أعادته إلى الحياة ، كنت أشعر الذنب يحوط بي و يثقل كاهلي فليس وحده من دفعك ! فقد دفعتك أنا الاخر ! إن كان دفعك هو بيده فقد دفعتك أنا بالضغط المستمر عليك و مُطالبتك بما لا تحتملين ! فلم أسمع صرخات عينيك و خوفك حاولت

اخباري لكنني لم أستمع ، و بينما كانت تمضي ساعات الانتظار الطويلة التي طارت بها ذكرياتي معك و كل لحظة جمعني بك كي تُمسك بك كي تستحلفك ألا تُغادريني ، و كل ذرة بي تُسجد لربي و ترجوه أن يُعيدك إيليا قطعت أُمي شكها باليقين حين أتت الممرضة تتساءل
: أين هو الأستاذ ياسين ؟

فهمت واقفا و تبعني أُمي و توفيق ، فنظرت إيليا و بابتسامة بدت متفائلة

: إن زوجتك أفاقت و لا تكف السؤال عنك ؛ هي تريدك .

فركضت نحو الغرفة التي ترقدين بها وسط دهشتي أُمي التي أيقنت أن هناك شيء يحدث بيننا يتخطى الصداقة أو الشراكة أو أي شيء غير الحب و العشق !

فتحت بابك على مهل ، فكان قلبي متعجل رؤياك لكن خوفي كان أكبر مني ! بدت الغرفة تتسع كلما اتسعت فتحت الباب ، تعلقت عيني بك و أنتِ مستلقية بسرير بوسط الغرفة ، تقدمت نحوك و كان وجهك يتجه بالاتجاه الاخر نحو النافذة ، و عينيك معلقة بعصفور يقف عليها يرفرف بجناحيه و يطير حولها ليعود و يحط عليها و هو يُغرد بصوت رقيق ، كنت غارقة بالنظر إليه و كأن روحك تتمنى لو أنها بصدرة و ليست ترقد إلى هذا الجحيم ! وقفت أمام سريرك دون أن أقول شيء يُحاول قلبي أن يمتلأ بك و يعود من غرقه بالخوف ، تُحاول أنفاسي التعلق بصدرك و الارتواء بأنفاسك ، هدأت لوعتي قليلا ، حين انتهت لوجودي فأدريت وجهك نحوي و بابتسامة من قلبك الصافي ، ابتسامة أعادت لي روحي ، أعادت لي بعضا من عقلي الذي فقدته حين تلاعبت رياح الفقد بصدري ، ابتسامة ذابلة بعد ليلة عاصفة تنفس بها قلبي الصعداء ، خانتني دمعة تراقصت بين أحداقي حاولت تمالكها فلم أكن أحتمل أن تغيبني عن حياتي مهما حدث ، و بصوت متألم لا يكاد يخرج عنك من شدة الضعف

: ياسين

فأخفيت نحوك و بصوت بدأ يعود لي

: قلب ياسين حين ينبض

حاولت أن تعتدلي ، فأوقفتك

: لا تتحركي حبيبتي

: أين أنا ؟

فابتسمت لكي و أنا أضع يدي على رأسك

: أنت معي حبيبي ، و أنا هنا إلى جوارك

حينها دلفت الممرضة تقدمت نحوك أمسكت يدك ، تأكدت من نبضك و تفقدت الأجهزة المتصلة بك ، و داعبتك
قائلة

: ان زوجك كاد يُجن لأجلك أمس ، أعتقد أنه يجب أن تطلبي إليه أن يرتاح قليلا ، يكفي ما أخذناه من دمائه لأجلك
، و ظل إلى جوارك لم يتزحزح عن موضعه
ثم نظرت نحوي

: لا تقلق ، بإذن الله ستكون بخير .

غادرت الغرفة ثم عدت و التفت إليك فوجدتك تبكين ، فقبلت رأسك

: أخبرتك سابقاً لا يحدث قلبي أن يرى دموعك

فحاولت تمالكها وسألتك و أنا أضع كفي اليسرى على رأسك و أمسك يدك بيدي اليمنى بعد أن قبلتها....

: ما الذي حدث ؟

: حين عاد أخبرته أنني أريد الانفصال عنه ، و حين وجدني أهم للمغادرة جنونه دفعني فسقط عن السلم ، و لم
أشعر شيء بعدها !

: تلك غلطتي أنا

فابتسمت لي و أنت تضغطين كفي بيدك اليمنى و يدك اليسرى تمسك ببقعة دمك على قميصي

: كلا هذا ليس ذنبك ، أنت كنت موجود لأجلي

ثم بدا الالم على وجهك و أمسكت بطنك و أنت تلتفنين بوجهك نحو النافذة

: إن بطني تؤلمني بشدة

: لما لم تخبريني أنك حامل ؟

فتوقفت عن الحركة فجأة و عم السكون أرجائك ثم النفث نحوي و الدهشة تعتيك

: ماذا ؟ حام

حينها اعتدلت و تساءلت بدهشة من رد فعلك

: ألم تكوني تعلمي أنك حامل ؟

: أنا حامل ؟

فصمت لحظة مسحت وجهي بكفي و قد ضاق صدري

: بالوقت الحالي ، كلا فالسقطه كانت قوية و الجنين —

فأمسكت يدي بقوة و أنت تُجهشين بالبكاء و أخذت تتكومين بحضني و صرخاتك بدأت تنفلت عنك ، فضممتك إيليا و حوطتك بذراعي و دموعك تبلبل صدري و أحسها تسيل بين ضلوعي حاولت احتواء عاصفة حزنك ، لم أستطع أن أقول شيء فمن أين أجد الحروف التي قد تواسيك أو ترفع الحزن عنك بالرغم من كل ما مررت به من ألم و عصف الزمن بك إلا أن تلك الصفعة لك كانت هي الأقوى فلا يُعادل شيء بالكون شعور فقد أم لوليدها ! كنت تعتصرين نفسك بين ضلوعي و صرخاتك تتعالى و تتعالى معها صرخات قلبي ألماً و وجعاً عليك حبيبي ، فكل هذا الألم يسكنك و لا أملك أن أحرك ساكنا حاولت تهدئك لكن لم أستطع حينها دلفت الممرضة و تبعها طبيب على صوت صرخاتك ، حاولوا ابعادك عن صدري لكنك كنت تشبثين بي بكل قوتك و لم أشأ أن أفلتك من بين ضلوعي ، فطلب إليها أن تُعد احدى الجرعات المهدئة ليحقنك بها و حين فعل بدأت تغيبين عن الوعي و أنت ممسكة بي حتى غشي عليك تماما فانفلتت يديك عن ذراعي عنوة عنك و عني ! و غبت في سبات عميق ، طلبوا إيليا الخروج لم أشأ بالبداية إلا أن الطبيب أصر حرصاً على راحتك ، فهمت للمغادرة و كلي معلق بك و حين التفت باتجاه الباب وجدت أُمي تقف أمام نافذة الغرفة التي تُطل على الممر ، تعلقت عيني بها لحظات ، ثم خرجت لأجدها واقفة أمامي و من عينيها علمت أنها كانت تقف منذ دلفت إلى حجرتك ! لم تقل شيء و لم أقل شيء فقط تبادلنا النظرات و الصمت لدقيقة ثم اتجهنا نحو مكان الانتظار الذي كان توفيق لازال جالسا به و انضمت إليه ميس التي ذهبت إلى الفيلا بالصباح بعد الكثير من المكالمات التي لم تُجيبها فذهبت للاطمئنان عليكِ فعلمت ما حدث ، جلس أربعتنا و يحيطنا الصمت من كل اتجاه .

مضى الكثير من الوقت و لازلت نائمة فقد استيقظت لحظات و ظللت على وضعك ، فأعطاك الطبيب حقنة مهدئة أخرى و أخبرني أنك أصيبت بانحياز عصبي على اثر الصدمة من فقدان الجنين ، كان يظن الجميع أنك زوجتي ! فقد بدا هذا جلياً من انخلاع قلبي عليك ! ثم حضر إيليا طلعت بعد أن طلبته أن يأتي ببعض من رجال الحراسة الذين يعملون لدينا ، و مع اقتراب الشمس العودة إلى مغربها عاد جدي و لي لي و عمي و سحر إلى المشفى للاطمئنان على حالتك الصحية ، و أتت لي لي لي بملابس غير التي كنت أرديها فكانت ملطخة بدمائك حبيبي ، و حين هممت لأخذها للحمام لتبديلها دخل إلى المكان زوج عمي شوكت و ظهر من خلف كتفه كريم ! حينها لم أرى سوى تلك اللحظة حين وجدتك ملقاة على الأرض غارقة بدمائك و صوت صرخاتك على فقد وليدك يركض بعقلي ! فوقفت لحظة غارق بينهما حين تقدم هو خطوات عن زوج عمي و هو يتجه نحو جدي و نحو الممر الذي ترقدن باخر غرفة به ! لم أملك ذاتي حينها و اندفعت نحوه ألقيت به على الكرسي من خلفه و أنا ألكمه على وجهه بضربات متتالية على غفلة منه و وسط دهشة أصابت الجميع ! فهم توفيق و طلعت لإبعادي عنه لكن لم يستطع أحدا منهم ازاحتي ، فكان الغضب يتملكني و الحنق و الضيق منه هو كل ما يستبد بي تلك اللحظة ، و لم يستطيعوا ابعادي عنه إلا بعد أن سألت الدماء من أنفه و فمه و أصيبت رأسه و سألت دماء جبهته ، حاول طلعت و توفيق الإمساك بي بإحكام حتى لا أجهز عليه مرة ثانية ، أوقفه زوج عمي و هو يتفقد و يتفقد الدماء التي كانت تسيل من وجهه بغزارة وسط دهشة الجميع مما فعلته به و ثورة جنوني ضده ! حينها تمالك نفسه قليلاً و بعينين بدأت تزيل عنها دهشتها ، و بحنق بدأ يملأ وجهه

: لا تخبرني أنك من تريد تركي لأجله يا صديقي !

فعلقت عيون الجميع بيننا و لازال توفيق ممسكاً بي ، فبادلته النظرة بغضب

: أنت لم تكن يوماً صديقي !

فصرخ بي و هو يتقدم خطوة فأمسكه زوج عمي

: هي زوجتي و لن تقرها يا ياسين ؟

فابتسمت له بحنق ملاً صدري

: ليس بعد الان ، فلتنظر أين تقف قدماك !

فزاد الغضب بأحداقه تقدمت نحوه خطوة و توفيق يحول بيننا و بغضب ملأ صدري و أراد أن يُرديه قتيلا أمامي

: هي بكل حال من الأحوال تكرهك و أنت أكثر من يعلم هذا ! و الان بعد أن قتلت ابنك و حاولت قتلها ، أعتقد أنها ستقبل بحميم سجنك ثانية

فزاد الغضب به و كادت تشتعل أحداقه

: أحمق يا ياسين فهي لا تُحبك ، فلا تجرؤ على فعلها

فنظرت له وبعين تمتلأ نصراً بهواك أمام هزيمته بعشقتك ، فتحت كفي فتدلت من بين أصابعي سلسلتك التي كانت تلتف حول عنقك و لم تفارقك منذ يوم عيد مولدك و هي ملطخة بدمائك ، و لم تُفارق كفي منذ تركتها يدك بيدي ! فتعلقت بها عينه و عين الجميع و هي تهتر بين أصابعي و يتأرجح قلبها يمينا و يسارا و يتأرجح معها كل ذرة به و تنتفض الدماء بعروقه و لهاث أنفاسه الغاضبة قبل عينيه يتتبعها ، و لم يكسر صوت الصمت الذي ساد الجميع و دهشتهم العارمة مما يحدث سوى بسمتي الحانقة له و أنا أزيد بوقود صدره و عيني معلقة بعينه المعلقة بسلسلتك

: أعتقد أنك من بين الجميع يجب أن تُعيد التفكير بعشقها لي ! خاصةً أنني لم أكن أفارقها فقد سكنت قلبها و عقلها

ثم صمت لحظة و الغيظ و الحنق مما فعله بكِ يملئني فصبايته به

: حتى أنني سكنت صدرها بكل لحظة حتى التي جمعتك بسريرها كنت حاضرا !!

حينها لم يتمالك ذاته فأجهز عليا و سددي لي لكمة قوية ، فأمسكت به من ملابسه و ألقيت به إلى الحائط بجاني فارتمى بالزاوية و روحت أعواد ضربه و ألكمه بوجهه و قد رد لي الضربة مرة أو اثنتين لكن لم يمكنه التغلب عليا و بالرغم من أننا كنا نتقارب بالبنية الجسمانية إلا أن غضبي و كرهني له كان أعنى و هو ما كان يسيطر عليا لحظتها ، سدديت له لكلمات كثيرة بوجهه و صدره حتى أنني طرحته أرضا ، و كاد غضبي يقتله حتى أنني روحت ألكمه بقدمي في صدره و بطنه ، كان يحاول توفيق و طلعت أن يحول بيننا إلا أنهم لم يستطيعوا فقد كان بالزاوية و أنا من أمامه ، حاولوا جذبي بعيدا لكن بثورتي لم يتمكن أحدا مني ، و حين يأسوا من التخليص بيننا و كاد يلفظ أنفاسه تحت يدي و سط صرخات أمي و عمتي حملني طلعت و توفيق و معهم رجلين آخرين من رجال الحراسة حتى رفعويني عن الارض و أبعديوني عنه ، انحنى زوج عمتي و عمتي يتفقدونه خوفا من أن يكون فارق الحياة ، لكنه كان لازال يتنفس ، رفعه الطبيب بمساعدة زوج عمتي و طلعت إلى سرير متحرك ليقدموا له الاسعافات التي يحتاجها ؛ أجلسني توفيق على الأريكة وسط ذهول الجميع الذي لم يكن غادرهم بعد ، اقتربت أمي لتتفقد الدماء التي كانت تسيل من أنفي و القلق يملأها و أتت احدى

الممرضات و مسحت عن أنفي الدم و تأكدت من أنني لا أنزف سوى من أنفي بعد لكلمته لي بوجهي ، ثم غادرت جلست أمي بقربي و جلس الجميع و الصمت يخيم على القاعة بكاملها بعد تلك الدقائق العاصفة ، التي أمطرت الجميع دهشة و فزع مما حدث ، و حين رفعت عيني و أنا أمسح الدم عن وجهي ، اصطدمت عيني بسحر و هي تنظر نحوي و كلها مطرفة لا تكاد تُصدق ما حدث لا تكاد تشعر بذاتها من هول الصدمة ، فتعلقت عينيها بي و سط صمتنا الفادح و لم يكسره سوى كلمات جدي

: فليرفق الله بنا مما هو قادم فليكن هو الرؤوف بنا ، و يتفضل علينا برحمته و ليكن تدبيره بما هو آتي لنا و لا يكن علينا !

حينها همت لي لي من مجلسها و اتجهت نحوي ، أمسكت بيدي فتحتها و وضعت السلسلة بكفي فقد سقطت مني حين بدأ العراك و قد التقطتها هي ، و أطبقت على كفي بابتسامة هادئة و عادت إلى مجلسها ، فهيمت واقفا و اتجهت إلى غرفتك كي أراك و أطمئن عليك فلم تكوئي أفقت بعد ! ثم عدت و كان غادر الجميع و لم يبق أحدا سوى ميس فأبت أن تُغادر و توفيق و عمي تلك المرة فقد عادت أمي لتغتسل و ترتاح قليلا ، لكنني أصررت أن تُغادر و طلبت إلى طعت أن يُعيدها إلى المنزل فذهبت إلى الحمام أنا الاخر لأغتسل و أبدل ملابس بعد أن تمزقت من عراكٍ معه ! و قد طلبت من رجال الحراسة ألا يقرب أي أحدا غرفتك سوى الطبيب و تلك الممرضة التي اصطحبتني إلى غرفتك بأول مرة ، بعد أن أكدت عليها ألا تخبرك شيء عما حدث و أن تهتم لك و تُخبرني إن سأل أي أحد عنك ، طلبت من ميس ألا تُخبر خالتك شيء عما حدث حتى تستقر حالتك و تتحسن صحتك .

خرج كريم من المشفى بنفس اليوم فلم يكن به سوى بضع كسور خفيفة و رضوض ، لم يأتي ثانية إلى الدور الذي ترقدن به ، لكن الممرضة أخبرتني أنه حاول معرفة التقرير الذي كتبه الطبيب عن حالتك الصحية إلا أن الطبيب أخبره أنه لم يُعده بعد ، باليوم التالي تركت المشفى و معي توفيق أثناء استغراقك بالنوم فقد أكد الطبيب أنه كلما طالت ساعات نومك كان أفضل فهذا يجعلك تتخطين الوقت الأصعب فتركتك مع ميس و أربعة من رجال الحراسة و ذهبت

إلى المصنع و طلبت إلى زوج عمتي و محامي العائلة التقدم ببلاغ رسمي بصفته المحام الخاص بالمصنع ضد كريم بصفته المسئول عن المكتب الهندسي لإخلاله بنود العقد بيننا و مطالبته بقيمة الشرط الجزائي بالعقد ، و قد حرصت على أن يتقدم جميع من يدين لهم بالمال ببلاغات ضده بنفس اليوم بعد أن أوحيت إليهم بطريق غير مباشر بأنه قد يغادر مصر هرباً من سداد أموالهم ، و بالفعل صدر ضده أمر بالضبط و الاحضار و التحقيق معه ، و منعه من السفر و قد حرصت أن أشهد تلك اللحظة بنفسي حتى تهدأ نار غضبي و تخمد ثورتي بعد كل ما حدث ، ثم ذهبت إلى البيت لأغتسل و أبدل ثيابي و عدت إليك ثانية .

بعد يومين توقفوا عن اعطائك المهدئات و أخبرني الطبيب بأن حالتك في تحسن ، كاد قلبي يطير بين ضلوعي فرحاً حين دلفت إلى الغرفة و كنت مستيقظة و رأيتك تبسمنين من مزاح ميس و لي لي معك ، فكان كلناهما يُحيطان بسريك و يتشاكسون حتى يرسموا البسمة على وجهك و حين رأيتني خرجت بسمتك من قلبك ! فشاكستك ميس و لي لي تدفعها خارج الحجرة

: الان أزهر ورد خديك !

فانتظرت حتى خرجوا و أغلقت الباب لكن تلك المرة أغلقت معه ستائر النافذة المطلة على الممر ، و كانت تقف ميس أمامها بمشاكسة ، و تقدمت نحو سريك ببسمة ملئت قلبي

: أحبك

فزادت بسمتك و أنت تُحركين رأسك بألم على الوسادة التي كانت رأسك تستند إليها ، و دعبتني

: أألزلت تُحبيني و أنا مُدمرة هكذا ؟

فزادت بسمتي و قد وصلت خُطاي سريك ، فملت نحوك و شاكستك

: لأكون صريحاً ، كنت أحبك أم الان —

ثم صمت فتساءلت عينيك بصمت ' و الان ' فزاد قربي و بعد أن وضعت السلسلة حول عنقك مرة أخرى أمسكت يدك بكفي اليميني و وضعت كفي اليسرى على رأسك

: أم الان فقد اكتشفت أنني أعشقتك أذوب بخلجان عينيك الصافية ، لا أحتمل التنفس بعيداً عن صدرك فقلبي يخفق بين ضلوعك ، فماذا أفعل بكون لست أنت ملكته؟ و ما فائدة العمر إن لم تتساقط أوراقه بأحضان هواك؟ فما دق

قلبي إلا حين خلقت لي ! فقبل عشقك لم أكن أنا كان غيري يسكنني ! و بعد عشقك صرت أنا و كلي بات يعرفني !
فدونك أنا الغريب دون وطن ! أنا الطريد دون سكن ! أنا الغريق دون أمل ! لا أين لي و لا كيف ! لا أعرف لي متى و
لا يرتد لي طرف ! لا حلم لي و كلي صار بعدك طيف ! فقلبي مؤطر الأسوار بهواك صفين من عشق و صف من
اشتياق و زاد زُخرفه بغرقي في بحر عيناك ! استعصم بك النبض و تعبد بمحراب لقياك ! فترفقي بي مولاتي فماذا بعد
الغرق بهيام الغرام في العشق بيديك سألاقي؟

فأخذك الخدر و ترفقت يدك بيدي و كاد يُعشى عليك ، فانتفض قلبي فرغ عليك تخوف عقلي أنك تنفلتين مني
فتساءلت بقلق

: ماذا بك حبيتي ؟ أأنادي الطبيب ؟

: ليس لديه ما يداويني به مما تفعله بي !

فابتسمت منك و قد تنفس قلبي الصعداء و هدأ فاقتربت منك و قبلتك بثغرك قبلة قصيرة أغمضت لها عينك و حين
فتحتها كان وجهي بوجهك فتساءلت بدهشة

: ما هذا بأنفك ؟ لما يبدو متورماً ؟

: يبدو أنني من لوعة الغرام اصطدمت بالشوق فتورم قلبي ، و قد فاض به التورم حتى وصل أنفي !

فخرجت منك ضحكتك الطفولية التي اهتز لها قلبي و اهتزت معها أوراق الشجر و أزهرت بها ورود الحديقة و غرد لها
عصفور سكن نافذة غرفتك ، فسرقنتني من ذاتي و أحكمت بها أسري في هواك ، و أخذت جحيم الأيام الماضية ، و لم
أنتبه من شرودي بضحكتك إلا على صوتك

: إلى أين وصلت ؟

: وصلت إلى حديقة القصر بأول يوم رأيتك فيه و أنت تجلسين بجوار جدي ، حين سمعت ضحكتك تلك لأول مرة

فعلا الخجل وجهك و زادت حُمره وجهك ، فملت نخوك و همست بأذنك

: تلك هي التي أسقطتني صريعاً بعشقتك !

فرفعت عينك نحوي ثم أمسكت بقميصي ، و قربتني إليك على مهل و قبلتني في جيبني بخنان و أطلت بها حتى فقدت
عقلي و لم يعيده إيليا سوى طرق لي على الباب فقد أتت أمي و عمي للاطمئنان عليك

بعد عدة أيام تحسنت حالتك الصحية لكن الطبيب لم يُقر بخروجك ، إلا أنني حين علمت بأن النيابة أفرجت عن كريم بضمانة مالية ، توجس قلبي و تلك المرة لم أرغب أن أترك شيء للصدفة ، فلن أتركه يقترب منك ثانية .
فذهبت إلى المشفى ليلا قبل أن يخرج كريم بالصباح من محبسه

: هيا حبيبتي سنغادر الان .

بادرتك بما بعد أن أيقظتك من النوم ، فسألتي بقلق

: الان نحن بمنصف الليل !

فأجبتك و أنا أجمع أغراضك

: نعم الان حبيبتي ، يكفي دلال سنغادر ، هيا

: ما الذي يحدث يا ياسين ؟

: لا شيء ، لكن يكفي ملكتي المتوجة دلالاتنا سنذهب إلى البيت

صمت لم تقولي شيئا رغم تراقص كل الأسئلة بين أحداقك ، لكنك صمتي و طلبت إيليا تغيير ملابسك فأخبرت أنك
جيدة هكذا ، فابتسمت

: إنها ملابس للنوم يا ياسين ؟

: أترك بملابس للنوم ! اذن لما اعتقدتها ملابس السهرة

: لا تمزح دعني أبدل ملابسي !

فأمسكت بك من ذراعك

: إن كانت سيئة أو تُظهر من جمالكِ شيء لم أكن لأجعلكِ ترتديها من البداية ، و حتى و إن كنتِ مريضة ، هي جيدة
أيا و هيا الان حبيبي ، توقفي عن الدلال !

خرجت بكِ من باب المشفى الخلفي كان توفيق ينتظرنا بسيارته ، و بعد أن عبرنا عدة شوارع توقف على جانب الطريق
فأنزلتك و كان طلعت ينتظرني بسيارتي على جانبه ، فدلقتِ بها و تحدثت إلى كلاهما لدقائق ثم دلفت إلى السيارة و
انطلقت بها ، و ذهب كلا منهما بطريق ، فزاد توجسك و خرجتِ عن صمتك

: ماذا يحدث يا ياسين لما كل هذا ؟ و إلى أين نحن ذاهبون فهذا ليس الطريق إلى بيت ميس !

: بلى هو الطريق إلى البيت حبيبي !

فصمتِ و حين وصلنا إلى البيت ، تساءلتِ بدهشة

: أو ليست تلك البناية التي بها شقتك ؟

: هيا حبيبي و سأخبرك كل شيء حين نصعد !

هبطتِ من السيارة و أنتِ تُمسكين بي ، دخلنا إلى بهو البناية كان يجلس بها بعض رجال الحراسة الذين أتيت بهم !
تلفتي حولك حين رأيتهم ثم نظرتي نحوي بقلق لكنك صمتي ، استندتِ إلى ذراعي و اتجهنا نحو المصعد ، و ظللتِ
متكأه إلى صدري حتى وصلنا باب الشقة و زادت دهشتك حين طرقت الباب و بعد لحظات فُتح فلم تتوقعي وجود
أحد ! و حين دلفنا اتجهتُ بكِ نحو الاستقبال أجلستكِ إلى الأريكة و تركتِ حقيبة ثيابك بالأرض ، حينها رفعتِ
وجهك على صوت يُحادثني

: حمداً لله على سلامة زوجتك ياسين بك

ثم التفتت إليك ، و بابتسامة هادئة

: حمداً لله على سلامتك

فأومأت لها و اعتدلت بالجلوس جوارك ثم طلبت إليها الذهاب و تحضير الطعام فالتفتِ نحوي

: ما الذي يحدث ؟ و من تلك ؟

: تلك هي زينب و ستبقى معك هنا إلى أن تُصبحي بخير غير أنها ستعتني بك في غيابي ، أم لما كل هذا فسأخبرك كل شيء

قصصت عليك كل ما حدث منذ لحظة وجدتك غارقة بدمائك و نقلتك إلى المشفى و حتى عُدت و أخرجتك منها ، كنت تستمعين إيليا و أنتِ مُطرقة لا تنفوهي شيء و الدهشة و الخوف ملئوا محياك ، و بعد أن أنهيت حديثي ، بادرتني بحزن

: اذن الجميع الان يعلمون !

: نعم الجميع و أولهم جدي و كريم ! لم يعد هناك أسرار الكل بات يعلم

فأغمضت عينيك و قد فرت دمعة هاربة على وجهك

: لماذا تبكين الان حبيبي ؟

: ماذا تعتقد أنهم يظنون بي الان ؟ يعتقدو—

فوضعت اصبعي على فمك و بنظرة غاضبة

: ما يعرفونه أنكِ حبيبي ، غير أنني لا أهتم لرأي أحد فيكفيني أنني أعلم من هي المرأة التي أحب ، و ما الذي فعلته بي أنتِ و عنادك و كبريائك الذي كاد يقتلني ! و ما لا تعلميه أن جدي كان يعلم ما بيننا من قبل أن نعلم نحن به

فرفعت عينك نحوي و قبل أن تنفوهي بشيء اخر ، شاكستك

: لا أريد أن أسمع ما يُغضبني منك ، فأنا لن أقبل أن يتحدث أحدا عن حبيبي بطريقة لا تُرضيني ، حتى و إن كان أنتِ

فابتسمت بضيق ، ثم نظرت نحوي بخوف

: لكن كريم !

فهيمت واقفا و أنا أنزع سرتي

: ليس بيده شيء حتى يفعله ، في خلال أيام سيعود إلى السجن ثانية بعد أن يتقدم المشفى بتقريرك الطبي الذي يؤكد محاولته قتلك

: أخشى عليك منه هو لن يتوانى عن ايدائك

: لن يمسي شيء الأهم أنك ستكونين هنا بأمان فأقسم أنه لن يقربك ثانية ، و إن فعل لن يقتله غيري ، و لن يمنعني أحدا و لا حتى أنت

: ياسين -

: حبيبي كل شيء سيكون بخير ، ستظلين هنا إلى أن ينتهي كل شيء و ستظل زينب معك ، يمكنني الوثوق بها فتوفيق هو من أتى بها ، و قد أتيت ببعض رجال الحراسة من شركته ، و هم لن يُغادروا مدخل البناية كما رأيتهم ، الجميع يعلمون أنك زوجتي و هناك من يترصد بك لبعض الخلافات بيننا على عمل ما ، لا تقلقي حبيبي كل شيء سيكون على ما يرام

ثم هممت واقفا اتجهت إلى غرفة النوم ثم عدت و معي بعض الأوراق

: أريدك أن توقعي تلك الأوراق لأجلي !

فأخذت الأوراق من يدي و وقعتها ، فسألتك بدهشة

: أنت لم تقرئيها ! أو حتى تسأليني ما المكتوب بها ؟

فأملت مؤخرة رأسك إلى ظهر الأريكة من خلفك ، و بعفوية سرقت قلبي و جعلتني أوقن بكل لحظة أن المرأة التي أحببت تستحق

: أنت قرأتها ، و هذا يكفيني ياسين كي أوقع على أي شيء تريد

فغرقت بعينيك المرهقتين بجمال ساحر يغرقني ببحر حناهم الجارف

: تلك الأوراق هي من أجل المحامي لرفع قضية طلاقك من كريم و أخرى لتوليه التحقيق بمحاولة قتلك

: أنتحدث عن الأستاذ شوكت زوج عمته ؟

: كلا محامي آخر يختص بهذا النوع من القضايا ، غير أن زوج عمتي لديه قضية المصنع ، و لا أريده يُمسك تلك القضية لأجل العلاقة بين عمتي و أم كريم فأنت تعلمي ما بينهم فأردت أن أرفع عنه الحرج ، لكن المحامي الذي أتى به توفيق سينال منه و سينفذ كل ما أريد

: أعتقد أنه سيطلقني ؟

: لا يهم أن يقبل أو يرفض ! بكل الأحوال المحكمة ستُعطيكِ الحكم بعد تقريرك الطبي و محاضر القضايا الأخرى المرفوعة ضده ليس لديه خيار

هممت واقفا و أنا أساعدك بالنهوض لتناول الطعام

: المهم الان أن ميس لن تأتي إليك و لن تعرف مكانك هل هذا مفهوم ؟

فالتفتِ نحوي بضيق

: لماذا ؟

: حبيبي أنا لن أجازف قد يتبعها ليصل إليك ، إن كنتِ تبغين أن أقتله فسأجعلها تأتي إليك

فانتفضتِ

: كلا ، كلا لا أريدها أن تأتي ، فقط لا تنهز

: حسنا هذا جيد ، هيا إلى الطعام الان

: كلا لست جائعة فقط متعبة و أريد النوم

فزادت بسمتي و أنا أجلسك إلى الطاولة رغماً عنك

: ستنامين لكن أولاً ستأكلين و هذا أمر لا نقاش به ! و أنا هو من سيطعمك فلا تدللي و تُتعيينني كما تفعل جنا

فزادت بسمتك و جلستي إلى المائدة لم تأكلي الكثير بضع لقيمات لإرضاءِ ثم اصطحبتكِ إلى الغرفة ، وضعتكِ بالفرش و دثرتكِ بالغطاء كان يبدو عليكِ الارهاق و التعب و الخوف يملئكِ إلا أنني أخبرتك أنني سأظل إلى جواركِ فخلدتِ للنوم أغلقتِ الضوء و تركتِ باب الغرفة موارب ، خرجتِ إلى الشرفة أشعلت سيجارة و وقفت أراقب سكون الليل و تكاد أذناي تسمع جريان النيل ، جلست إلى الكرسي أكثر من ساعتين و النوم يُجافيني و كليي يعمن النظر بنجوم الليل و هي تسابق نسيمات الهواء العليل ، و التساؤلات بعقلي تتسابق كدوامات تتقاذفها رياح التفكير بما هو قادم ! لم يستعدني من غفليتي سوى صرخاتكِ المفزعة ، فركضت نحو الغرفة كنت تصرخين كطفل صغير فقد أمه أم كطفل فقد طفله ! أضئت نور الغرفة و اندفعت مسرعا إلى السرير ضممتكِ إلى صدري و حوطتك بذراعي فتشبتتِ بهما كغريق

يمسك بقشة نجاته وضعتي رأسك على صدري و دموعك تجري بمآقيك ، بعد دقائق بدأ يجبو فزعك و تهدأ موجة رعبك ، أخبرتني أنه كابوس أفرعك طلبت إليك أن تخبريني به إلا أنك رفضت بفرع أكبر و زاد تعلقك بذراعي فصمت لم أشأ الضغط عليك ، اعتصرتك بين ضلوعي و أنا أهدأ من روعك إلى أن خمدت نيران فزعك و عُدت لنوم لكن تلك المرة توسدت فخذي و كل ما بك ينتفض ، و أنا أربت على كتفك إلى أن غفوت و ظللت على حالي إلى أن غفوت أنا الآخر و أنت تتوسدين فخذي .

بصباح اليوم التالي التقيت المحامي أعطيته الأوراق ، و بنفس اليوم بدأ بالإجراءات لدعوى طلاقك من كريم غير أنه شرع بقضية اتهامك له بمحاولة قتلك أولاً

عدت مساءً إلى البيت كان كل شيء بالبيت غير مستقر ، لم يكن الجميع راضياً عما حدث خاصة أعمامي إلا أنهم لم يتحدثوا أمامي بشيء ، أخبرتني لي لي أنهم تحدثوا مع جدي و هو رفض تدخل أي منهم بالأمر ، لم يكن هو الآخر راضياً عما يحدث إلا أنه حاول تقبل الأمر فيعلم أنني لن أكف عنك و أنه لم يعد هناك مجال للتراجع و الأهم أنه حاول السيطرة على الأمور فهو الآخر كان يخشى رد فعل كريم ، يبدو أن الجميع كان يتوقع ما فعله لاحقاً إلا أنا !!

مرت عدة أيام هادئة لكن هدوئها بدا مخيف ، لم يهتم كريم بالقضايا الأخرى المقام ضده لم يكن يفكر بشيء سوى كيف يصل إليك ، كان يُفتش عنك بكل مكان ذهب إلى ميس يحاول إيجادك و تبعها بضع أيام على أمل أن تأتي إليك ، سافر إلى خالتك ، اقتحم مزرعة الخيل على أمل أنك تختبئين بها ، فتش عنك ببعض الفنادق ، كان يراقبني عن كثب فهو كالجُميع يعلم أنني أعلم أين أنت إلا أنني كنت حريصاً حين كنت أتي إليك ، لكن ما زاد جنونه حين وصلته دعوى طلاقك منه و بنفس اليوم تم القبض عليه لاثامك اياه بمحاولة قتلك !

حضرت أمه إلى القاهرة بعد أن علمت أنه تم القبض عليه حاولت الوصول إليك لكنها فشلت ، لكنكما تقابلتما بالنيابة حين ذهبت لتدلي بشهادتك ضده أردت الذهاب معك إلا أنك رفضت فذهبت معك ميس و اثنين من رجال الحراسة ، لكنني لم أحتمل فتبعكما بسيارتي دون أن تعلمي و انتظرت خارجاً حتى ينتهي كل شيء ، أخبرتني ميس أن أمه حاولت التحدث معك لكنك لم تقولي لها سوى جملة واحدة أفقدتها النطق ' ابنك قتل ابني ' و أدرت لها ظهرها و رحلت ، أخبرتني عمتي أنها لم تكن تعلم شيء عن أنه دفعك عن السلم أو أنك فقدت الجنين ، حينما شاهدتك تُغادرين النيابة غادرت إلى البيت و قد وصلت قبلك ، فحين دلفت وجدتني أنتظر فارقيت بين ذراعي و أجهشت

بالبكاء حزنا و خوفا ، حزنا على كل ما مر بك من ألم و ما تذكرته و أنتِ تدلين بشهادتك و خوفاً من القادم فقد أربعتك نظرات كريم و وعيده لك حين التقاك بالنيابة ، هدأت من روعك و أخبرتك أنها مجرد تهديدات لا تخرج عن كونها لإخافتك فقط ، إلا أنني اكتشفت لاحقاً أنها أكثر من تهديدات !!!

حين تركتك و عدت إلى البيت أخبرني جدي أن والدة كريم أنتِ إليه ، تريد منه العون لإخراج ابنها مما هو فيه ، أخبرته أنها ستجعله يطلقك فكان من الخطأ قبولها بزواجكما من البداية خاصة أنها كانت تعلم بإجبارك على زواجه ، قالت أنها شاركت بكل ما حدث بصمتها على أفعاله من البداية ، و أنها كانت تتوقع أن ينتهي زواجكما بأزمة لكنها لم تعتقد أن تكون بهذا الشكل ، جاءت ترجو جدي اخراجه من السجن بأن يجعله يطلقك دون اللجوء إلى المحكمة و تتنازلي عن دعواك بمحاولته قتلك ، و أتنازل عن دعوى المصنع و ستعمل هي على انهاء باقي مشاكله وتعيده مرة أخرى إلى إنجلترا و ننهي تلك الخلافات ، بالبداية لم أوافق بالرغم من أن جدي كان مرحباً كثيراً بهذا الحل ، و حين أخبرتك بما حدث رحبت أنتِ أيضاً و رجوتني أن أقبل و أمام اصرارك و رغبتني بإنهاء كل هذا الصراع بأسرع وقت فقبلت ، إلا أن أمه وجدت صعوبة في اقناعه بهذا ، لذلك طلبت إيليا الذهاب إليه لا أعلم أكانت الحماقة أن تطلب أم أن الحماقة هي قبولي الذهاب !!!!!

بالفعل ذهبت لمقابلته ، و لا أعلم حتى الان لماذا ذهبت إليه أحقاً توقعت قبوله لتخطي الأمر ، أم فقط كنت أريد رؤيته و هو غارق بخسارته

: أنت !

بادرني بما حين دلف إلى غرفة مدير الأمن و وجدني من بانتظاره ، فهممت واقفاً و بعد أن مرت صحاري الصمت بيننا بادرته

: كيف حالك يا كريم ؟

فنظر نحوي بغضب و تحدث إلى العسكري خلفه

: أريد العودة إلى الحجز ثانية !

لم يجيبه تركه ثم خرج و أغلق الباب خلفه ، و قفت قبالة ثم جلست إلى الكرسي بجوار الطاولة و جلس هو إلى الكرسي المقابل لي

: أنا هنا لأجل الحديث عن إيما

فرمقني بنظرة غاضبة

: زوجتي

: ليس لوقت طويل

: كلا لن يحدث هي زوجتي و ستظل إلى الأبد ملكي

فاعتدلت بجلستي ، و مهدوء وضعت ساق على الأخرى

: لازلت لا تعي أن ما من أبد في هذه الدنيا ، كل شيء بالحياة يحتمل التغير و الانقلاب حتى على ذاته ، فهي متقلبة فسيحانه من له الدوام

فثارت أحداقه من هدوئي ، فضرب الطاولة بكفه

: أنت من ورطني بكل هذا حتى يستطيع الحصول على زوجتي المصون ؟

فزادت بسمتي و أنا أحرك رأسي يمينا و يسارا بروية

: هل تصدق نفسك هل حقاً تصدق أنني من فعل بك كل هذا ؟

: و هل يوجد غيرك ؟ أنت من فعل بي كل هذا ياسين !

فههمت واقفا و أنا أشير إليه بيدي

: دعني أصحح لك ما تعتقد و أخبرك بما توقعن به بداخلك لكنك تحاول الهروب منه كعادتك ، تحاول إلقاء اللوم على غيرك ، فمنذ الصغر و أنت ترتكب الحماقات و الأخطاء و تلقي بما على أكتاف غيرك !

: أحقا ، عشقك لزوجتي هو خطأي !

: كلا عشقي لها ليس خطأ أيا منا ، لكن كرهها لك فهو خطأك فكان هذا تدبيرك و ليس من تدبيري

ثم صمت لحظة و اتكأت لحافة الطاولة

: أم الباقي لنكن صادقين أنا لست بريئاً تماماً منه ، لكن لنقل أنني وضعتك بأول الطريق فقط لكنني لم أجبرك السير به ، لا أنكر أنني ألقيت بالطعم لكنني لم أجبرك التقاطه ، قد أكون رتبت لبعض العوائق بمواعيد التسليم بعض العثرات

مع المقاولين ، لكن لست أنا من أجلسك إلى طاولة القمار لتخسر بها أموال من المفترض أنها لإنجاز العمل ! ليس أنا من ورطك بتوقيع شيكات و ليس لديك رصيد يغطيها ! أنا حتى لم أقحمك من البداية بإدارة عمل لا تعرف عنه سوى اسمه !

ثم عُدت و جلست إلى الكرسي أمامه و وضعت يدي فوقها

: ليس أنا من قتل عدنان و جعل اخوته يطاردوك

فركض الحنق بأحداقه ، فزدته

: فحقيقة لم أخطط أن تقتل ابنك .. أنت تعلم أنها فوضاك وحدك ، تعلم كم أنت بارع بإفساد كل شيء ! بالحقيقة أنت لم تحتاج أي مجهود لإفساد حياتك ، أتعلم لماذا ؟

صمت لحظة و ابتسمت له

: لأنك قمت بهذا على أكمل وجه !

فأطرقت عينيه إلى الطاولة و سألني و هو معلق النظر بها

: ماذا تريد الان ؟

فأجبت بهدوء كان يُزيد سخطه

: اعتبر أنني هنا لأجل صفقة بيننا ، صفقة سنختم بها الشراكة بيننا إلى الأبد !

فرفع عينه نحوي و الغضب ينتفض بها

: أنت ستطلقها و أنا سأخرجك من هنا ، و أعيدك إلى إنجلترا إلى الأبد

فابتسم بغيظ ، و بدأ يخونه غضبه

: لن يحدث أنا لن أطلقها ، ايما زوجتي و لن أتركك تحظى بها ، بل و سأقتل كلاكما لخيانتي يا ياسين

فتمسكت بهدوئي مما زاد غضبه

: هي لم تخنك بما تمتلك منها ، أم الذي لا تمتلكه أنت فامتلكته أنا

فهم واقفاً وضع كفيه على الطاولة و هو يميل نحوي و يود لو يقتلع رأسي

: لن أفلتها ، و لن تكون لك

فاتكأت إلى ظهر الكرسي و شبكت ذراعي فوق صدري

: يبدو أنك لا تنظر حولك جيداً ، شئت أم أبيت أنت ستطلقها ، أعتقد بكل تلك القضايا ضدك كم سيستغرق

القاضي في التفكير قبل أن يطلقها منك خمس ثواني !!

صمت لحظة ثم هممت واقفاً قبالتة ، و ملت نحوه و بنظرة حادة

: بعد إعادة التفكير بقاتل ابنه ثلاث ثواني ستكون كافية

تبادلنا النظرات الصامتة بكره ملاً كلا منا تجاه الآخر فود كلانا لو قتل الآخر لحظتها و يا ليتني فعلت تلك اللحظة !!!

و قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة دخل مدير الأمن ، و حين رأنا على هذا الوضع توجس قلقاً ، فأمر بإعادة كريم

إلى محبسه فخرج كلانا إلى الممر مُغادراً بطريقه و كنا باتجاهين متعاكسين ، و قبل أن يُغادر وقفت قبالتة

: أعد التفكير إنه عرض لمرة واحدة ، و هذا فقط لأجل أمك لا شيء آخر

فبادلني النظرة بغضب

: أنت لا تستحقها

فابتسمت و أنا ألتفت مغادراً

: و هل كنت تستحقها أنت ؟

و بعد أن خطوت خطوتين ناداني

: ياسين

فتوقفت و لكنني لم التفت إليه

: أعلم أنك لم تقرّبها سابقاً !

فلم أجيب

: و أعدك أنك لن تقرّبها لاحقاً ما حييت !

فهمت مُغادرا

: لنرى بهذا الشأن :

غادرت و كلي كان مُتلهف لإصراره الرفض ، لا أعلم لما لكن نظراته أخبرتني أنه إن خرج لن يكون هذا جيداً ، لم أكن أعلم أنه بكل الأحوال يُرتب لشيء ما ! و بالفعل أصر على رفضه ولم يقبل بأن يُطلقك دون اللجوء للمحكمة ، أقنعني جدي بالتنازل عن قضية المصنع لأجل أمه و يكفي ما يُلاقيه من نتائج حماقاته ، غير ما قد يُوقع عليه من عقوبة للشروع بقتلك . و لم يمر وقت طويل حتى تم الحكم بقضية طلاقك منه ، و ثارت ثورته و أصابته حالة من الجنون باليوم الذي عُقدت به جلسة الطلاق لأن الحكم كان بطلاقك منه ، لا أعلم كيف له أن يتوقع غير ذلك بعد كل ما حدث

شعرت ذلك اليوم بسعادة ملأتني حتى العنان ، فشعرت بأن عشقي لك فُك أسره لأول مرة ، غمرني الفرح و السرور حتى كادت تتوقف دقاقي ، فبات طريق المستحيل بيننا الان خطوة ، فبعد أن انفكت عنك قيوده ما عدا يمنعي عنك شيء ، اعتقدت أن زماي ابتسم لي اعتقدته بات صديقي الذي لن يخونني ، إلا أن غدره بي كان أسرع من رأفته بحالي !!!!

مرت عدة أسابيع و أنا غارقا بسعادي بمرور الأيام لتقربني إليك ، و أيضا غارق بين التجهيزات لإعادة العمل بالتوسعات ، لكن تلك المرة مع أكبر الشركات الهندسية و بالفعل كان بدأ العمل بها ، و كنت منهمكاً بإنهاء بعض متعلقات العمل الاخرى فكانت تمر بضع أيام دون أن أظفر برؤيتك ، بذاك اليوم اتصلت بك و أخبرتك أنني سأراك باليوم التالي ، و عُدت إلى البيت منهك من كثرة الأعباء

: مساء الخير عُدت متأخرا الليلة ؟

بادرتني بها أمي حين دخلت

: كان لدي بعض الأعمال الهامة

: إلى أين أنت ذاهب ؟

فأغمضتُ عيني بإرهاق ، و كنت أنام بالمكتب منذ ما حدث من زوجتي المصون و لأحظى بقربك حين كنت تسكنين تلك الشرفة

: أعتقد أنني سأذهب للفراش

: أستظل تنام بالمكتب ؟

فلم أُجب فبادرتني بغضب

: لست مرتاحة يا ياسين فأنا لا أتحمّل أن أراك هكذا، أعلم أنها أخطأت لكنها ندمت وهي زوجتك -

و قبل أن تُكمل قاطعتها بجدة

: اذا لم تكوني مُرتاحة يا أمي ، إذن سأريحك مني و سأبحث عن مكان آخر لأنام به .

و قبل أن تقول شيء هممت مُغادراً حاولت ان تستوقفني لكنني لم أتوقف !

تركت المنزل و خرجت اعتقدت أنني سأذهب إلى توفيق ، لكنني لم أفعل فقد ظللت أقود السيارة وسط الشوارع على غير هدى ، فقط أطوفُ بها أحسست كلي منهكا حتى رست مراكي بشاطئك ، فانتهدت سبلي ببابك و تقطعت بي الأمانى و الأوهام بين يديك !

جئتكِ و لا أعلم كيف و لا لما ؟ فقط أخذتني قدماي إلى بابك فدققت الجرس ، أتت زينب و فتحت لي الباب ، و جاء صوتك من الداخل يتساءل بقلق

: من بالباب ؟

: إنه ياسين بك قد جاء

فتقدمت نحوى بلهفة و أنا أدخل إلى ساحة الاستقبال

: لقد عدت

: أعتقد أنه يجب أن أغادر أولاً ، حتى أفكر إن كان باستطاعتي العودة أو لا و يبدو أنني لا يمكنني المغادرة ، لا يمكنني الابتعاد عنك !

فابتسمت و قد هدأت نيران قلقك

: أتحدث بجديّة ، أخبرتني أنك لن تأتي اليوم سيتساءلون عنك ؟

فجلست إلى الأريكة

: لا تقلقي لن يتساءل أحد عني ، و لكي يطمئن بالك فلقد ذهبت إليهم إلا أنهم طردوني ! فلا يريدني أحد و أخشى أن تطرديني أنت أيضا ، فإن لم تكوني تريدني حينها سأهيم على وجهي بالشوارع أبحث عن من يأويني !

فعلت ضحكتك و أنت تهمين للجلوس إلى الكرسي

: يا الهي هل وصل بك الحال إلى أن تفتش عن من يأويك ؟

: يبدو كذلك فلم يعد يريدني أحد ! فماذا عسى أفعل ؟

فرفعت حاجبك و شاكستني برقة

: أعتقد أن هناك أحد يمكنه أن يرأف لحالك أيها الشاب المسكين !

: هل لي أن أعرف من ؟

فنظرت نحوي بدلال أسر قلبي و سلب عقلي

: لا أعلم إن كان يكفيك قلبي !

فرفعت يدي إلى السماء

: اذن فقد غمرني ربي برحمته و فضله و أعطاني أكثر مما سألت

فزادت بسمتك و فاض بوجهك الخجل ، و هممت واقفة

: إلى أين تذهبين ؟

: بالطبع أنت لم تأكل ! سأحضر لك شيء تأكله .

: كلا فلا أرغب بشيء

: و ان قلت لك لأجلي ؟

فنظرت لكِ باستسلام

: حسنا ، لكن استريحي أنتِ و لنسأل زينب تعد لنا شيء ؟

فزادت بسمتك بعين تغمرها السعادة و الحب

: و إن كنت أرغب بأن أعده لك بنفسي ، فستأكل الليلة من يدي

: يبدو أنني سأتوج ملك الليلة على عرش الكون

فعلت ضحكتك و أنتِ تتجهين نحو المطبخ

: أتمنى أن يظل هذا رأيك بعد الأكل

فشاكستك و أنا أتبع خطاك

: فقط لا تتبعي وصفات لي لي في المطبخ

: كلا لن تصل إلى المشفى أعدك

فاتكأت بذراعي إلى الجدار بجاني

: إن كان على يديك فلا مانع لدي

فابتسمتِ و أنتِ تنظرين نحوي برقة خطفت قلبي ، و قمت أراقبكِ و أنتِ تُعدين الطعام و عيني مُعلقة بكِ و بكل

خطوة منكِ ثم تقدمت داخل المطبخ ، ووقفت خلفك

: أحبك

: ياسين

: أنا فقط أرغب بأن أكون قريب منكِ ، فأحس الأمان و أنتِ قريبة مني .

فابتسمت و أملت رأسك ، فسألتك بحيرة

: ماذا هل قُوت شيء مضحك؟

: كلا ، لكن أنا أيضا لم أشعر بالأمان سوى و أنت قربي

ثم أسبلت عينيك خجلا ، فشاكستك

: هل لي أن أطلب شيء ؟

فنظرت نحوي بصمت متعجب و أملت رأسك قليلا و عينيك تتساءل عن طلبي ، فاقتربت منك تلمست بأناملي اليمنى أمواج شعرك و تعلقت عيني ببحرك ، فشعرت بأنك أدركت مطلبي حين طالت نظرة شغفي بك فاتكأت إلى حافة الطاولة من خلفك ، لم أقل شيء ترددت لحظات لم أعلم أزيد في قربي أم أكتفي فلا أشأ أن أغضبك ! لكن عينيك كانت مستسلمة لي فزاد اقتراي منك و على غير عادتك لم تمنعيني ! فزادت جرأتي و زاد الاشتياق بقلبي سافرت أصابعي بين خصلات شعرك حتى وصلت جبينك ، لمع خجلك بين حنايا وجهك البسام ، أملت رأسك قليلا للأمام فتعلقت عيني بثغرك فشعرت بك تحيطيني من كل اتجاه ، أسبلت جفنيك و رفعت يديك و لمست بأطراف أناملك اليسرى صدري على مهل حتى منبت عنقي ، فملت نحوك أغمضت عينيك حوطتك بذراعي اليسرى قربتك أكثر إيليا على مهل ، التقت شفتك السفلى بين شفتاي رُحت أقبلك ، فالتفت يدك اليمنى حول عنقي و دثرت أناملها بين خصلات شعري فزدت في احتضانك حتى أصبحت لصيقة ضلوعي ، كانت قبلة طويلة هنا بها قلبي بلهفة اشتياقه اليك و الى دغدغة شهوة قلبي و عقلي في عشقك ، قبلتك سابقا لكن تلك كانت غير أي منها ، تلك المرة شعرت بك لي وحدي لا يُشاركني بك أحد ، حتى أنت كنت تختلفين عن سابقها فبكل مرة كنت تتمنعين ، كنت أشعر أنك تبادليني القبلة خائفة أو مرغمة ، تلك المرة بادلتني القبلة باشتياق لي كانت تغمرك لهفة عشق تغزوك شهوة للغرام بيننا ، شعرت بك تُحلقني بي بين النجمات تُسافري بي إلى السموات تُغرقيني ببحور العشق و الغرام ، لحظتها كانت كافية لك و لم تكفيني ! وقت برغبتك في الهوى و لم تُوفيني ! كفت قلبك من الشوق ارتواء و لم تكفيني ! لكنني حاولت الاكتفاء لأجلك !

تناولنا الطعام و جلسنا بالشرفة بعض الوقت ، ثم دخل كلا منا حجرته للنوم ، و بعد أن استلقيت بالفراش أُحاول النوم لم أستطع ، رغم سعادتي الغامرة لقربي منك و فرحي بقرب انتهاء كل هذا الصراع بأن تكوني لي ، فلم يُعد يفصلني عنك سوى جدار و بضعة أشهر حتى تنتهي عدتك منه و تكوني لي للأبد ، إلا أنني تقلقلت بفراشي كانت تسري بباطني رعشة كلما تردد صدى صوته لي و نظراته ' لن تكون لك ' حاولت تجاهل قلقي و توجسي إلا أنني لم أستطع ،

فكان بصدري شيء ينبئني بأن شيء سيء سيحدث ! إلا أنني لا أعلم ما هو و هذا أكثر ما أرقني ، لكنني بالنهاية تغلبت على ظنوني و دفتتها داخلي فلا أشأ أن تُفسد سعادة قلبي بقربك ، و انقضت ليلتي و أنا على ذاك الحال تتقاذفني الأحلام و العشق و الشوق لما هو قادم بتحقيق أحلامي بأن تكويني لي تارة و خوفي و ظنوني تارة ، حتى علت الشمس سمائها و افترش نورها أرض الغرفة ، فهيمت خارجا و بعد أن فتحت باب الشقة أغلقته و عدت إلى الداخل و قفت أمام باب غرفتك أمسكت مقبض الباب لحظات ثم أدبرته بهدوء ، و دخلت إلى الغرفة أسرق الخطوات فكنت مستغرقة بالنوم ، اقتربت منك و قفت بضع دقائق أرقبك و أنت نائمة ، ثم انخبت نحوك و طبعت قبلة حانية على جبينك ، تقلقت لها لكنك لم تستيقظي ، فابتسمت منك و عدت أسرق الخطوات حتى خرجت .

قلبي مؤطر الأسوار بهواكِ صفين من عشق و صف من اشتياقِ ، وزاد زُخرفه
بغرقي في بحر عيناكِ ! استعصم بكِ النبض و تعبد بمحراب لقياكِ ! فترفقي
بي مولاتي فماذا بعد الغرق بهيام الغرام في العشق بيدكِ سألاقي ؟

مرت ثلاث أيام متتالية لم أستطع الحضور إليكِ بسبب تأخري بالعمل ، و لازالت الرعشة بباطني لا تُفارقني
و لازلت أتغالب على خوفي الذي لا أعلم لما أحكم أوتاده بي ، لعل قلبي كان يشعر بما هو قادم !

تحسنت الأمور كثيراً بالبيت حتى أنني تحدثت و سحر بضع مرات ، تقدم توفيق لخطبة لي لي و قد رحبت أُمي و أقنعت جدي بالموافقة إلا أنه أصر على تأجيل كل شيء حين أن تُتهي دراستها ، التجهيزات بالمصنع كانت تسري بشكل جيد و أسرع من المتوقع ، كل شيء هادئ ، و أبدى زماني بعض الرأفة بي فطلب إيليا جدي احضارك للتناول الغداء بالقصر ، و التحدث بشأن التجهيزات لزواجنا فهو يعلم أنني لن أترجع عن زواجي منك ، و قد أصبح وجودك بحياتي أمر واقع لا يمكن تغييره أمر لابد و أن يتأقلم الجميع معه ، كانت أُمي و لي لي سعيدتان بهذا خاصةً لي لي أم سحر فلم تكن سعيدة بما يحدث إلا أنها لم يكن لها حق الاعتراض ؛ و بالفعل اتصلت بك صباح اليوم الرابع بعد أن وصلت المصنع كانت ميس تجلس معكِ ! تحدثت إليك لأخبرك أن جدي يريدك أن تذهبي للقصر بهذا اليوم إلا أنك أخبرتني أن لي لي سبقتني إليك و قد حدثتِك أُمي و طلبت إليك الجيء ، بالطبع اغتظت منهما إلا أنني كنت سعيدا جدا بهذا ، إلا أن سعادتي لم تدم طويلا !!!!

انقضى يومي الطويل بين اجتماعات و لقاءات كثيرة كانت عيناى معلقة بالساعة ، أخشى أن أتأخر على موعدك ، اتصلت بك أكثر من مرة كلما اختلست لحظات بمفردي لأطمئن عليك ، و باخر اتصال أجابت ميس الهاتف و راحت تُشاكسني و طلبت إيليا أن أكف عن الاتصال والقلق و أنك ستنتظرنيني بالموعد ملكة متوجة بانتظار أميرها ، فابتسمت و أغلقت الهاتف و غادرت مكنتي لاجتماع مع العمال .

قبل الموعد انهيت عملي و هممت مُغادراً متجهاً للقياك ، حينها انتبهت أن هاتفي نفذت بطاريته لكنني لم أعيله بالا ، غادرت المكتب و بعد أن وصلت باب المصنع الخارجي و هبط درجة من السلام الخارجية و لم يعد يفصلني عن سيارتي سوى بضع خطوات استوقفتني أحد الموظفين لشيء يخص العمل ، حينها توقفت سيارة أجرة بجوار سيارتي و حين رفعت عيني نحوها وجدتك أنت من تهبطين منها بملابس البيت و حافية القدمين !! فوقفت مُطرق و قبل أن أهبط درجة أخرى ركضت أنت نحوي بخوف ملاً وجهك ، و بعد أن بدأ يعود إيليا رشدي من مفاجأة قدومك على تلك الحال هبط درجة أخرى فتلاقينا بالمنصف كنت أمامي مباشرة ، لكنك كنت ترتفعين عني درجة من السلم و كانت عينيك تمتلي خوفا و تزرزف الدموع ، فأمسكت بيدي و كل ما بك ينتفض و قبل أن يتفوه كالانا بشيء سمعت صوت مدوي هز الأرجاء التفت عليه الجميع ، فزع الكون لحظات ثم سكن بعدها كل شيء ، و سقط كالانا أرضا !!!!!!!!

سكن كل شيء و سكنت معه الحياة ، هداً الكون بصخبه توقف الزمان بتلك اللحظة التي لم أكن أعني خلالها ما الذي يحدث ! فأخر ما رأيته الدماء تنفجر من صدرك و تسقطين بين يدي ، و شيئاً خرج من صدرك و اخترق صدري بجوار كتفي الأيسر ، حينها أحسيت رأسي أنظر لصدري رأيت الدم يخرج منه و بعدها لم أشعر شيء ،

لكنني لم أغب كلياً عن الوعي ، فكننت بين الإفاقة و السكرة ، فقد عُدت بضع مرات للوعي و كنتِ بجواري حاولت يدي الوصول ليدك لكنني لم أستطع ، بكل مرة كنت أعود بها كانت تتعلق عيني بكِ كنتِ مستلقية بجواري لا تتحركي و أنفاسك تُغادرك ، يحاولون إيقاف الدماء التي تخرج منكِ بغزارة حتى غبت تماماً عن الوعي ، و حين عُدت ثانية للوعي و فتحت عيني لم تكوني أنتِ بجواري !

كان جدي يجلس بجواري و يُمسك بيدي نظرت حولي وجدتني بغرفة تبدو كالعناية المركزة ، كنت لا أشعر بجزء كبير من جسدي ، و كان كتفي الأيسر مُعلق إلى صدري الذي بدأت أُحس بأعلاه الألم ، لكنني لم أكن أكثرث حينها سوى لمعرفة أين أنتِ ؟ فأخبرني جدي أنكِ لم تخرجي من غرفة العمليات بعد ، حينها علمت أنني غبت عن الوعي ما يقرب الأربيع ساعات ، دخل طبيب و كنت أعرفه فهو أحد أصدقاء جدي أمسك بيدي اطمئن على نبضي و تفقد صدري و كتفي اليسرى و شاكسني

: لم يستطع أحد ابعاد جدك من جوارك ، رغم أن هذا ممنوع و لا يجوز دخوله إلى غرفة العناية المركزة ، لكن من نحن كي نمنع حافظ بك عن أعز أحفاده !
فتساءلت ، و أنا أُحاول النهوض

: ايما ! أين هي ؟

فأمال رأسه و بدا على وجهه حزناً زاد ألمي

: لم تخرج بعد من غرفة العمليات ، فإصابتك ليست سيئة فلم تستغرق وقتاً بالداخل أما هي .. فليكن الله معها ، لكن اطمئن بالداخل أكبر أساتذة الجراحة فجدك استدعى كل طبيب بمصر لأجلكما

حاولت النهوض إلا أنني لم أستطع ، فأخبرني أنه تأثير المخدر أثناء العملية و أنه سيزول شيئاً فشيئاً

: ما الذي حدث ؟

فنظر إيليا و بحيرة

: لا يمكن لأحد الجزم ، لكن من الحال التي وصلتما عليها فكانت رصاصة واحدة اخترقت كلاكما ، أو بمعنى أدق فقد اخترقت صدرها من الجاب الأيمن و استقرت بكتفك اليسرى

ثم نظر نحو جدي

إن كانت تلك الطلقة موجهة نحوك و لم تعترض بجسدها مسارها كانت استقرت بقلبك ، لكن هي حالت دونك و دونها غير أنك تحركت فاستقرت بأعلى صدرك بالقرب من كتفك اليسرى لكنها كانت فقدت قوتها فلم تسبب ضرر كبير ، فبإذن الله ستكون بخير و بنهاية اليوم سنخرجك إلى حجرة عادية

فسألته بقلق و خوف ملاً صدري

: هل حالتها سيئة إلى هذا الحد ؟

فوضع يده على كتفي

: تفاعل يا ياسين و تمسك بالله ، و لتشكره على قضائه ، و من رحمته بكلاكما أنها لم تُصيبك بالقلب فلكان نفذ قضائه بك و أنها اخترقت جانبها الأيمن بعيدا عن القلب ، فلتدعوا لها الان .

خرج بعد أن حاول ثانيةً اخراج جدي لكنه فشل ، ظل جدي صامتاً لا يقول شيئاً فقط يضع كفيه فوق عصاه و اتكأ بذقنه إليها و هو مُطرق الفكر لا أعلم أين حطت به مراكب أفكاره ، لكن أعلم أين حطت بي أنا فلم يكن هناك سوى شاطئ واحد فقط ، و من غير كريم له يد بما حدث فمن غيره يريد قتل كلانا ، فقد فعلها سابقا و لم يفعلها غيره الان ، لكن كل ما شغل عقلي لم أتيت لحظتها ، كيف علمت ما نوى ؟ لما ساقك قدري حينها لتتقدي عمري و يسرقك هو مني و يسرق معك روحي ؟ كان كلي لا يُحس ألم الطلقة التي استقرت بصدري إلا أنها اخترقت قلبي ، فلم أشعر سوى ألم قلبي و ضيق بصدري رهبةً و خوفاً من ضياعك ، عادت نيران الفقد تلوح لي بحرمانك و عادت رعشة خوفي تلتهب بباطني و تسحب معها روحي و تستنزف أنفاسي ، و بعد وقت لم يكن بالطويل إلا أن ثقله على قلبي جعله يبدو دهنراً عاد الطبيب ليُخبرني أنك خرجت من غرفة العمليات و أنه يأمل بأن تستقر حالتك ، لم يطمئن قلبي بالقدر الذي كان يحتاجه فظل يدعو الله أن يُعيدك إليا أن يلطف بقلبي و عقلي فليس بي ذرة تحتل ضياعك تحتل غيابك عني ، و ظلت لحظاتها معا تجول أمام عيني ظلت عينيك الباسمة تبثُ بي الأمل و تُهدأ من نيراني ، تُحيطني ضحكاتك و تطوقني يداك و تسري أنفاسك بين ضلوعي ، فشعرت كفك على كتفي تُطبق عليها و عينيك تبتسم لي ، تُخبرني أنك هنا إلى جوارِي و لن تُفارقيني !

خرجت من العناية إلى غرفة عادية لكنني لم أمكث بها سوى بضع ساعات فحين استعدت وعي بالكامل و استطعت الوقوف بعد زوال المخدر من جسدي ، ذهبت إلى غرفة العناية التي كنت ترقدن بها ، و بعد نوبة جنون أصابتي حين منعوني رؤياك ، سمح لي الأطباء بالاقتراب منك لدقيقة واحدة ليطمئن قلبي ، أمسكت بيدك و قبلتها ثم أخرجوني ،

كانت أمي مستاءة لرفضى المكوث بالفراش فتراني بحال سيئة ، لكنني طمأنتها و أخبرتها أنني بخير و أمام اصراري رضخت لتركي كما أشأ ، و حين رأيت ميس فكانت هي آخر من كان معكِ

: ما الذي حدث ؟ لما أتت إيليا بتلك اللحظة ؟

كانت تبكي و هي تقول لي

: كنا بالغرفة نختار من بين ثيابها ما الذي سترتيه لتلافيك ، حين رن هاتفها خرجت تركض لتجيب اعتقدت أنه أنت لكنه كان رقم لا تعلمه ! فأجابت و حين سمعت صوت المتصل تسمرت بموضعها لم تحرك ساكنا ، نظرت إليها و سألتها من ؟ فلم تجيبني ، كانت بعالم اخر كل ما بها كان متجمد و بعد دقائق بسيطة سقط الهاتف من يدها ، حين أمسكته و تساءلت من المتصل جاءني صوت كريم و هو يضحك فأغلقت الهاتف ، و حين استعادت نفسها من حالة الصدمة التي كانت بها ، نظرت نحوى و قالت أن كريم أخبرها أنك سترسل اليوم تحياتها إلى عدنان ! حاولت الاتصال بك عدة مرات لكن هاتفك كان مغلقاً ، فجئن عقلها و خرجت تركض حتى دون حذاء فروحاً أفتش عن مفاتيح السيارة بحقيتي بالغرفة ، و حين هبط لم أجدها سبقتني إليك ، و سبقت يد القدر إليها !

جلست أمام غرفة العناية التي ترقدن بها ، لم أفارق باب غرفتك لثلاث أيام مُتتالية كنت أقف بالساعات أمام نافذتها الزجاجية معلق بكِ و أنتِ مستلقية إلى الفراش ، لم يكن يطمئن الأطباء لحالتك الجميع كان متخوفاً لا يقول شيئاً ، باليوم الرابع أفقت لحظات بدا القلق على وجه الأطباء و هم يركضون دخولا و خروجاً من الغرفة ، فتعلق كلي بنافذة الغرفة فبدا أن حالتك تدهورت فجأة و كاد قلبك يتوقف ، كنت أتشبث بالزجاج بيدي و كلي يحاول التشبث بكِ يرحوكِ ألا ترحلي و تتركي ، يتوسل إلى الله أن لا يجرم قلبي وجودك ، و عيني لا يرف لها جفن و هي تراهم يحاولون إنعاش قلبك بجهاز الصدمات الكهربائية ، حينها لم أكن لأحتمل أكثر جلست إلى الأرض انزويت عن الجميع بجانب قدم جدي ، صمت لحظات و بداخلي بركان يصرخ ، فأحسك تتسربين من بين يدي ، أحسك تخطين بعيداً عني و تأخذين روحي مني ! حينها بدأت أحس قلبي ماء يسيل بين ضلوعي ، أسمع بكاء صدري و صرخات نبضي فوضع جدي رأسي على ركبته و هو يمسح بكفه على شعري يُحاول طمئنك كلي الملتاع عليكِ ، فما احتملت لحظتها و روحت أجهش بالبكاء كنت أبكي كطفل صغير راح يفقد أمه ، تلك كانت المرة الأولى بحياتي التي أبكي بها ! فيوم مات والدي نهاني جدي عن البكاء لكنه لم يستطع اليوم أن ينهاني !

و لم أفق من غياهب حزني إلا على صوت الطبيب يقول أن تلك الأزمة قد انقضت على خير و أن حالتكِ قد استقرت بالوقت الحالي لكنكِ عُدتي في غيبوبة ثانية ، فاستجاب ربي دُعاء قلبي و أعادكِ إيليا ثانية .

باليوم السابع أفقت لم تكن حالتك مستقرة تماما إلا أنك أفقت ، أول شيئا تحدثت به كان اسمي ! فكنت تخشين فقداني كما استعمرني الخوف لشعوري بأن أفقدك ، فالإحساس بالفقد شعور مؤلم يُرهب القلب و يُغرقه بالحزن و الخوف ، سمح لي الأطباء رؤيتك لكن تلك المرة ليس رافة بي و إنما رافة بك ! فلم تُصدقني أنني بخير سوى بعد أن سمحوا لي بالدخول إليك و الاقتراب منك لم يتحدث كلانا بلسانه ، لكن تحدثت قلوبنا بضع دقائق ، لكنها كانت كافية لتُعيد كلانا إلى الحياة مرة أخرى ، فكنت منهكة لم تستطعي الكلام بعد ، كنت تُشبهين زهرة شتوية رغم عصف الرياح بها إلا أنها لازالت تحتفظ بجمالها الخلاب و سحرها الخاص الذي يأسرني كلما ارتسمت ملامحها بين جفوني ! فنظرة واحدة إليك كانت كافية لتُدمل جروحي ، و تُعيدني إلى رُشدي ، و تغسل عن صدري لوعة أحزانه ، و تُعيد ضياء نجمك بسماي .

مرت بضعة أيام و بدأت حالتك بالتحسن شيئا فشيء ، كنت أستبتأ زهو شمعتك من جديد إلا أن خروجك من العناية كان يكفي ليهدأ قلبي ، و خاصة أن الرصاصة كانت قريبة كثيرا من رئتك ، و هذا جعل الأمر أصعب لكن بكل الأحوال بدأت بالتحسن ، لم أكن أفارقك بالأيام الأولى ، لكن حين بدأت بالتعافي بدأت بالتغيب عن المشفى ، فكان لدي اتفاق لم أنهيه ، و وعدا لم أوفيه بعد !!!!

بالأسبوع الثالث زادت حالتك بالتحسن و زادت معها سعادتني لتحسن وضعك الصحي ، سمح لك الاطباء بالحركة البسيطة داخل الغرفة ، كل تلك الفترة لم يقول أحدا شيئا للأخر ، فكنت أكتفي بمراقبتك أمامي و السعادة تتسرب إلى قلبي يوم تلو يوم لتحسنك و امتناناً لربي لرفقه بي . غير أن احساس الذنب قد تملك مني و أسكت الحروف بفتي ، و لكن بعد أن وفيت باتفاقي بدأت تزول عني رعشة باطني التي صاحبتني قبل الحادث و بعده ، و بدأ يتبدد حصار عقلي و توجهه خوفا عليك بدأ يعود كل شيء إلى ما كان عليه ، و بعد اصرار شديد منك وافق الأطباء على خروجك من المشفى بعد تأكيدهم بأن لا تبدلي أي مجهود قد يُضر بحالتك الصحية التي رغم تحسنها إلا أنها لازالت تحتاج رعاية طبية ، اتفقنا على ذهابك إلى المزرعة لتقضي بها تلك الفترة و كان من المفترض أن ترافقك لي و ميس و أيضاً أمي ، و بذلك اليوم مساءً حين غادر الجميع وجدتك تُشيرين لميس لتخرج و كأن هناك اتفاق مسبق بينكما ، فنظرت نحوها بتعجب و هي تم للمغادرة و تغمز لي بطرف عينها بابتسامة مشاكسة ، حينها اختليت

بك في الغرفة فاعتدلتِ بالسريير ، فابتسمت لكِ و اقتربت منكِ و قبلتكِ بجبهتك دون أن أقول شيء ، فتعلقت يدكِ بعنقي.....

: هل لي أن أطلب شيء ؟

فرفعت وجهي نحوك بتعجب على مهل و لازالت يدكِ متعلقة بعنقي

: اطلبي ما شئتِ حبيبي و سألي !

: ترفق به لأجلي ! فقلبه مُرهق لم يُعد يحتمل !

فزادت دهشتي و علت كل تقاسيم وجهي و أملت رأسي بالسؤال عما تعنين دون أن أتفوه بسؤال ، فزادت بسمتك و قربتني إليك ، و تهمسين بأذني

: ترفق بقلبي بين ضلوعك ، ترفق بحبيبي

فرفعت طرف عيني نحوك و قبل أن أقول شيء بادرتني بحنان عينيك

: لم يكن خطأك هذا ما كتب الله لنا ! و من منا يمنع أمراً من الله كان مفعولاً ، فترفق بنفسك لأجلي لا أحتمل أن أراك هكذا

فقبلت جبهتك و أطلت القبلة ثم ضممت رأسك إلى صدري ، و تراقصت دمعة بأحداقي إلا أنني اعتقلتها داخلي ، لكنني ظللت على صمتي فكان كلي ساخطاً مما حدث ، فماذا أقول و أنا أوقن أنه خطئي وحدي بكل مرة أقف بها على شفا فقدانك يكون خطئي و بيدي ! لكن أكثر ما زاد حنقي و غضبي من نفسي أنه حين واتتني الفرصة لقتله لم أظفر بها و هذا كاد يُكلفني أنت ! ثم انتبهت لشرودي فهممت لترتك تنامين فتمسكتِ بقميصي ، و طلبتِ إيليا و لازالت رأسك نائمة على صدري أن أظل جوارك حتى تغفين ، فاتكأت إلى جانب الفراش و زدت بضمك إلى قلبي ، و بعد لحظات رفعت رأسك فجأة عن صدري فاندهشت....

: ياسين

: قلب ياسين

: تلك اخر ليلة لي بالمشفى

: هي كذلك رغم رفض الأطباء و رفضي مُغادرتك فلازلتِ تحتاجين الرعاية ، إلا أنه أمام عنادك حبيبتى سألبي ما ترغبي

: اذن لو طلبت أي شيء ستلبي ؟

: اطلبي ما شئتِ مولاتي

: احكي لي قصة حتى أغفو

: ماذا ؟

فنظرتِ بعيني و زادتِ بسمتك و زدتِ مشاكستك

: أخبرتني أن أطلب ما شئت ! و الان ملكتك تُريد أن تغفو على صوتك

ثم صمتِ لحظة و أعدتِ رأسك إلى صدري وبصوت بدا حزين

: فتلك آخر ليالينا و لا أريد أنا أرى أو أسمع أو أحس بها شيء غيرك .

: اخر ليالينا !!!!

: أقصد هنا بالمشفى

فابتسمت و أنا أضمك إلى صدري

: صدقاً أنا لا أحفظ شيء كي أقصه ، لكن دعيني أخبرك قصة قصها لي جدي عنك و عني ، كي يُخبرني أنه يعلم

بعشقي لكِ

فرفعت وجهك نحوي بتعجب ، فشاكستك

: لا تتعجبي ، هذا هو جدي

ثم بدأت أقص عليكِ قصة الصياد و موجة ليله كما قصها لي جدي ، و بعد أن أنهيتها وجدتك مُطرقة ، فاستعادتك

من شرودك

: أين حطت قلاعك يا موجة ليلى

ابتسمت لي و اندست بين أحضائي و غفوت حينها شعرت أمان كاد يُغادرنني ، و حطت عن أكتافي أحزاني و مخاوفي و ارتدت السكينة إلى صدري حين سكنتي بين ضلوعي ، فشعرت روحي تعود إيليا فتركت كل جحيم الأيام السابقة خلفي و غفوت إلى جانبك بجنة عشقك ، و لم أستعد وعي الذي فقدته بجنتك إلا حين أيقظني ميس بصباح اليوم التالي على فاجعة قلبي !

استيقظت بالصباح التالي من جنة عشقي بكِ على جحيم فقدانك !

استيقظت على صوت ميس

: أين ايما فتشت عنها و لم أجدها ؟

فاعتدلت و أنا أحاول تدارك ما يحدث

: عن ماذا تتحدثين كانت نائمة إلى جوارني ، قد تكون بالحمام !

: استيقظ يا ياسين بحثت عنها بكل مكان بالمشفى و لم أجدها حتى أن ثيابها قد اختفت ! ايما غادرت !

و ألقيت لي بورقة كانت على الوسادة بجواري ، ما كتبتني بها أغرقني و أشعل بحور غضبي ، و هاجت له عواصفي

” يكفيك غرقاً و غربة ، آن الأوان كي ترسو مراكبك بشواطئ النهار ، فيكفيك ما لقيته على يد موجة ليلك ، أخبر ساكنك بين الضلوع كم أعشقه “

حينها فهمت ماذا كنتي تعنين بأخر ليالينا ! فأطبقت عليها بكفي بحق و غضب من كل ما تفعلينه بي ! حتى تكومت برحاي و ألقيت بها بوجه ميس و غادرت المشفى و بركان يملئني منك ، طوفت الشوارع و عقلي يكاد يُجن من دوامتك التي تُلقيني بها ! حاولت الاتصال بكِ لكن هاتفك كان مُغلق ، و ظللت على هذا الحال كلي مُشتت يكاد يُجن من صدمة اختفائك المفاجئ ، أحسست بصفعة قلبي تؤلني و تُعيد فتح جروحي التي اندملت بين بسمة عينيك و صفاء

قلبك ، صرْتُ أفتش عنك بكل مكان لم يكن يعلم أحد أين ذهبتِ ؟ و لماذا اختفيتِ ؟ و بكل لحظة كان يزيد حنقي و غضبي مما تفعلينه بي و بقلبي ، لكنني لا أستطيع أن أكف عنك فكيف و أنتِ تمتلكين قلبي ؟ تمتلكين روحي حتى أنني صرْتُ أسأل عنك النجوم ، و أفتش عن عينيك بكل الدروب ، و كلي يبحثُ عن هواك و يُجوب الأرض يُناجي طيفك بالطرقات ، لكن دون جدوى دون أمل فلم أجدك !

بعد ثلاثة أيام علمت أين سأجدك ؟ فقد أثمرت إحدى محاولة توفيق لإيجادك لم يعرف أين أنتِ لكنه أخبرني كيف سأجدك ! انتظرت طوال الليل مستيقظا فما كنت تُخططين له حببتي أفرع قلبي و أوقف أنفاسي فلا يحق لك أن تفعلني هذا بي ! لا يحقُ لك أن تتخذي قرارات قلبي عنه ! فليس لك الحق بالرحيل و كلي يسكنك ! لكن كما كنتِ ترتبين لي شيئا تصعقي به قلبي رتبتُ لك مفاجأة صغيرة !

انتظرت حتى حل مساء اليوم التالي و ذهبت للقاءك فلم أكن أستطع إيجادك قبلها ، ذهبت مبكراً و اختفيت عن الأنظار ، خفتُ إن رأيتني تُعاود الهروب و تلك المرة أخشى أنني لن أجدك ، و بالموعد المحدد ظهرت بالمكان ، و قفت أرقبك من بعيد أمسكت هاتفك و روحي تنفقدية لحظتها وصلتني منك رسالة لم تكتبي بها سوى

‘ أحبك ‘

فعاودت الاتصال بك و عيني مُعلقة بك فأجبتني ، سألتك بغضب أين أنتِ لم تُجبي ! أخبرتك كم أحبك و لم تُجبي ! استجديتك كي تعودني و لم تُجبي ! فصمت لحظت فقولت

‘ أحبك ‘

ثم أغلقت الهاتف و أمطرت عينيك جبينك بالدموع ، وهمت واقفة و أنتِ تمسحينها عن وجهك ، و لكنها تأتي أن تتوقف ثم اتجهت إلى صالة المغادرين بمطار القاهرة الدولي !!

انتظرت بضع دقائق حتى اختفيت عن ناظري و عند النداء الأخير على ركاب الطائرة المغادرة إلى لندن صعدت إلى الطائرة ، و بعد أن أغلقت الأبواب و استعد الجميع لإقلاع الطائرة ...

: أعتقد أن هذا المقعد الفارغ بجوار النافذة يخصني ، فأعلم أنك تخافي المرتفعات

بادرتك بها و أنا أهم للجلوس بالكرسي المجاور لك ، حينها توقف كل ما بك و كانت لازالت دمعاتك تتساقط على جبينك ، فتجمد كلك و أنتِ تنظرين نحوي ، و أنا أربط حزام الأمان استعدادا للإقلاع ، فأغمضت عينيك و فتحتهما مرتين متتاليتين

: ياسين .. ماذا تفعل هنا ؟

فرفعت طرف عيني و بابتسامة من جانبي تساءلت

: أو ليست تلك الطائرة متجهة إلى لندن ؟

ثم اعتدلت بمجلسي و قد بدأت ترتفع الطائرة ، فأمسكت بيدك فأعلم كم تخشين المرتفعات ، فابتسمت و أنت تحاولين تشتيت انتباهك عنها

: اذن فأنت متجه إلى لندن ؟

: لا يهمني إلى أين ستوجه فأنتِ معي و هذا يكفيني لأذهب إلى الجحيم بملاً ارادتي

: أنت مجنون

: و هل اكتشفتها توأ ؟

ثم التفت إليها

: ألا تستسلم أبداً ؟

: لم أستسلم حين كان يقف الكون بأسره بيننا ! أعتقدين أنني سأستسلم الان و قد أصبح ما يفصلنا خطوة ستقضي بعد بضعة أيام و تنقضي معها عُدتك !

فدمعت عينيك

: هو لن يتوقف عن ايدائك ، اذا ظللنا معاً لن يتوقف عن محاولات قتلك ، أنت مخطئ لأنك تُحمل ذاتك ذنب ما حدث ! بالحقيقة هو ذنبي كل ما حدث لك و ما سيحدث هو ذنبي وحدي ، و لهذا يجب أن أبتعد عنك

: ابتعادك عني هو قتلي ايما

: أخشى عليك ، لن أحتمل أراك تصاب بمكروه بسببي

فقبضت على كفك

: و هل بعد غيابك عني جحيم ؟

: ياسين ، ان ظللنا معا سيحاول قتلك ثانية

: و ان ابتعدنا سيموت كالانا حبيبي

صمت و نظرت أرضاً مطرقة ، فداعبتك

: لا يمكنك الرحيل حبيبي فنحن صرنا نتشارك كل شيء الحب و العشق و القدر و حتى الطلقة التي أصابتنا تشاركها
و لا تنسي أن دمائي تجري بشرائينك ، فكيف لك أن ترحلي و تأخذي دمائي بعيدا عني ؟

: هذا ما يبقيني أتنفس

فرفعت يدك نحوي و قبلتها

: أحبك ، و أخبرتك سابقاً لن أبتعد عنك ، و لن أتركك تذهبين إن كنت بكل الأحوال ميت فأختار الموت بين يديك
فانتفضت و وضعت أصابعك على فمي

: لا تنفوه بها

: لا تركيني

فتبسمت عينيك الدامعتين ، و اقتربت من أذنك و همست لك

: أخبرتك سابقاً أن كل سبلك ستنتهي عندي ، أيتها الحمقاء متى ستفهمين أنتي .. !!

فطفت بجنونك نظرة عشق أعادت لي قلبي المسلوب بحميم فقدانك....

: أعلم أنك كنت ستنزلين بلندن ترانزيت فقط ، فأخبريني إلى أين كنت ستتجهين ؟

فزادت بسمتك و أنت تمسحين دموعك ، فزدت مشاكستك

: هيا ايما أخبريني ، فبكل الأحوال سأعلم ، فهل تعتقدين حقاً أنك ستهربين مني ؟ حمقاء حبيبي افعليها و سأجوب
الأرض أفتش عنك ليل نهار بصحو و منامي ، فترفقي بي حبيبي ألا يشفق قلبك الصغير على قلب حبيبيك ؟ ترفق
مُعذبتني فقد أرهقت قلبي عشقاً و شوقاً إليك ، فلا تُرهقي عقلي موت و غربة بغيابك !

فارتسمت ضحكة حانية بوجهك ، و تلمست بأطراف أناملك لحيتي برقة طار لها عقلي ...

: بوخارست

: لما تعشقين الأشياء الصعبة ، ألم تكن دي أقرب حتى اني أفهمهم دون مترجم !

فانطلقت منك ضحكة مُجهدة ، فزدت مشاكستك

: أتضحكين ، دعيني أخبرك سرا فقط عديني أنك لن تخبري احدا

فنظرت نحوي بعينين ضاحكة

: هيا ايما أتحدث بجدية ، عديني لن تُخبري أحداً

فاعتدلت ، و أشرت إلى قلبك بجدية مصطنعة

: حسنا أقسم لن أخبر أحدا

فاقتربت منك مفتعلاً الجدية و بصوت خفيض

: أنا لا أعلم من الإنجليزية سوى what is your name ? و اذا طلبت إلى تهجئتها ، فأنا هو من سيقطع علاقته بك و إلى الأبد هل نحن متفقين ؟

حينها انطلقت منك ضحكتك الطفولية التي أعشقها ، فزاد قربي منك و همست بأذنك ...

: تلك ما قتلتنني ببابك

فروحتِ تتمالكين ذاتك من الضحك الذي أجهد صدرك المتعب و اقتربتِ من أذني و همست لي بعذوبة صرعت قلبي بين أنفاسك

: لو تعلم كم أهواك

ثم قبلتِ جيبني ، و أسندتِ رأسك إلى كتفي و أنتِ تُمسكين بيدي ، فقبضت بكفي على يدك و أسندت رأسي على رأسك و شرد عقلي بأن لا شيء بعد اليوم سيقف بيننا و كل ما تخشينه حبيبي بعد يومين سيتحول إلى غبار تحمله رياح القدر بعيدا عنا فقد وفيت عهدي و سددت جانبي من الاتفاق مع اخوة عدنان !!!

فوعدي لهم هو أن يُخرجوك من دائرة انتقامهم و يُؤجلوا ذلك الانتقام حتى تنفك عنك قيوده ، في مُقابل أن يرفع جدي يده عن كريم ليفعلوا به ما شاءوا ! وقد وفيت جانبي من هذا الاتفاق حين تركتك بالمشفى و بالفعل تقابلنا واتفقنا على كل شيء ، لكن المفاجأة المدوية لي أن جدي اتصل بهم يوم الحادث و أخبرهم أن كريم لم يعد تحت حمايته بعد محاولته قتلي ، لكنه طلب إليهم ألا يقتربوا منه بالوقت الحالي حتى لا تتجه الشكوك نحوي لكن بالنهاية اتفقنا على كل شيء ، فبالنهاية لابد و أن يُسددا كلا منا دينه بهذه الحياة و كما أخذ لابد أن يُعطي و كما أعطى لابد أن يأخذ .

و حين انتبهت من شرودي وجدتك غفوتِ على ذراعي ، فابتسمت و قبلت رأسك فلتهنئي حبيبي و تأمنين دون خوف فلن يمساك مكروه بعد الان ، أمسكت يدك و وضعتها على قلبي حتى يطمئن و يأنس بك من وحشته و خوفه ابتعادك

فارتحلي حبيبي كما تشائين و سأرتحل الكون وراءك ، فإن سافرتي إلى النجوم ستجدين هناك ، و إن دلفتِ إلى القمر سأكون بانتظارك ، و إن عبرتي البحور سأكون شراعك ، و إن طويبي الكون سأكون دليلك ، و إن سكنتي القمر سأدور بفلكك ، فأنا طريدك دونك غريب بلا وطن تائه بلا قدر فقلبي مؤرخ بك ، فارتحلي كيف تشائين فروحي معلقة الأطراف بعشقتك و نبضي معتقل بقلبك ، و كلي يدور بفلك هواك !

غفوت و أنتِ إلى جواربي و حين داعبت سلاسل الشمس وجهي مع أول ضياء تلقي به على الكون ، كنا لازلنا بالسماء حينها أفقت و فتحت عيني لأجدك لازالتِ نائمة على كتفي ، كنتِ نائمة إلى جواربي كحمامة بيضاء تفترش كتفي مرسى بعد طول تعب و ترحال ، فابتسمت و رفعت رأسي شكرا لله الذي حقق لي ما كنت أبغي ، حقق لي كل ما حلمت ! ها أنا تشرق شمسي لأجدك تغفين إلى جواربي و تتوسدين كتفي و تلتحفين ذراعي و تفترشين صدري وطناً ، نظرت إليك و قلبي يتراقص فرحاً و عيناى معلقة بطفلي النائمة على كتفي ، الساكنة بشرياى ابتسم من تلك الحمقاء، فلزلتِ حمقاء حبيبي تعتقدين اني سأتركك و روعي معلقة أنفاسها بعينيك فلن تُغادريني و إن ركضت خلفك ما بقي من عمري و زدته ألفاً عليه ، سأظل على وعد الهوى على وعد قلبي بالسكنة بين أضلعك ، فليس لي وطن سواك و ليس لي حياة دون هواك ، أنتِ لي ... ““

*** تمت بحمد الله ***